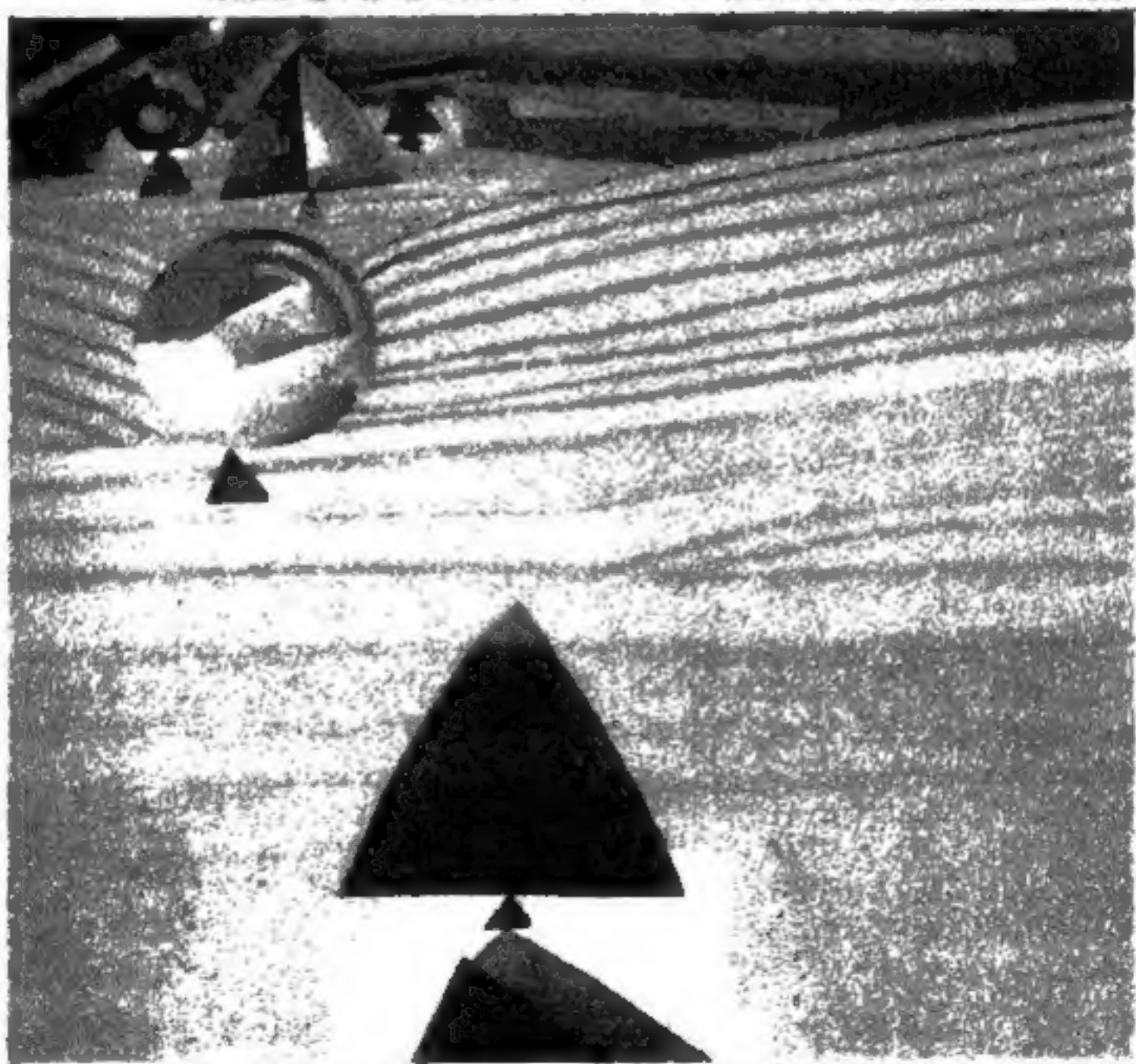


الدكتور حلمي خضر ساري

ثقافة الانترنت

دراسة في التواصل الاجتماعي



ثقافة الإنترنت

دراسة في التواصل الاجتماعي

ثقافة الإنترنت

دراسة في التواصل الاجتماعي

الدكتور

علمي عمر ساري



حقوق التأليف محفوظة، ولا يجوز إعادة طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه على أية هيئة أو بنية ومثيلة إلا بإذن كتابي من المؤلف والنشر.

الطبعة الأولى

2005 / 1426

رقم الإيداع: 2005/5/1209

رقم الإجازة: 2005/5/1181

ردمك: ISBN 9957-02-191-5

دار مجدلاني للنشر والتوزيع
 ٥٧١٤٩٧٧ - ٥٧١٤٩٧٨
 ص.ب. ١٧٥٨ الجيزة ١١٩٤١
 عمان - الأردن

Dar Majdani Pub. & Dis.
 Tel/Fax: 5349497 - 5349498
 P.O.Box: 1758 Ajloun
 11941 Amman- Jordan



www.darmajdani.com
 E-mail: contact@darmajdani.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر.

الإهداء

إلى الشباب العربي
حماة الهوية الثقافية
من لسعات العولة

المحتويات

الصفحة	الموضوع
5	الإهداء
7	الفهرس
11	المقدمة

الفصل الأول

الإنترنت ووسائل الإتصال الجماهيرية

15	مقاربة سوسيولوجية
17	مقدمة
19	الإنترنت: مفهومه وتعريفه وتاريخه
21	الإنترنت كوسيلة اتصال: الخصائص والمزايا
31	الإنترنت كنظام اتصالي: نظرة إلى المستقبل
36	تأثيرات الإنترنت: منظور سوسيو اتصالي
38	مدخل التأثير القوي المباشر
39	نظرية التأثير المحدود
46	نظرية التأثير المعتدل
52	الإنجاء الثقافي في الدراسات الإعلامية
55	الخلاصة

الفصل الثاني

الخصائص النوعية والاجتماعية للشباب

57	مقدمة
59	الخصائص النوعية - الأساسية

الموضوع الصفحة

70 الخصائص لمنطقة العلاقات الأسرية

الفصل الثالث

77 تأثيرات الإنترنت على بنية الاتصال الشخصي والجماعي

79 مقدمة

79 خصائص الاتصال الشخصي

83 تأثيرات الإنترنت على بنية الاتصال الشخصي

87 أهمية العواطف الإلكترونية

91 العواطف الإلكترونية الزواج

94 الإنترنت والتفاعلات المباشرة

97 تأثيرات الإنترنت على الاتصال الجماعي

101 الخلاصة

الفصل الرابع

الإنترنت والتفاعل الاجتماعي

103 المقدمة

105 مفهوم التفاعل الاجتماعي ومستوياته

105 مفهوم التفاعل الاجتماعي ومستوياته

109 الاتصال عبر الإنترنت والتفاعل الأسري

113 الاتصال عبر الإنترنت والعلاقات القرابية

119 الاتصال عبر الإنترنت والتفاعل "عن بعد" مع أفراد الأسرة

121 الخلاصة

الفصل الخامس

الاتصال عبر الإنترنت: الأبعاد النفسية

123 المقدمة

125 المقدمة

الموضوع	الصفحة
الإنترنت والثقة بالنفس	127
الإنترنت وحل المشكلات النفسية	131
الإنترنت وعملية الإفصاح عن الذات	136
الخلاصة	141

الفصل السادس

الإنترنت: التأثيرات الإيجابية	143
المقدمة	145
الإنترنت والترفيه وتزجية لوقت الفراغ	146
الإنترنت وتصيقل القيم الدينية	149
الإنترنت والأداء العلمي والمهني	153
الإنترنت وتلمية المواهب والهوايات	158
الإنترنت والاختراقات في النشاطات المجتمعية	160
الإنترنت والانفتاح الثقافي	165
الخلاصة	171

الفصل السابع

الإنترنت: التأثيرات السلبية	173
المقدمة	175
الإيمان والعزلة النفسية والاجتماعية	176
تحليل النتائج	178
العلاقات العاطفية الإلكترونية	184
العونة الثقافية / الإعلامية واختراق الشباب	193
الخلاصة	203

الموضوع الصفحة

الفصل الثامن

205	ثقافة الإنترنت: رؤى متباينة وملاحظات ختامية
207	مقدمة
214	الاتصال الإلكتروني: حجم الظاهرة ودلالاتها
217	الاتصال الإلكتروني: خيارات ممكنة وأفاق مفتوحة
220	الاتصال الإلكتروني والتفاعل الاجتماعي: رؤية جديدة
221	البعد العلاجي - التظهري في الاتصال الإلكتروني
223	الاتصال الإلكتروني: أدوار جديدة ووظائف متعددة
229	الاتصال الإلكتروني: مخاطر كلجنة وتساؤلات مفتوحة
241	المراجع العربية
245	المراجع الأجنبية
253	ملحق

مقدمة

جاءت فكرة هذه الدراسة حين كنت في جامعة قطر لقضاء إجازة سنة التفرغ العلمي التي ملحتني إياها الجامعة الأردنية في العلم الدراسي (2002-2003). إذ شد انتباهي في تلك الأثناء مدى التأثير الاجتماعي الذي يشهده المجتمع القطري في مجال استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والإنترنت؛ ولفت انتباهي بشكل أكثر إقبال الشباب على استخدام الإنترنت لدخل الجامعة وخارجها، وبشكل خاص في مقاهي الإنترنت المنتشرة في كافة أرجاء مدينة الدوحة.

وبد حفزتي هذه المشاهدات، وبخاصة إقبال الشباب على الإنترنت، على القيام بهذه الدراسة، بهدف التعرف على التأثيرات النفسية والاجتماعية التي يتركها هذا النوع من الاتصالات على الشباب، فشرعت بإجراء هذه الدراسة على هذه الشريحة الاجتماعية الرئيسية في هذا المجتمع.

وتقد كان البحث في هذا المجال مضمناً ومستقزاً للجهد والوقت، فالدراسات الاجتماعية في المجتمع العربي التي تعنى بتحليل ثقافة الاتصال الالكتروني على الشباب في المجتمع القطري، والمجتمع العربي ككل، تكاد تكون في حقيقة الأمر شبه معدومة. فكان لابد من مراجعة الأدبيات المتعلقة بهذا الموضوع باللغة الإنجليزية، الأمر الذي جعل هذا البحث يستغرق زهاء سنتين ونصف السنة من العمل.

وتقع الدراسة في ثمانية أصول، تناول الفصل الأول منها الإنترنت كوسيلة اتصال من منظور سوسيولوجي؛ حيث تمت معالجة خصائصه ومزاياه التي تجعل منه وسيلة اتصالية من نوع فريد. ولما لقى الفصل الثاني، فقد خصصناه لدراسة خصائص الشباب القطري، موضوع الدراسة، من حيث أعمارهم ومستوياتهم التعليمية، ولوضاعهم الاجتماعية، والمهنية، إضافة إلى تحليل طبيعة علاقاتهم الأسرية والعائلية.

وتناول الفصل الثالث، الإنترنت والاتصال الشخصي والجماعي، من حيث خصائص هذا النوع من الاتصال (الشخصي - المباشر)، ومزاياه وأهميته في

المجتمع، ثم قلنا تلك الخصائص بخصائص الاتصال الذي يتحده الإنترنت لمستخدميه من الشباب. كما عالج هذا الفصل أيضاً مدى تأثير الاتصال عبر الإنترنت، بوصفه نمطاً اتصالياً حديثاً في المجتمع، على نسق الاتصال الشخصي ووسائل الاتصال الجماهيرية (كالنقل والراديو، والتلفزيون والصحافة والكتب والمجلات).

وأما الفصل الرابع، فقد خصصناه للإنترنت والتفاعل الاجتماعي الأسري والعائلي، أي أنه عالج مدى تأثير الاتصال عبر الإنترنت على تعمق التفاعل الاجتماعي بين الشباب وأسرتهم وعائلاتهم؛ إذ أوضح هذا الفصل طبيعة التأثيرات التي تركها الإنترنت على العلاقات الاجتماعية التي تربط الشباب بأسرهم وعائلاتهم ومعارفهم.

وأما الفصل الخامس، فقد عالج الأبعاد النفسية لتأثيرات الإنترنت على الشباب، حيث تناول دور الإنترنت في عملية تشجيع الشباب على الإفصاح أو القبح عما في نفوسهم من مشكلات وإحباطات، وبخاصة العاطفية منها، إضافة إلى توضيح هذا الدور في زيادة ثقة الشباب بأنفسهم، ومدى رسامهم عن ذواتهم.

وفي الفصل السادس، ناقشنا التأثيرات الإيجابية التي تركها الإنترنت على الشباب في المجالات النفسية والاجتماعية والثقافية والتربوية والدينية والفكرية. في حين عالج الفصل السابع التأثيرات السلبية للإنترنت على الشباب. وقد أوضح هذا الفصل أهمية العلاقات الاجتماعية والعاطفية التي كركوها من خلال الإنترنت، ومدى تأثير هذه العلاقات أيضاً على علاقاتهم مع أسرهم، وعلى حياتهم الزوجية. ثم تناول هذا الفصل أيضاً مشكلة العزلة النفسية والاجتماعية التي أوجدها الإنترنت عند الشباب، ولم يغفل تناول المكاسات العولمة الثقافية / الإعلامية وما ولدت من إحساس بالاعتراب لديهم عن مجتمعهم. وأما الفصل الثامن والأخير، فقد قمنا فيه وجهات النظر المعاصرة في ثقافة الإنترنت، وعرضنا فيه لنتائج الدراسة.

وهناك أشخاص كثيرون كلن لهم فضل في إنجاز هذا العمل؛ فمن قطر أود أن أشكر من أعماق قلبي فريق البحث الميداني الذي قلم بجمع المعلومات، على ما بذلوه من جهد ومشقة في هذه العملية. وأود أن أشكر أيضاً من أعماق قلبي السيد أنيس المعتمد من قسم الكمبيوتر في جامعة قطر لقيامه بالمهمة المصنية التي تتعلق

بإحمال البيانات إلى جهاز الحاسوب، فله مني جريل الشكر، أياً ما كل على تلك
الجهد.

ومن الأردن أتقدم بالشكر والعرفان للأستاذ الدكتور خليل طويل من كلية
التربية في الجامعة الأردنية على جهده القيم الذي بذله، والوقت الذي خصصه
لمراجعة الجانب الإحصائي في هذا العمل، فله مني جريل الشكر والتقدير.

ولما صاحب الفضل الكبير على هذا العمل فهو الأستاذ الدكتور صلاح جوار
من قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية، فسيما قلت بحقه كلاماً جيداً فقد لا أكون
موفقاً في نقل مشاعري إليه؛ إذ كان لحسه الندي، وملاحظته الحسنة والدقيقة،
دور كبير في إثراء هذا العمل، ولأن تقديري له، ومشاعري نحو "حاتمينة" نسي
الوقت الذي قصاه في مراجعة العمل بمرق الوصف بالكلام، فسأترك من الكلام،
فليعبرني على هذا فتوقف.. كما ولود أن أشكر الدكتور إبراهيم عثمان أستاذ علم
الاجتماع في الجامعة الأردنية، والدكتور سالم ساري أستاذ علم الاجتماع بجامعة
هبلانغيا على ما أبداه من ملاحظات قيمة في تنظيم إجراء هذا العمل. جراً الله عنا
الجميع كل الخير.

والله الموفق أولاً وآخرأ

د. حمي خضر ساري

صان 2005/2/2

الإنترنت: مفهومه وتعريفه وتاريخه

يشير المراجع للأدبيات المتعلقة بالإنترنت بحيرة كبيرة عند محاولته الخروج بتعريف موحد وشامل لهذه الوصلة الاتصالية الإلكترونية الحديثة، فهناك وفرة من التعريفات التي يقدمها الخبراء والعلماء في مجال الاتصالات والحاسبات والمعلومات وكذا يكون من الصعب حصرها لوجدها.

وتعود أسباب هذه الوفرة إلى لاختلاف التخصصات والاهتمامات واستخدامات كل واحد منهم لها. ومع ذلك فهناك اتفاق بينهم حول مفهوم الإنترنت وطبيعته فهو برأيهم دائرة معارف عملاقة تمكن المشتركين فيها من الحصول على معارف ومعلومات حول أي موضوع من الموضوعات التي يحتاجونها، سواء أكان ذلك على شكل نص مكتوب أم مرسوم أم على شكل خرائط أو كأي ذلك أيضاً عن طريق التراسل بواسطة البريد الإلكتروني. وتضم هذه الدائرة العملاقة لملايين من أجهزة الحاسوب التي تتبادل المعلومات فيما بينها (ملريتا تريتر، 1996، عبد الملك الدلائلي، 2001).

كما يلاحظ أيضاً من خلال استعراض التعريفات والمفاهيم التي يقدمها هؤلاء العاملون والمهتمون بدراسة الإنترنت، بأن هناك اتفاقاً بينهم على طبيعة هذه الشبكة المعلوماتية ومفهومها. فهي برأيهم وسيلة اتصال حديثة تتألف من مجموعة من الحواسيب المرتبطة في شبكة أو شبكات كثيرة، توفر مجموعة من الخدمات للمشاركين فيها؛ وتسمح لهم بالتنقل بطريقة حرة بين المواقع المسموح بها، ويتم نقل الملفات (سواء أكانت على شكل بيانات أم معلومات أم أخبار أم صور أم صوت أم تسجيل فيديو أم برامج فذائية وتلفزيونية وحاسوبية) بين حاسوب وآخر دون الاعتماد على حاسوب مركزي للتوزيع لأنه لا يوجد هناك هيئة مركزية تتحكم بمحتويات هذه الوسيلة الاتصالية. (عبد الملك الدلائلي، 2001).

واستناداً إلى هذا الفهم لطبيعة الإنترنت ومفهومه فإن الدراسة متخذة التعريف التالي:

الإنترنت هو تلك الشبكة الإلكترونية المكونة من مجموعة من الشبكات التي تربط أنفس والمعلومات من خلال أجهزة الكمبيوتر والأجهزة الرقمية

بحيث تسمح بالاتصال بين شخص وآخر، ما وتسمح باسترجاع هذه المعلومات' (Dimaggio, P. etal. 2001).

ولم ينتشر الاتصال بالإنترنت بوصفه شكلاً من أشكال الاتصال الإلكتروني الوسيط الذي لا يتم إلا عبر وسائط أخرى كالكمبيوتر والتلفون (Computer Mediated Communication⁽¹⁾) بالمعهوم الذي قدمه دوماجيو وملاؤه بشكل واسع وعلمي بين الأفراد، إلا في مطلع التسعينيات، علماً أن بداياته الأولى ترجع إلى الستينيات ولكنها كانت سرية ومقصورة على المؤسسة العسكرية الأمريكية التي وظفتها في خدمة أهدافها في حربها الباردة مع المصكر الاشتراكي آنذاك⁽²⁾ (Slevin, J. 2000).

وفي الحقيقة فإن الإنترنت كان قد ولد في جوالتحولات الاستراتيجية التي اتخذتها وزارة الدفاع الأمريكية في فترة الحرب الباردة بينها وبين الاتحاد السوفيتي آنذاك، وذلك تخوفاً من احتمال ضربة سوفيتية لمراكز الاتصال الحاسوبي في الولايات المتحدة مما قد يؤدي إلى تعطيل تلك الشبكة بالكامل وحرمان القيادة العسكرية الأمريكية من أي إمداد معلوماتي. غير أنه تم التخلي عن هذا الهدف العسكري تدريجياً في السنوات اللاحقة، أي في السبعينيات والثمانينيات، حيث أصبح استعماله يتسع شيئاً فشيئاً ليشمل مراكز البحوث العلمية والاقتصادية والاتصالية والمعلوماتية، مكوناً الأساس لما يعرف بالطريق الدولي السريع للمعلومات⁽³⁾ (Information Super Highway).

(1) يترجم بعض الباحثين مصطلح (Mediated communication) بالاتصال الوسيط، وهي ترجمة ليس الواسع غير دقيقة لهذا المصطلح، والصواب هو: الاتصال الوسيط.

(2) لا نجد أصلاً مضطربين لإقامة ما كتبه الآخرون عن التاريخ السري - التي للإنترنت - لهذا، فبشرط، بل المئات من الأصناف التي تشكل هذا الجانب، لذا لن نحل القارئ لأي منها، لأن ذلك سيخرج الدراسة عن بعدها الاجتماعي، وإنما سنحوله بشكل في الصنفين المميزين التاليين لأنهما يتناولان من منظور أقرب إلى المنظور الذي تفرقه هذه الدراسة وهو المنظور الاجتماعي للاتصال وهذا

Slevin, J. (2000). The Internet And Society. Cambridge: Polity Press.

Dominick, J.R. (1999) The Dynamics of Mass Communication. Boston: McGraw-Hill College. Sixth edition. Chapter 11. pp. 324-347

(3) يشير هذا المصطلح إلى وسيلة نقل المعلومات عبر الأسلاك والألياف البصرية و الأقمار الصناعية بكميات كبيرة وحالة نظير في ذلك:

- يحيى الجبالي (2002). في العولمة والتكنولوجيا والتفاهة: مدخل في تكنولوجيا المعرفة، بيروت: دار الطليعة

وما أن شرفنا على مطلع التسعينات حتى أضحت الاتصال عبر الإنترنت متاحاً ومنتشراً في سائر المجتمعات بنسب متفاوتة⁽¹⁾. ومع نهاية القرن غدا الإنترنت ضرورة حياتية ومجتمعية لملايين الأفراد والمؤسسات التي لمسي استعمالها له لمراً لا مناص منه لمواكبة الأحداث العالمية والتسارع في ركاب التقدم العلمي.

وهكذا باتت الإنترنت يقدم لمستخدميه خدمات دولية لا حصر لها في جميع مناحي الحياة وبخاصة في مجال خدمة المعلومات ونقل الرسائل الاتصالية والمجموعات الإخبارية، ويقوم الإنترنت بهذه الخدمات بسرعة مذهلة وبحرية تامة؛ حيث بإمكانه إرسال الصور والنصوص والقطاعات الصوتية والموسيقى والأشياء إلى مستخدميه في كافة أنحاء العالم من خلال الروابط الدولية لأشهر الاتصال (Intelsat).

الإنترنت كوسيلة اتصال: الخصائص والمزايا

يحتل الإنترنت الشكل الأكثر حداثة وتطوراً من أشكال الاتصال الإلكتروني الوسيط الذي لا يتم إلا عن طريق وسيط تتبادل من خلاله أطراف العملية الاتصالية رسائلها الاتصالية. وعلى الرغم من أهمية هذا النوع من الاتصال إلا أنه لم يحظ بالعناية التي يستحقها من قبل رواد علم الاجتماع الأوائل إلا أنه لم يتعامل معه هؤلاء الرواد كنظام (System) من أنظمة المجتمع، فقام بعد ذلك بتدور فاعل في المجتمع وفي حركة تغييره؛ وإنما تحدثوا عنه ضمن تطبيقاتهم للدور الذي تقوم به التكنولوجيا بشكل عام في المجتمع، وذلك باعتبار أن التوسيط التي يستخدمها هذا النوع من الاتصال ليست سوى شكل من أشكال التكنولوجيا.

(1) من دول صورة واضحة حول واقع الانترنت في العالم العربي قطر، أنشأت الندوة التي نظمتها مؤسسة ثومان في عمان في عام (2002) تحت عنوان: "المطويات في الوطن العربي: الواقع والآفاق، مراجعة وتقديم أحمد أبو الجهداء، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والبحوث، 2001".
 دبل، علي (2001)، الثقافة العربية وعصر المعلومات: رؤية مستقبلية، الطبعة الأولى، عمان، عالم المعرفة، عدد 265، يناير، الكويت.
 مركز جين للدراسات الاستراتيجية (2000)، ثورة المعلومات في الشرق الأوسط، عمان، الأردن.

وفي هذا الصدد، لم يَرَ علماء الاجتماع الدوركهايمي (Durkheimians) في هذه الوسائط الاتصالية سوى شكل من الأشكال التي تصل على التضامن العنصري (Organic Solidarity) بين أفراد المجتمع ويحلصه تلك التضامن الذي يحقّه الاتصال الذي يتم من خلال التلفون، مثلاً، كما نجدهم في الوقت نفسه يلعبون إلى شكل آخر من أشكال تكنولوجيا الاتصال هذه (الاتصال الإذاعي والتلفزيوني) (Broadcast Media) قوة كبيرة في إيجاد حلقة من التوازن والتضامن بين أفراد المجتمع عن طريق ما يحدثه فهم من تصورات جمعية⁽¹⁾ (Collective Representations) مشتركة بينهم (Alexander, J. 1988).

ولما نظرة الأوائل من علماء الاجتماع الماركسي (Marxists) إلى هذا النوع من تكنولوجيا الاتصال فيها لا تتعدى كونها إحدى وسائل الإنتاج الفكري والثقافي والأيديولوجي التي تلجأ إليها الطبقات الحاكمة في المجتمع من أجل استغلالها لفرص سيطرتها وهيمنتها وبسط نفوذها على أفراد المجتمع بصورة دائمة ومستمرة (Schaller, H. 1996).

ولما علماء الاجتماع الفيري (Weberians) فونطون في فهمهم لهذا النوع من تكنولوجيا الاتصال من المنطلق الذي لاطلق منه ماكن فير نفسه عند تحليله للدور الذي تلعبه التكنولوجيا في انتشار العقلانية (Rationalism) في المجتمعات الرأسمالية الغربية، فهي برأيهم، أداة فاعلة في دعم العقلانية لأنها تقلل

(1) يضم عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايم (1858 - 1917) المجتمعات إلى قسمين على أساس بنائها: روستالها الاجتماعية، أي تلك، برأيه، مجتمعات بسيطة ومحدودة العدد وغير معقدة أو متشعبة نسبياً، وهي موجودة في أوقات قديمة تقسم العمل بين أفرادها، إذ يقوم الأفراد فيها بمختلف أوجه النشاط الاجتماعي، ويوجد هذا النوع من المجتمعات روابط قوية تصل في حركات القرابة والنسب كما في الجماعات القبلية. وقد افترق من المجتمعات لا تنظر فيها لتكنولوجيا المعقدة لأنها لا تعطيها، وإنما ما وجدت، كالقانون مثلاً، فهنا تلك بهدف زيادة كفاءتهم الفعري. ولما افترق الثاني من المجتمعات فهي المجتمعات ذات البناء الاجتماعي المعقد أي المجتمعات الصناعية التي يوجد فيها قسم معقد العمل، كما يوجد هذا النوع من المجتمعات ما يسمى (دور كايم)، أي روابط العضوية التي تشبه الروابط التي تجمع أعضاء الكائن الحي، حيث يرتبط الأفراد فيما يرتبط تلكه بسبب قسم العمل الذي يتطلب شأناً وتخصصاً بالأنوار التي يقومون بها. ويحتاج الإنسان في هذه المجتمعات لنموذ من الأفراد لتكميل حياته. وهذه الاعتمدية القبلية تشكل أساس التضامن والتعاون الاجتماعي بينهم. وتعتمد هذه المجتمعات على تكنولوجيا المعقدة، الإنتاج والتلفزيون، الصحافة، أسياً في تسير الكثير من أعمالها مما يؤدي إلى ضعفها الذي يوازنها الاجتماعي. انظر في ذلك.

Ritzer, G. (1996). Sociological Theory. New York: The McGraw-Hill. Fourth Edition.

من القيود التي يفرضها الزمان والمكان على الأطراف المتصلة حين تتواصل فيما بينها، ونختصر الكثير من الجهد والعناء، وبذلك، فإنها تساهم في انتشار العالمية التي يعتقد غير أنها قوام النظام الرأسمالي في المجتمعات الرأسمالية (Collins, R. 1979) ⁽¹⁾.

ويرى القيريون، أيضاً، أن هذا النوع من تكنولوجيا الاتصال، وبخاصة الإذاعي والتلفزيوني، إنما يعمل على تزويد المجتمع بعناصر الثقافة ذات الميزة المرموقة والعالمية في هذه المجتمعات (المصدر السابق).

ولكن البديلت الفعلية والجهود الحقيقية التي تقرب أَسْبابها من فهم طبيعة البعد الاجتماعي لهذا النوع من الاتصالات الإلكترونية الوسيطة في المجتمع، وبخاصة الرقمية (Digital Communication) ابتدأت في نهاية السبعينيات وذلك على يد عالم الاجتماع دانييل بيل (Bell D, 1973)، ونمت في التسعينيات على يد بعض العاملين في العلوم الاجتماعية وبخاصة مانويل كاستلز (Castells, M, 1996) وجون ثومبسون (Thompson, J, 1990, 1995)، ولتوني جينز (Giddens, A, 1994)، وزجت يارمان (Bauman, Z, 1997)، وهيرمانس (Habermas, J, 1987) وجيمس سليفن (Slevin, J, 2000).

لقد كان بيل، في الحقيقة، من أوائل علماء الاجتماع الذي خصصوا وقتاً لا بأس به لتحليل الدور الذي يقوم به هذا النوع من الاتصالات في تيسير عملية التغير الاجتماعي، وتسهيل التواصل بين الأفراد في المجتمع، إضافة إلى جهوده في تحليل التأثيرات الاجتماعية التي تتركها هذه الاتصالات، وبخاصة الرقمية منها، على المجتمع.

(1) بعد علم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (1864 - 1920) ونشأ من أعظم علماء الاجتماع الذين طوروا في نهاية القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين، وبذلك ألهم بكثرة لا مجال للمرض فيها هذا ولكن يكفي القول بأن أسسه وبخاصة "الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية" و "نظرية النظام الاجتماعي و الاتصالي"، و تطويره تلك منهجية في دراسة علم الاجتماع أطلق عليها النموذج المثالي (Ideal Type) دفعت بسيرة علم الاجتماع إلى الأمام بشكل واضح. ففي كتابه الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية " يطرح فيبر نظراً بدلاً من تحليل عملية التغير الاجتماعي ملاحظة عن الظروف المساعدة وأصب فيها مفهوم المثالية أو التزويد المخطط للنظام دوراً أساسياً في تشكل المجتمعات وتغيرها الفكري في تلك المراجع السابق لـ جورج ريتزر.

وأما مانويل كاستلز فقد كان من بين أوائل العلماء في التسعينيات ممن شدد على أهمية هذا النوع من الاتصالات والدور الفاعل الذي قامت به، وما زالت تقوم، في حياة الناس، مدخلة المجتمعات المعاصرة إلى عهد جديد هو "عصر المعلومات" (Information Age)، حيث غدت هذه الاتصالات بأشكالها المختلفة، وبخاصة الإنترنت تتغلغل في كل منحنى من مناحي الحياة اليومية. ونرجع أهمية أعمال كاستلز، في الواقع، إلى تأكيد على الدور البارز والحيوي الذي يقوم به الإنترنت في المجتمعات المعاصرة؛ إذ يرى أن العزايا الفريدة لهذه الوسيلة الاتصالية تجعل منه أعظم منجزات الثورة لتكنولوجية في عالم الاتصال الإنساني (Castells, M., 1996).

ويذهب كل من جودنز، وثومبسون، وسلفن وبارمان في الاتجاه نفسه، ليؤكدوا على جانب آخر من جوانب هذه التكنولوجيا الاتصالية وهو النمط الثقافي الذي نجم عن هذه التكنولوجيا، إنه نمط لا يشبه أي نمط ثقافي مألوف ومتعارف عليه. فهو نمط جديد بالتحليل، برأيهم، لتكوين خصائصه ومميزاته الثقافية. (Bauman, Z, 1997 Giddens, A, 1994, Thompson, J 1995, Slevin, J, 2000.)

وتعود أسباب انتشار الإنترنت بشكل كبير في الواقع، إلى تلك الخصائص والمزايا التي يتمتع بها دون سواء من وسائل الاتصال الوسيطية الإلكترونية الأخرى. إذ قل أن نجد وسيلة اتصالية واحدة مثله تضم خصائص أكثر من وسيلة من وسائل الاتصال؛ فهو يجمع بشكل تكاملي بين خصائص الاتصال الجماهيري ووسائل الاتصال الجمعي وكذلك الشخصي في آن واحد. فهو على سبيل المثال يتيح لمستخدميه تفاعلاً ثنائياً كلفدي يتيح لهم الاتصال لشخصي، ويمكنهم من التحدث والتراسل في نصائيا وموضوعات مختلفة مع شخص أو أكثر في أكثر من مكان في آن واحد (غرف المحادثة / الدردشة)⁽¹⁾، كما أنه يزودهم بالأخبار والمعلومات، ومصادر المعرفة في أي موضوع من الموضوعات التي يريدونها. وبالإضافة إلى كل هذا فإنه قادر على مدغم بصورة بصرية وسمعية متنوعة مثلما تفعل وسائل

(1) نستخدم هذه التسمية مصطلح غرف المحادثة أو التحدث كترجمة للمصطلح الإنجليزي (chatting rooms). ومع ذلك نجد أننا لا نرى به من الباحثين يستخدم مصطلح (الدردشة) كترجمة لهذا المصطلح، ولكن لا نشاركهم الرأي في ذلك لأننا لا نقر بأن هذه الكلمة هي اللغة العلمية.

الاتصال الجماهيرية (Castells, M. 1996; Slovic, J, 2000; Krant, R, etal, 1998;)
- (Morris, M, and Ogan, C. 1996; Newbagen, J and Rafaceli, S, 1996).

وبالعودة إلى الدراسات التي تناولت الإنترنت كوسيلة اتصال ذات خصائص
فريدة من نوعها في هذا المجال فإننا نجد أن غالبيتها كانت قد قلقت بحث مقارنات
بين خصائص الإنترنت وخصائص وسائل الاتصال الأخرى، وبخاصة الجماهيرية
منها.

وفي هذا الصدد تعتبر محاولة ثومسون (1990) ولس (2000) في فهم هذه
الخصائص من أهم المحاولات في هذا الاتجاه، إذ يستند ثومبسون في توصيفه
لخصائص الإنترنت على الطريقة التي يشترك فيها مع غيره من وسائل الاتصال
وبالأخص الجماهيرية منها. ولجده بحث مقارن بين الإنترنت وبين هذه الوسائل
باعتبارها وسائل نقل ثقافي في المجتمع.

يرى ثومبسون أن وسائل الاتصال الجماهيرية هي، في الواقع، مؤسسات
ضخمة تستند إلى قاعدة اقتصادية متينة، وتكنولوجيا معقدة تنتج أشكالاً متنوعة
ومختلفة من السلع الثقافية (أخبار، وأفلام، مطبوعات، ومعارف، وأغاني...إلخ)،
تقوم بتوزيعها ونشرها على ملايين الأفراد المستهلكين لها، والذين هم بالطبع،
مجهول الهوية الثقافية والمعرفية والسياسية والإتكية والعرقية والطبقية لدى منتجي
هذه السلع في المؤسسات الاتصالية (Thompson, J 1990).

ومع أن هذا المفهوم لوسائل الاتصال الجماهيرية لا يختلف كثيراً عن المفهوم
الذي نجده لها في أدبيات الدراسات الاتصالية، إلا أننا نجد ثومبسون يتوسع، في
تحديده لخصائص الجمهور (Mass) المستهلك لإنتاجها، ويسهب في شرحه طريقة
صلها ليتأهل به ذلك بينها وبين خصائص الإنترنت.

لوسائل الاتصال الجماهيرية، برأيه، تحتاج إلى خبراء ومختصين في إنتاج
السلع الثقافية ليتناسب مع تنوع خلفيات جمهورها المستهلك واتجاهاته ومعارفه
وأذوقه. وبالإضافة إلى هذا فإن عملية الإنتاج الثقافي نفسها عملية معقدة للغاية
تتحكم بها عوامل سياسية واقتصادية وتكنولوجية من نوع خاص. (Thompson, J. 1990).

لما فرما يتعلق بطبيعة الإنتاج الثقافي في الإنترنت فهو من طبيعة تختلف عن طبيعة إنتاج مؤسسة الاتصال الجماهيرية له؛ فهو نظم مفتوح نسبياً بين المنتج والمستهلك (المرسل والمستقبل)، ولا يتطلب جهداً ضخماً من إنتاجه كالذي تتطلبه عملية الإنتاج في وسائل الاتصال الجماهيرية، مع العلم أن هناك مؤسسات ضخمة، تشبه مؤسسات الاتصال الجماهيري، تعمل في هذا الإنتاج ويعمل فيها خبراء متخصصون في تصميم برامج الكمبيوتر وبرمجياتها، وتصميم أنظمة الرقابة، وأنظمة الدخول والتشغيل، ونظم تخزين المعلومات ونقلها. ومع كل ذلك فإن متطلبات هذا الإنتاج والجهود المبذولة فيه تبقى أقل مما تتطلبه عملية الإنتاج الثقافي في مؤسسات الاتصال الجماهيرية. (Thompson, 1990, Slevin, J, 2000).

وعلى الرغم من هذه الاختلافات بين الإنترنت ووسائل الاتصال الجماهيرية، يبقى هناك اختلاف هام من نوع آخر بينهما يتعلق بطبيعة التفاعل بين منتجي هذه السلع وبين المستهلكها. ففي الاتصال الجماهيري لا توجد علاقة ولا تفاعل مباشر بين منتجي هذه السلع الثقافية (المرسلون) وبين المستهلكها (المستقبلون) بحكم طبيعة المؤسسة لهذا المنتج. ففي هذه الحالة تتحكم هذه المؤسسات المملوكة كمؤسسات منتجة لهذه السلع الثقافية بطبيعة المحتوى الثقافي بالطريقة التي تريدها، ولا يستطيع المستقبلون التدخل في ذلك كثيراً، لأن التغذية الراجعة (Feed back) بينهم وبين هؤلاء المنتجين مقطوعة القيد، (إلا في بعض الحالات الاستثنائية الخاصة، الأمر الذي سيكون مكلفاً مادياً، وبحاجة إلى تقنية دقيقة ومعقدة لتنفيذ ذلك.

ولما في حالة الإنترنت، فالوضع مختلف إلى حد كبير. ففي هذه الحالة هناك علاقة تفاعل وحوار بين منتجي السلع الثقافية (المرسلون)، وبين المستهلكها (المستقبلون) أي أن هناك تغذية راجعة بين الطرفين تسمح لكل منهما بالتحكم بقدر متساو من السلطة في تقرير تفوق سير العملية الاتصالية بينهم (Slevin, J, 2000, Habermas, J, 1987, Newhagen, J, and Rafacoli, S, 1996, Thompson, J 1990).

إن هذه الخاصية للإنترنت هي التي تجعل من العملية الاتصالية بين المرسلين والمستقبلين عملية متوازنة من حيث المشاركة في التفاعل والحوار الدائر بينهم من جهة، ومن حيث التحكم بطبيعة مجريات هذا الحوار من جهة أخرى. فلا سلطة لأحد الطرفين في هذه العملية على الآخر أكثر من غيره.

ويذهب ثومبسون في شرح طبيعة لشكل التفاعل التي أوجدتها الإنترنت بين مستخدميها، باعتباره وسيلة اتصال وسيطي كما نشرنا، وهنا نجد نميل بين ثلاثة أشكال من هذه التفاعلات وهي:

1. الاتصال الواجهي لمباشر (Face - to - Face Communication)

2. التفاعل الوسيطي (Mediated Communication) الذي يتم بين فرد ومجموعة من الأفراد أو العكس، كالتحدث مثلاً، أو عقد ندوات ومؤتمرات.

3. شبه التفاعل الوسيطي (Mediated quasi interaction). وهنا يكون التفاعل موجهاً من المرسلين/ متلقي التفاعل إلى عدد كبير جداً من الأفراد غير المعروفين لهؤلاء المرسلين، حيث يكون بإمكان هؤلاء المستقبلين الاستفادة من هذه المعرفة والمعلومات المتاحة لهم في مواقع الإنترنت المختلفة دون معرفة متممة هؤلاء المرسلين، (Thompson, J, 1995,) (Slevin, J, 2000).

ومن الخصائص الأخرى التي يتصف بها الإنترنت وتميزه إلى حد بعيد عن غيره من وسائل الاتصال الأخرى، كما يقول ثومبسون، هي إتاحة الفرصة لمستقبلي السلع الثقافية بكافة أشكالها الاستفادة منها في أي وقت وفي أي مكان وشؤون (Extension of availability in time-space). فطبيعة عمل الإنترنت القائمة على تخزين المعلومات والمعارف تمكن المستهلك من الاستفادة منها في أي وقت يشاء وأي مكان يريد، وذلك بخلاف السلع الثقافية التي تنتجها مؤسسات الاتصال الجماهيرية المتقيدة بزمان ومكان محددين (Thompson, J, 1995). فنحن مثلاً، كما يقول ثومسون، ماذا يحدث لمنتج ثقافي ما في وسائل الاتصال الجماهيرية، وماذا يحدث له في الإنترنت، إذا لم يشاهده أو يسمعه الجمهور في الوقت المخصص له. ويصرّب ثومبسون مثلاً على ذلك ليوضح وجهة نظره فيقول: خذ الإعلان على سبيل المثال في التلفزيون كوسيلة اتصال جماهيرية، لماذا يحدث في هذه الحالة؟ إننا نجد أن المنتج يدفع مبلغاً مالياً باهظاً الثمن لهذه المؤسسة، مقابل بث هذا المنتج وقت الذروة، ليضمن مشاهدته من قبل أكبر عدد ممكن من المشاهدين، ومع ذلك فالمعلن لا يتحكم بنتيجة هذه العملية؛ فقد لا يشاهده العدد المرجو من المستهلكين (المستقبليين)، بسبب عدم تواجدهم في بيوتهم،

أولئك مثاليهم بأعمالهم وقت البث التلفزيوني لهذا المنتج الثقافي. ففي هذه الحالة يكون المنتجون قد خسروا مبلغ طائلة دون أن تحقق أهدافهم. ولكن في حالة وسع هذا المنتج الثقافي، الإعلان، في مواقع الإنترنت فإن عملية استخدامه تبقى عملية متاحة أمام مستخدمي الإنترنت لمشاهدته في أي وقت يريدون وأي مكان يوجدون فيه (المصدر السابق).

وبالإضافة إلى هذه الخصائص الفريدة والمميزة للإنترنت، نجد بعض الباحثين يضيفون إليها خصائص ومميزات أخرى. ففي حوار جمع بين نيوهاجن ورافايلي حول " لماذا يتوجب على الباحثين دراسة الإنترنت " يحدد رافايلي الخصائص التالية لهذه الوسيلة الاتصالية وهي: (Newhagen, J. and, Rafaeli, S, 1996).

1- تعدد الوسائط التي يستخدمها الإنترنت (Multi - Media)، أي دمج الصور والأفلام والرسوم المتحركة والصوت، وحتى القائمة أيضاً، والتفاعل التبادلي مع المستخدم. فالإنترنت من هذا المطلق هو وسيلة اتصال جماهيرية ذات صيغة متكررة ومتغيرة، تمتلك خصائص الوسائط المتعددة. فحين نقرأ الصحف، ومواقع المعلومات، ونشاهد برامج تلفزيونية، ونطلع الكتب والمقالات ونتمتع بثلاثية مع الآخرين. كما أننا نتمكن من خلال هذه الوسيلة أيضاً من التعامل مع المعلومات عن طريق جهاز الكمبيوتر رقمياً تخزيناً وبثاً واستخدامها فوراً من طرف آخر بصورة دقيقة مع تطور هائل من حيث النوعية والسرعة والتكلفة والانتشار. إن جميع هذه الخصائص في الإنترنت تجعلها ذا جانبية من نوع خاص لدى الجهاز الحسي (Sensory Appeal) لمن يستخدمه من الأفراد، تفوق الجانبية الموجودة لدى وسائل اتصال أخرى.

2- النصية الفائقة (Hypertextuality)، سواء كانت رسماً أو خريطة أو ايضاحاً أو مواد مسموعة أو مرئية. (1)

(1) لا تكون النصية الفائقة " ترجمة دقيقة توافي الكلمة الإنجليزية (Hypertextuality) سلفها في المعنى. وسيعتبر ذلك فهي أقرب إلى المشكلات باللغة العربية فيها. فالأخبار تكمن (النصية الفائقة) هي التحوير الوهمي لأحداث لتكامل لتكلمة الإلكترونية وهي الشكل أيضاً إلكترونياً ولفظ بخصوص كأي من طريق روابط داخل النص. ومن أجل توضيح مفهوم النصية الفائقة نذكر:

حنا جريس (2004)، التمييز بين: خبر الكلمة الإلكترونية، في مستقبل الثورة العربية: العرب و العالم العربي، مجلة العربية، الكويت، من ص 128 - 135.

3- النقل التجمعي: Packet Switching.

4- التزامنية المرنة: The Elasticity Synchronicity.

5- التفاعلية: Interactivity ولعل هذه الميزة من أهم مزايا الاتصال عبر الإنترنت، لأنها تقر به من الاتصال الشخصي. وتجعله يتميز بها عن باقي وسائل الاتصال الجماهيرية كالنزيون الذي يعتمد على استجابات باهظة أو غير مباشرة بين المرسل والمتلقي؛ لا يتمكن المتفاعلون عبر الإنترنت من خلال الوسائط التي يستخدمونها - الكمبيوتر أو أجهزة الاتصال الخلوية - الاتصال بمصادر المعلومات ويحصلون على استجابة فورية من المصدر. ف أصبح متاحاً للفرد من خلال هذه الوسيلة الاتصالية، استقبال التلفزيون والصحافة والراديو بأسلوب تفاعلي، وفي الحقيقة فإن التطور المذهل في تكنولوجيا الاتصال السلمي والمرئي والتفاعلي - كالحاسوب والهاتف - قد جعل أداء الإنترنت في التفاعل التبادلي شيئاً يروق للتفصيل.

وعلى الرغم من الخصائص السابقة، تبقى هناك خصائص أخرى يضيفها بعض الباحثين تجعل من الإنترنت وسيلة اتصالية تروق لمستخدميها وتجعلهم يفضلونها عن غيرها من الوسائل الأخرى وهي:

1- مرونة استخدامه وسهولة الدخول إلى أي موقع من المواقع المتنوعة التي يريدونها مستخدموه، فلي شلوذا ومتى شلوذا ليلاً ونهاراً.

2- يسهل الاتصال عبر الإنترنت على توسيع شبكة علاقات الفرد الاجتماعية مع الآخرين على المستوى المحلي والإقليمي والدولي بصرف النظر عن خلفياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعرقية والجسمية (Bellamy, A., and Hanewicz, C, 2001).

3- يتيح الإنترنت للأفراد فرصة تقديم أنفسهم للآخرين (Self - Presentation) بحرية كبيرة ودون قيود، وهذه الحرية تعطيهم مجالاً رحباً لتقديم أنفسهم للآخرين بأكثر من طريقة، وليلعبوا أكثر من دور، وليقوموا بعرض أكثر من جانب من جوانب ذواتهم التي يصعب عليهم عرضها أو تقديمها في حالة الاتصال الواجهي. وعليه، فإن الاتصال الإلكتروني عبر الإنترنت يحسن ويجمل

بشكل كبير بعض الخصائص والصفات غير المرغوبة لدى بعض الأفراد، والتي لا يرغبون أن يعرفها الآخرون عنهم (كالعمر، والمهنة، والجنس، والطبقة، الإعاقة الجسدية، وبعض السمات الشخصية كالبدانة أو النحافة، أو الخجل إلخ)؛ إذ قد تعمل هذه الصفات والخصائص على إحراج الفرد وخشيته من عدم تقبل الآخرين له في حالة تقاطعه المباشرة معهم. ولما في حالة اتصاله عبر الإنترنت، فإن بإمكان الفرد إخفاء هذه الصفات، وعدم إبرازها إذا ما أراد، لذا، لا يشعر بالقيود أو الضيق أو الحرج، لأن طبيعة الموقف الاتصالي عبر الإنترنت، يتسم في كثير من الأحيان بالنموس، مما يجعل الفرد يشعر بحالة من اللاتعقّب في شخصيته (Anonymous). وهذا يعني أنه شبه مجهول الهوية للآخر مما يدفعه لإبراز جوانب كثيرة من شخصيته لا يبررها عادة في المواقف الاتصالية المباشرة والوجاهية، وغالباً ما تكون هذه الجوانب جوانب مثالية (Ideal).

إن إبراز الإنترنت لهذه الجوانب جعل بعض الباحثين، وبخاصة كنج (King, 1996) يعتبره أهم قنوات الاتصال الإلكتروني المعاصرة التي تعمل على إبراز الفرد لجوانب متعددة ومفرطة في النشاط والفاعلية من شخصية (Hyperpersonal Aspect)، لا يستطيع أن يبررها لوظهرها الاتصال الشخصي المباشر مع الآخرين بحكم القيود المفروضة على الفرد في هذا النوع من الاتصال.

4- إلى هوية الفرد غير المحددة (Anonymous) في الاتصال عبر الإنترنت، وخصوص الموقف الاتصالي في كثير من الأحيان بين الأطراف المتصلة تشجع الفرد على إرسال رسائل اتصالية للآخرين واستقبال رسائل منهم قد يتمنّز إرسالها واستقبالها في حالة الاتصال المباشر، وتجعله يقوم بأشوار مختلفة قد لا يقوم بها في المناسبات العادية أو المواقف الاتصالية الوجيهة.

5- ولما الخاصية الأخرى للاتصال عبر الإنترنت فهي مباحة للأفراد بالتغز فوق الحدود الجغرافية التي تفصل بينهم مما يتيح الفرصة أمام من يشتركون بالآكار متشابهة ومصالح مشتركة وهوايات معينة وخلفيات اقتصادية وسياسية وافية متشابهة من الالتقاء والتواصل فيما بينهم؛ وهذا يكون الإنترنت قد صل على شبكة العلاقات الإنسانية. (Bellamy, A, and Hanewicz, 2001).

وهكذا، فإن الخصائص السابقة جميعها تجعل من الإنترنت وسيلة اتصال فريدة؛ فهو من جهة يشترك مع وسائل اتصالية أخرى في خصائص معينة، ومن جهة ثانية يتفرد بخصائص تجعل آلات الأفراد بفصلونه على أي نوع آخر من أنواع الاتصال الأخرى. وعليه، فإن لقبال الناس على استخدامه واستعماله يتزايد يوماً بعد يوم، مما سترك العديد من التأثيرات النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية على استخدامه يصعب التنبؤ بشكل دقيق بمدى قوتها وشدة تأثيرها عليهم.

الإنترنت كنظام اتصالي: نظرة إلى المستقبل

تمر كل وسيلة اتصالية بأربع مراحل قبل أن تستقر في المجتمع وتحظى بقبوله وشرعية وجوده. تتميز المرحلة الأولى من هذه المراحل بإثارة اهتمام المجتمع بتلك الوسيلة، أي النظر إليها باعتبارها لعبة - وسيلة تثير الإعجاب وأما المرحلة الثانية فهي مرحلة تعمق اهتمام المجتمع بتلك الوسيلة، وبدائية توجبه له لبعض الانتقادات إليها، والاستفسارات من نتائجها وتأثيراتها المتوقعة. وأما المرحلة الثالثة، فهي مرحلة تجاوز تلك الوسيلة للانتقادات السابقة، بسبب التقدم الفني الذي طرأ عليها، واكتساب المجتمع معرفة أكثر صفاً بها. وهذه المرحلة يمكن وصفها بأنها بدائية الاعتراف بشرعية تلك الوسيلة.

وأما المرحلة الرابعة والأخيرة، فهي مرحلة الاعتراف بتلك الوسيلة، على الأقل لدى عدد كبير من الناس، حيث تنغمس تلك الوسيلة بالمجتمع وتصبح جزءاً من ثقافته العامة، لا يستغنون عنها، وربما تصبح جزءاً أساسياً في المجتمع، لا يكون للثقافة فيه معنى في غيابها. (Gumpert, G, and Cathcart, R. 1982).

فهل يشكل الاتصال عبر الإنترنت نظاماً اتصالياً جديداً في المستقبل، يضاف إلى الأنظمة الاتصالية المستقرة في المجتمع؟ يتمتع الإنترنت، في الحقيقة، بخصائص اتصالية فريدة قل أن نجدها مجتمعة في وسيلة اتصالية أخرى، كما أوضحنا، ومع ذلك قد يكون من الصعب الإجابة بشكل دقيق على هذا التساؤل في هذا الوقت المبكر من عمر الإنترنت، ولكن خصائصه الاتصالية الفريدة والإمكانيات التكنولوجية الهائلة التي يغطي بها تجعلنا ميالين إلى الاعتقاد بذلك. فقد لا نبالي إذا قلنا بأن الخصائص السابقة للإنترنت، وتعدد الخدمات والمعارف التي

يقدمها لمستخدميه، والإقبال المتزايد على استخدامه في كافة المجالات قد تجعله يتفوق على وسائل الاتصال الجماهيرية الأخرى، ربما باستثناء التلفزيون، إلى الحد الذي قد تصبح معه هذه الوسائل عاجزة في المستقبل عن ممتلكاته والحق به. وقد نتجراً فذهب أحد من هذا القول بأن بقاء هذه الوسائل واستمرارية وجودها سيكون مرهوناً بمدى قدرتها على مجاراة في تقديم الخدمات والمعارف والمعلومات لمستخدميها.

ولكن الإمكانيات التكنولوجية التي يتخطى بها الإنترنت ليست وحدها هي التي تجعلنا نتنبأ بالمكافئة المرموقة التي سيحظى بها في المستقبل، فهذه الإمكانيات لا تضمن في حد ذاتها تحولها إلى نظام اتصال في المستقبل؛ بل هناك عوامل أخرى غير ذلك تكمن في بنية المجتمع الرأسمالي نفسه. وهنا يمكن القول بثقة عالية إن طبيعة البنية الاقتصادية للمجتمع الرأسمالي الغربي، هي التي ستساعد على تحويله إلى نظام اتصالي جديد، ذلك لأن خصائص المجتمع، أي مجتمع، هي التي تحكم في نوع وسائل الاتصال التي يعتمد عليها الأفراد، وهي التي تحدد لها من هذه الوسائل يصلح أو لا يصلح لأن يكون نظاماً اتصالياً جماهيرياً، فالعلاقة بين النظام الاتصالي في أي مجتمع والأنظمة الأخرى فيه هي علاقة تبادلية واعتمادية. فهل هناك ما يشير إلى أن الاتصال عبر الإنترنت، من خلال الكمبيوتر والتلفزيون، مرشح في المستقبل في المجتمع الرأسمالي الغربي ليكون نظاماً اتصالياً؟

قدنا مهلقون مرة أخرى إلى الاعتقاد بذلك نظراً لأن النظام الاقتصادي والاجتماعي لهذا المجتمع يقتضي الاعتماد على الإنترنت، كما اعتمد على سلفيه من وسائل الاتصال الجماهيرية الأخرى في الترويج لمشاريعه الصناعية والتجارية والاقتصادية والترفيهية، تلك المشاريع التي يقوم عليها النظام الرأسمالي برمته. ونستند في هذا الاعتقاد إلى بعض المسلمات والاقتراضات التي تقوم عليها للنظريات الاجتماعية الكبرى في علم الاجتماع.

إد يعتقد البنائيون - فونطريسون - من علماء الاجتماع (Structural Functionalists)، بأن الوسيلة الاتصالية القابلة للحياة والقدرة على الازدهار والنمو في أي مجتمع من المجتمعات هي الوسيلة التي يكون بمقدورها القيام بوظائف محددة للنظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي في ذلك المجتمع؛ إذ يتحتم عليها

حتى تعرض أي عمل على ثلابة احتياجت ذلك للنظم، والمحافظة على استقراره، بالإضافة إلى سعيها لخلق حلقة من الرضا والإجماع الكلي بين أفراد المجتمع حول القضايا أو الموضوعات التي يتبناها ذلك النظم. فهل سيكون بمقدور الإنترنت القيام بهذه الوظائف؟ إلى قدرته على الحياة في المستقبل، إذا، مرهونة بذلك. وهو في الحقيقة، قادر على ذلك.

وأما الماركسيون من علماء الاجتماع، وبخاصة الجدد منهم، فإفهم يرون أن الوسيلة الاتصالية القادرة على الحياة في المجتمع، وبخاصة الرأسمالي البصناعي، هي الوسيلة التي بمقدور الجماعات والقرى الاجتماعية المتصارعة فيه الاعتماد عليها بشكل الفصل من غيرها من الوسائل في خدمة مصالحها الذاتية. إذ ينطج صراع المصالح المختلفة بين الجماعات داخل المجتمع إلى اللجوء إلى استعمال الوسيلة التي يكون بمقدورها حماية هذه المصالح والترويج لها والفصل على قبولها بين أكبر عدد ممكن من الناس. (Murdock, G, and Golding, P 1977, Garmham, N, 1979). فهل بمقدور الإنترنت القيام بهذا الدور؟ في الواقع، هناك عشرات الشواهد والأدلة اليومية التي نتعرض لها في المواقع المختلفة في الإنترنت نجعلنا نجيب على ذلك بالإيجاب، وبخاصة ما رأيناه قبول "الحرب على العراق" وفي أثناء الحرب وبعدها، كيف لجأت "قوت التحالف"، إلى الإنترنت للترويج لأفكارها وسياساتها في حربها على "الأخر - العراق" "المختلف" عنها من أجل تهيلة مناخ الرأي العام لشن هذه الحرب، وإضفاء الشرعية على ما تقوم به من أعمال وسلوكات ضد ذلك "الأخر"، وكيف رأينا، بالمقابل وما نزال نرى، لجوء الجماعات الأخرى المفلومة لقوت التحالف، إلى الوسيلة نفسها ومن أجل أهداف مختلفة.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن لدينا ما يعزز اعتقادنا ويدعمه، بأن الإنترنت قد شكل نظاماً اتصالياً جماهيرياً من نوع خاص في المستقبل القريب، وهو تلك السمات التي تركز إليها نظرية التفاعلية الرمزية (Symbolic Interactionism)، إذ يرى التفاعليون الرمزيون، وبخاصة ذوو التوجه قبائلي، بأن الأفراد في المجتمع إنما يلجأون إلى وسائل الاتصال الجماهيرية لتكوين معنى مشتركة للعالم الاجتماعي والمادي الذي يعيشون فيه من أجل مساعدتهم على فهمه، ومن أجل تسهيل تفاعلهم وتواصلهم اليومي فيه. وكلما رانفت الأحداث المحيطة بهؤلاء الأفراد تحقروا

وخصوصاً وتوتراً وتأزماً، بحيث يكون من الصعب عليهم الإلمام بجميع جوانب هذا الموضوع والتأثر بجهودهم الدقية، زاد اعتمادهم على هذه الوسائل من أجل توضيح هذا الموضوع وإزالة ذلك الإبهام، والتعامل مع تلك المخاطر والأزمات.

وإذا ما علمنا بأن العالم الذي نحيش فيه الآن يكتنفه الكثير من الموضوع والأزمات والمخاطر، التي ليس بمقدور الأفراد وحدهم حلها أو التعامل معها، لأدركنا حينها لماذا سيزيد اعتماد الأفراد على هذه الوسائل، فهل بمقدور الإنترنت الاستطلاع بهذا الدور؟ في الواقع، يمتلك الإنترنت من المزايا والخصائص، ما يجعلنا ميلين إلى الاعتقاد بأنه مرشح هو والتلفزيون أكثر من غيرهما في السنوات القادمة للاستطلاع بذلك.

بقي هناك عامل آخر في غلبة الأهمية يريد من توقعنا لاحتمال بروز الإنترنت في المستقبل ليشكل نظاماً اتصالياً فريداً في المجتمعات الرأسمالية، وهو أن جزءاً كبيراً من إدارة هذا النظام يقوم على نفس الأسس والمبادئ التي قامت عليها أنظمة الاتصال الجماهيرية التي سبقتها، وهو طرح المادي فساداً لدفع الربح المادي يحظى بقر كبير من الأهمية في هذه المجتمعات، ومادام الإنترنت يقوم بدور فاعل في ذلك، من خلال الإعلانات والبيانات التي يقدمها لشركات ومؤسسات عملاقة، ومن خلال صناعة الترفيه والتسلية التي تلقى قبولاً واستحساناً بين فئات كبيرة جداً من الناس، فبفه مرشح ليكون نظاماً اتصالياً جديداً يضاف إلى الأنظمة الاتصالية الأخرى.

وأما في المجتمعات العربية، وبخاصة تلك التي تحدد ثقافتها وتقليدها الاجتماعية من التفاعل المباشر بين الجنسين، أو تلك التي يصل نظامها الاجتماعي والتقالدي على إغراق قنوات الاتصال الوجداني المباشرة وسدها بين الأفراد، فإننا نتوقع أن يردد إقبال الأفراد فيها على استخدام الإنترنت كوسيلة اتصال "تعريضية" / غير مباشرة، فالاتصال، كما هو معروف، حاجة اجتماعية ونفسية وضرورية حتمية لا يستطيع أحد النجش بدونها، وهذا يعني أن لشباب في هذه المجتمعات سيبحثون ويبحثون عن سبل للتواصل بينهم على الرغم من اعتماد قنوات الاتصال المباشر بينهم، مما يجعل الإنترنت، أحد أهم هذه الطرق في تلك المجتمعات وقد لا

بعضهم إقبال الشباب مستقبلاً على الإنترنت سوى الاتصال عبر التلفزيون الجوال (Mobile phone) في هذه المجتمعات.

وبالإضافة إلى هذا لابد الثقافي - الاجتماعي هناك بعد اقتصادي آخر بروز من احتمالية بروز الإنترنت كنظام اتصالي في المجتمع العربي، وهو لابد المادي؛ إذ بدأت العديد من الشركات والمؤسسات الاعتماد عليه أكثر من غيره في الترويج لمشاريعها الاقتصادية، شأنها في ذلك شأن المجتمعات الصناعية، وإن كانت للصناعات في المجتمعات العربية أقل كثافة وتعقيداً.

وبعد أن عرضنا لمستقبل الإنترنت واحتمالية بروزه كنظام اتصالي متميز وفريد، سنقوم في الصفحات القادمة بعرض لأهم النظريات التي تناولت مسألة تأثيراته التي يتركها على مستخدميه من الشباب.

تأثيرات الإنترنت: منظور موسيوي اتصالي

مقدمة

هل يمتلك الإنترنت قوة تأثير على مستخدميه؟ في الواقع لم يطور الباحثون الاجتماعيون نظرية خلسة بذلك. فالمالية العظمى من المحاولات التي تمت بهذا الشئ كانت قد عالجت هذه التأثيرات ضمن الفهم العلم الذي كتمته نظريات وسائل الاتصال الجماهيرية لهذه المسألة. فقد تعاملت هذه المحاولات مع الإنترنت باعتباره وسيلة اتصال جماهيرية ينطبق عليها ما ينطبق على وسائل الاتصال الجماهيرية الأخرى.

وفي هذا الصدد، تعتبر دراسة موريس وأوجان (Morris, M, and Ogan, C,) (1996) من المحاولات الرائدة التي قامت بتطوير خصائص الإنترنت كوسيلة اتصال، ومقارنتها بخصائص وسائل الاتصال الجماهيرية. وقد توصلت إلى نتيجة مفادها أن الإنترنت يتمتع بالخصائص نفسها التي تتمتع بها وسائل الاتصال الجماهيرية الأخرى، وعليه فإنه من الأجدر والأحرى أن ندرس تأثيراته على مستخدميه من الأفراد ضمن دراسة للنظريات الاجتماعية والاتصالية العلمية التي عالجت قضية تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرية.

ومع أننا لا نقر كثيراً مثل هذه النتيجة نظراً لتعدد الإنترنت بخصائص تميزه عن خصائص الوسائل الجماهيرية الأخرى، كما بينا في الصفحات السابقة، إلا أننا مضطرون لقبولها وقبول المحاولات الأخرى المشابهة لها مرحلياً بهذا الخصوص، حتى يطور الباحثون الاجتماعيون نظرية خاصة بالإنترنت كوسيلة اتصال من نوع خاص. وعلى ما يبدو، فإن طوبنا أن نتقنر وقتاً لا بأس به قبل أن نتطور مثل هذه النظرية، لأن البحث في هذا المجال ما يزال في طوره الجنيني، وبخاصة في المجتمع العربي.

وحتى نبرر مثل هذه النظرية ونرى النور، فإننا سنبقى ننظر إلى التأثيرات التي يتركها الإنترنت على الأفراد، ضمن ما كتمته النظريات الاجتماعية المعروفة في أدبيات وسائل الاتصال الجماهيرية من تفسيرات لذلك. لذا سنقوم الآن باستعراض تاريخي لهذه النظريات، على الرغم من الصعوبات المنهجية التي

تكتف مثل هذه المحاولة. لابد منها، لأنها ستساعدنا على فهم التغيرات والتحديات التي طرأت على كل نظرية من هذه النظريات من جهة وعلى تطور الفكر الاجتماعي في هذا الموضوع من جهة أخرى.

ولكن قبل أن نشرع بهذه المحاولة نود التأكيد على أمرين في غاية الأهمية وهما:

1. أن عملية السرد التاريخي التي ستقوم بها لهذه النظريات الكبرى (Grand Theories) قد لا تحظى بقبول بعض الباحثين الاجتماعيين. فما قد ندرجه هذه الدراسة من مدخل فرعية تحت نظرية ما من هذه النظريات قد نجده مدرجاً تحت نظرية أخرى في بعض الأدبيات بهذا الشأن، ذلك لأن المكان المناسب لهذا المدخل الفرعي أودك تحت هذه النظرية أولاً، أمر خلافي بين الباحثين (McQuail, D: 2000) وحتى نتجنب ذلك، قدر الإمكان لجأنا إلى الترتيب الذي يحظى بقبول الأكثرية منهم وبخاصة الباحث ملقن دولور وساندرا بول روكش في صلبهما للميراث نظريات وسائل الاعلام. (Defleur, M. and Ball Rokeach, S, 1989).

2. ولما الأمر الآخر الذي لابد من توضيحه فهو تعدد الآراء وغرابة النظريات التي تناولت مسألة التأثيرات التي تتركها وسائل الاتصال الجماهيرية على الأفراد، فهناك من الباحثين من تشغل بدراسة التأثيرات من حيث المدى الذي تتركه على الأفراد: هل هو قصير أم طويل؟ وهناك من تشغل بدراسة هذه التأثيرات من حيث كونها مباشرة أم غير مباشرة، وهناك أيضاً من صنف جهده وأولى اهتمامه بجانب آخر من جوانب التأثير، وهو الجانب المنطوق بنوع التأثير: هل هو تأثير على المستوى العاطفي؟ أم المعرفي؟ أم السلوكي؟.

وهناك مجموعة أخرى من الباحثين انشغلت بجانب آخر من جوانب التأثير وهي الشروط التي يجب توافرها حتى يتم التأثير. وفي هذا الصدد تبرز قسم منهم لدراسة العوامل التي تتصل بالمصدر الاتصالي، وقسم آخر منهم ركز على العوامل المتعلقة بالبيئة الاجتماعية التي يتم فيها مثل هذا التأثير، في حين نجد فئة أخرى منهم انشغلت بعوامل التأثير ذات العلاقة بالرسالة الاتصالية ومحتواها المعرفي،

وفي الوقت نفسه تجد مجموعة منهم تصدت للعوامل المتوقعة بمستقبل الرسالة الاتصالية.

ونظراً لهذا التشعب والتمايز والتعدد في احتمالات الباحثين في مسألة تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرية، فإننا لن نرجح بأنفسنا في هذا الأسلوب الملتهب، بل سنعرض للنظريات الكبرى التي عالجت مسألة التأثيرات ورؤية كل واحدة منها لكل مسألة فرعية من المسائل السابقة⁽¹⁾

مدخل التأثير القوي المباشر

يحتل هذا المدخل (Approach) ⁽²⁾ من وجهة النظر التاريخية أقدم المدخلات التي حاولت تقديم تفسير لمسألة تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية على الأفراد؛ حيث ساد في مطلع العشرينيات والثلاثينيات من القرن المنصرم اعتقاد بقوة هذه الوسائل ذهب بمصهم إلى تشبيهه بالطلقة المجرية (Magic bullet) ومن هنا جاء اسم المدخل.

ويعتقد دعاة هذا المدخل أن وسائل الاتصال الجماهيرية تتمتع بقوة قصوى ومباشرة وفورية على الأفراد. لديها القدرة على حملهم على تغيير آرائهم واتجاهاتهم الوجهة التي يرغبها لقائم بالاتصال (Defleur M. and Pall - Rokeach, S, 1989).

ولقد بنى أصحاب هذا المدخل اعتقادهم بقوة وسائل الاتصال الجماهيرية في التأثير على الأفراد، على بعض الافتراضات النفسية والاجتماعية المستمدة من طمس النفس والاجتماع السائدة آنذاك. ففي المجال النفسي ساد الاعتقاد بأن الأفراد إنما تتحركهم عواملهم و"خزائهم" التي ليس بمقدورهم السيطرة عليها بشكل إرادي، فإذا ما استطاعت وسائل الاتصال حقنهم بمعلومات معينة تخاطب هذه

(1) لتزيد من الاطلاع على هذا التشعب في دراسة التأثيرات فنظر على سبيل المثال لا الحصر العمل التالي:
- محمد بن عبدالرحمن المصطفى (1998)، كيف تؤثر وسائل الإعلام؟ دراسة في النظريات والأساليب.
الرياض: مكتبة الشبيكان.

(2) لا فرى إراء أصحاب هذا المدخل وصورتهم حول تأثيرات وسائل الاتصال على الجمهور في الحقيقة، إلى مستوى نظرية اجتماعية مثالية فهم تصوروا عليها ومبنا لهذه التأثيرات، لذا نكتلنا بإيجاز اسم مدخل "Approach" عليها لنبيرها عن النظريات الأخرى.

"الغرائز" والمشاعر فإنهم يستثغرون مباشرة بهذه الحفلة الاتصالية ويستجيبون لها فوراً⁽¹⁾

ولما على المستوى الاجتماعي، فقد صاد اعتقاداً ليساً بالأفراد في المجتمعات الجماهيرية -- الصناعية هم مخلوقات سلبية ومعزولة عن بعضها البعض نفسياً واجتماعياً، ولا توجد بينهم روابط قوية تجمعهم في هذه المجتمعات. لذا، فهم فريسة سهلة لا يوجد من يحميها أمام ما تمارسه وسائل الاتصال عليهم من تأثيرات بخراب هذه الروابط والعلاقات الاجتماعية. (المصدر السابق).

ومع أننا لسنا هنا بصدد مراجعة نقدية لهذه المطلقات النفسية والاجتماعية، إلا أنه من المناسب التأكيد بأن هذه المطلقات فيها من عدم الدقة العلمية والتبسيط وموه للفهم لطبيعة العلاقة بين الجمهور ووسائل الاتصال ما يجعلنا نسلطها من اعتباراتنا حين نود أن نقدم فهماً دقيقاً لطبيعة هذه العلاقة؛ فالادعاء بالتأثير المباشر والقرري لوسائل الاتصال الجماهيرية على الجمهور (Straitforward and direct)، لم يلق، في الحقيقة، قبولاً لدى الباحثين في ميدان الاتصال الجماهيري في السنوات اللاحقة لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولم يصمد أمام الانتقادات التي وجهها إليه هؤلاء الباحثون. فهو يرأى لهم مجرد ادعاء (Assumption) لا يوجد ما يثبت أنه يؤيد، وبخاصة مفهوم القرينة والمجتمع الجماهيري (Mass Society)، تجريبياً ومبنيًا من جهة، ولأنه لا يأخذ لحسابه الا اعتبار البنية النفسية القديمايكية للفرد، ولا الظروف الاجتماعية والثقافية المحيطة به كذلك من جهة أخرى.

نظرية التأثير المحدود

ولما النظرية الثانية التي أعقبت هذا المنحل فهي تلك المعماة بنظرية "التأثير المحدود" أو التعرض الانتقائي (Selective Exposure). ويستند الفهم الجديد لتأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرية على الجمهور إلى مسلمة نفسية واجتماعية مختلفة

(1) يمثل بعض المهتمين الاجتماعيين على هذا المنحل فم الحكة تحت الجلد "Hypodermic Syringes"، انظر في ذلك:

- Black, J Brayton, J, and Thompson, S. (1994). Introduction to Mass Communication. Boston: McGraw Hill, Chapter Three. PP 35 - 67.

تماماً عن تلك الافتراضات والمسلمات التي استند إليها الباحثون السابقون، كما يعكس أيضاً تقدماً في أساليب البحث العلمي المتبعة في تلك المرحلة تقرياً هذه التأثيرات.

وينصوي تحت هذه النظرية نماذج لومدخل مختلفة أهمها:

أ. **مدخل الفروق الفردية** : يركز أصحاب هذا المدخل على دور عملية للتعليم والتعلم كمصدر من مصادر الفروق بين الأفراد في استجاباتهم لوسائل الاتصال الجماهيرية، وعلى دور الأفراد في إبتقاء وسائل الاتصال الجماهيرية التي يسودون لتعرض لها، فالتأثير الذي تحدثه هذه الوسائل عليهم، إما يخضع لظروف للفرد الذاتية، وأسمائه الشخصية.

ب. **مدخل الفئات الاجتماعية (Social Categories)** : تختلف توجهات أصحاب هذا المدخل ومنطلقاتهم عن منطلقات المدخل السابق. فهم وإن كانوا يقررون بوجود فروق فردية بين الأفراد في المجتمع، كما يذهب لأصحاب مدخل الفروق الفردية، (لا أنهم يختلفون معهم في نظرتهم إلى استجابات هؤلاء الأفراد لوسائل الاتصال. فالأفراد، كما يرى أصحاب مدخل الفئات الاجتماعية، لا يوجدون ككائنات مستقلة أو منفصلة عن بعضها البعض داخل المجتمع، وإنما هم يتعقدون أو يتجمعون في فئات أو شرائح أو طبقات اجتماعية معينة، ويتميزون بخصائص متشابهة كتشابههم في الدخل، أو العقيدة، أو الطبقة، أو العرق، أو الحزب، أو الطبقة، أو القطاع الاجتماعي كحرف وحضر، أو العمر أو المهنة...إلخ. إن هذا التشابه في الخصائص يجعل من كل فئة من هذه الفئات فئة اجتماعية متجانسة للفئات الأخرى في طرق تعاملها واستجاباتها لوسائل الاتصال الجماهيرية. وهكذا، فبلى لفئات المتشابهة تستجيب لوسائل الاتصال بطرق متشابهة. (Edelsten, A, etal, 1989).

ج. **مدخل العلاقات الاجتماعية (Social Relations)**. ولما المدخل الآخر الذي وينصوي تحت نظرية التأثير المحدود لوسائل الاتصال الجماهيرية، والذي كان له دور كبير في كشف المزيد عن طبيعة العلاقة بين وسائل الاتصال والجمهور، والذي أثرت نتائج البحوث التي أجراها المدافعون عنه إلى تقدم ملموس وواضح في مسيرة التفكير الاجتماعي بمسألة طبيعة هذه العلاقة، فهو المدخل المعروف باسم مدخل العلاقات الاجتماعية.

ويرى الباحثون هذا أن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع الذي تعمل فيه المؤسسة الاتصالية (رسمية أم غير رسمية، مغلقة، أم مفتوحة، فترة أم حتمية، صراعية أم تعاونية... إلخ) تحدّ وتقلل من التأثيرات المباشرة والفورية لوسائل الاتصال على الأفراد. فالعلاقات غير الرسمية والمفتوحة السائدة في مجتمع ما، قد تعمل على حماية الأفراد، من تأثيرات وسائل الاتصال المباشرة عليهم، وتقلل من مخاطرها وانعكاساتها السلبية. (Deflour, M, and Pall - Rokeach, S) (1989).

وقد توصل الباحثون إلى هذه النتيجة من خلال دراستهم التي أجروها على السلوك الانتخابي في أثناء الحملة الإعلامية لانتخابات الرئاسة الأمريكية في الأربعينيات. حيث تبين لهم مدى فاعلية الدور الذي تقوم به العلاقات الشخصية والاجتماعية في هذا السلوك في مجمل عملية الاتصال الجماهيري خلال تلك الحملة، ودور الجماعات المرجعية (Reference Groups) أيضاً في التأثير على هذا السلوك. إذ تعمل هذه الجماعات كعوامل وسيطة تحمي الأفراد من التأثيرات المباشرة لوسائل الاتصال (Schramm, W 1975) وهذا يعني أن غالبية الأفراد لا يحصلون على معلوماتهم بشكل مباشر من هذه الرسائل، وإنما هناك عوامل وسيطة تتوسط بينهم وبينها، كالأسرة مثلاً، واتحاد النقابات، والجمعيات ولادة الرأي، ... إلخ.

إن تنافق العملية الاتصالية، إذن، يمر بخطوتين، وليس بخطوة واحدة كما كان يظن في السابق: الخطوة الأولى تبدأ حين تخرج الرسالة من المؤسسة الاتصالية إلى الجمهور، ولكنها لا تصل إليه مباشرة، بل تمر عبر قادة الرأي، فينتقلها هؤلاء القادة باعتبارهم عوامل وسيطة بين المؤسسة الاتصالية وبين الأفراد، وأما الخطوة الثانية فتبدأ حين تخرج الرسالة من قادة الرأي هؤلاء إلى بقية أفراد المجتمع.

ونجد تأكيداً لدور قادة الرأي أيضاً في الحد من تأثير قوة وسائل الاتصال على الأفراد لدى أصحاب مدخل آخر يعرف باسم "نشر المبتكرات". يذهب أصحاب هذا المدخل ويخلصه روجرز وشومبكر، (Rogers and Shoemaker) إلى تأكيد فرضية تدفق سير العملية الاتصالية على مراحل، وإلى الدور الحاسم الذي يمارسه قادة الرأي في التأثير على الأفراد خلال كل مرحلة من هذه المراحل. ففي

نظريتهما المعروفة باسم انتشار المبتكرات (Diffusion of Innovation)، ذهبا إلى القول بأن انتقال المعلومات، وحلصة حول المبتكرات أو الأفكار الجديدة في المجتمع، يمر بكثير من خطوات، وينساب عبر عدد كبير من الأفراد يسمح لهم بالتدخل في توضيح بعض الجوانب المتعلقة بهذه المبتكرات. إلى دور الاتصال، حسب رأيهما، في هذه الحالة يتجسد في إثارة اهتمام الأفراد بهذه المبتكرات الحديثة وتمييزهم لقبولها. وفي هذه الحالة فإن الدور الأكبر والعملي في انتشار المبتكرات إنما يرجع إلى ما يمارسه قادة الرأي من تأثيرات معينة عليهم. (Rogers, E. and Shoemaker, P. 1973).

ومن أشهر المدخل الأخرى التي تدرج تحت نظرية التأثير المحدود، والتي تعتبر إسهامات رولاندا في تفسير استخدام الأفراد لوسائل الاتصال مهمة في إعادة النظر في مسألة تأثير وسائل الاتصال، فهو المدخل المعروف باسم الاستخدامات والإتباع (Use and Gratifications) (1).

يرى أصحاب هذا المدخل، أن وسائل الاتصال تعتبر مصدراً حيوياً وفاقاً في تزويد الأفراد بما يريدونه من معارف، وفي تلبية ما لديهم من حاجات ومطلوبات. لذا، فهم حين ينحدرون إلى هذه الوسائل إنما يكون من أجل تحقيق هذه الحاجات والعمل على إشباعها. (Katz, E. 1959, Rosengren, K. 1974).

وهكذا فإن تعامل الجمهور مع هذه الوسائل بهذه الطريقة يعمل على حمايته من مخاطر تأثيرات هذه الوسائل عليه، كما يقول إيلشتاين، أكثر مما تعمله أية عوامل أخرى (Edelstein, et al, 1989) ذلك أن وسائل الاتصال في هذه الحالة ليست هي التي تحدد للأفراد نوع الرسائل أو المضامين التي يتوجب عليهم مشاهدتها أو التمرس لها، وإنما الأفراد أنفسهم هم الذين يتحكمون بتلك الرسائل بالطريقة التي يريدونها وبالوسيلة التي يختارونها من أجل إشباع حاجتهم المختلفة (كالوصول على المعرفة، وترفيه، والمعلومات، والأخبار... إلخ) (Katz, E. 1959; Rubin, A. 1985).

(1) وبمثل بعض الباحثين العرب مع هذا المدخل كالفيزيائية مسلفة عن نظرية التأثير المحدود لوسائل الاعلام، ولكننا لا نرى ذلك. فهذا المدخل ليس سوى إعادة صياغة محدودة لموقف معينة من نظرية التأثير المحدود أو نظرية التأثير الإيجابي.

وعلى الرغم من أهمية هذا المدخل في استجلاته لجانب مهم من جوانب تعامل الأفراد مع وسائل الاتصال في تلك المرحلة، إلا أنه تعرض لبعض الانتقادات التي دفعت بعض الباحثين إلى إعادة النظر في بعض افتراضاتهم ومفاهيمهم حوله، وإجراء بعض التعديلات عليها والتوضيحات على بعضها الآخر في السنوات اللاحقة، حيث لا يزال يتبع هذا المدخل الحيد من الباحثين في الدراسات الاتصالية ممن يرون في افتراضاته بعض جوانب الصحة التي تساعد في فهم طبيعة العلاقة بين هذه الوسائل والأفراد.

وبالرغم من تعدد المدخل الفرعية التي تكسوي تحت (نظرية التأثير المحدود) فإن جميع الباحثين الذين ينصرون تحت لوائها كانوا قد حاولوا في الواقع، التأكد من صحة ادعاءات مدخل التأثير القوي والمطلق لوسائل الاتصال الجماهيرية على الأفراد. إذ قاموا بإجراء دراسات وبحوث ميدانية عديدة للتأكد من صدق هذا الادعاء، بدأت من الأربعينيات واستمرت حتى نهاية الخمسينيات تقريباً، لم توصلهم إلى أي دليل يدعم صدق ما ذهب إليه ذلك الادعاء السابق، بل توصلوا إلى نتائج معاكسة تماماً، إذ تبين لهم أن تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية على الأفراد ليس فورياً ولا مباشراً من جهة، وليس متجانساً في قوته أيضاً من جهة أخرى، بل هو تأثير يختلف باختلاف الفروق النسبية والمزاجية للأفراد الفئات من تباين طرق تشكيلتهم الاجتماعية وتمايز أساليب اكتسابهم لخبراتهم المتوقعة (McQuail, D. 2000; Bilton, T, et al. 2002).

وبالإضافة إلى ذلك، فقد أثبتت نتائج دراساتهم التي أجروها في هذا المجال، إلى التأكيد على أنه يجب النظر إلى قوة وسائل الاتصال أو ضغطها، سواء أكان ذلك مباشراً أم غير مباشر، مقصوداً أم غير مقصود، من خلال العمليات الاختيارية أو الانتقائية التي يقوم بها الفرد للمحتوى المعرفي الذي يتعرض له في هذه الوسائل؛ إذ تصل هذه العمليات كعوامل وسيطة في العملية الاتصالية، من شأنها أن تحد من تأثيرات وسائل الاتصال القوية والمباشرة عليه.

وقد اتضح لهم من خلال هذه الدراسات أيضاً، أن الأفراد يعرضون أنفسهم بشكل طوعي أو اختياري (Selective Exposure) للوسيلة الاتصالية التي يريدونها، ولتي يتوافق محتواها مع ميولهم واعتقالاتهم، كما تبين لهم كذلك أن

الأفراد لما يدركون الرسائل الاتصالية التي يتعرضون لها في هذه الرسائل، ويُسرون محتوياتها وفقاً لأذواقهم ومصالحهم وتوقعاتهم. هذا إضافة إلى أنهم يتذكرون بشكل انتقائي ما يحبه أو يرغبونه، ويتجنبون تذكر أو استرجاع ما لا يحبه أو يرغبون من محتويات هذه الرسائل الاتصالية التي يتعرضون لها.

وهكذا كشفت الدراسات الميدانية التي قُلم بها هؤلاء الباحثون، أن وسائل الاتصال لا تؤثر تأثيراً مباشراً على الأفراد، ولكنها تصل من خلال ما أسموه بالعمليات الاختيارية أو العوامل الوسيطة.

وقد استعرض الباحث جوزيف كلاير في السنينيات الدراسات التي أجريت حول تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرية على الأفراد، وخرج بعدة تعميمات يمكن تلخيصها بما يلي:

"إن وسائل الاتصال ليست عادة السبب الكافي أو الضروري لإحداث التأثير على الجماهير. ولكنها تصل مع، ومن خلال، بعض العوامل والمؤثرات الوسيطة. وفي الحالات الخاصة التي تعمل فيها وسائل الاتصال على حدوث تغيير، فمرد ذلك هو ضم لتمام العوامل الوسيطة بدورها في هذه الحالة، وهذا يصبح تأثير وسائل الاتصال مباشراً، لو أن العوامل الوسيطة التي تعمل في تدعيم الاتجاهات الموجودة لدى الفرد وتقويتها لديه، تساعد هي نفسها على إحداث التأثير أو التغيير" (Kleppet, J, 1963).

ويجب ألا يفهم من النتيجة التي توصل إليها كلاير، أن وسائل الاتصال الجماهيرية عديمة التأثير على الأفراد في كل الظروف، وإنما يعني أنها تمارس عليها وتأثيراتها ضمن نظام العلاقات الاجتماعية القائمة في المجتمع الذي تعمل فيه هذه الوسائل. وفي ظل ظروف ثقافية واجتماعية محددة تصل هذه الظروف والعلاقات، وبخاصة غير الرسمية، على الحد أو التقليل من تأثيرات هذه الوسائل.

وبالإضافة إلى ذلك، توصلت الدراسات السابقة إلى أن تأثيرات وسائل الاتصال ترتبط بوصفها باعتبارات فردية، وسملت شخصية، وظروف الفرد الذاتية. فما يتعلمه الأفراد من رسائل الاتصال لا يؤدي بالضرورة إلى تغيير اتجاهاتهم، ولذا ما أدى إلى تلك في حالات معينة ومحددة، فإنه قد لا يؤدي إلى تغيير في

سلوكياتهم وتصرفاتهم. والتأثير، في الواقع، يصعب، حسب وجهة نظرهم، لاعتبارات كثيرة أهمها كما قلنا، ظروف الفرد الذاتية وطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة في المجتمع؛ إذ تعمل هذه العوامل على حماية الأفراد من تأثيرات وسائل الاتصال المباشرة والفورية عليهم. (McQuail, D 2000, Blumberg, J & McQuail, J. (D. 1968, Balton, T, etal, 2002).

وهكذا لم يحدّ ينظر إلى الأفراد حسب المظاهر عن هذه النظرية، بملاحظتها/بمعالجتها المختلفة، على أنهم مجرد تجمّع سلبي وخامل، (Passive) في تعاملهم مع هذه الوسائل، بل هم أفراد فاعلون (Active) في هذا التعامل، لديهم حرية اختيار الوسيلة الاتصالية التي يريدون التعامل معها أو مع مضامينها الثقافية والمعرفية (Selective Exposure) ويدركون هذه المصالح بطرق انتقالية/اختيارية (Selective perception)، كما أنهم يتذكرون بطرق اختيارية ما يريدون تذكره من هذه المضامين (Selective recalling). إن هذا النوع من الانتقالي أو الاختياري هو الذي يهمهم من مخاطر التأثير القوي لهذه الوسائل عليهم، كما كشفت عنه نتائج دراسات الباحثين في هذا المجال في تلك الفترة من تطور التفكير الاجتماعي في مسألة فهم العلاقة بين وسائل الاتصال الجماهيرية وبين الأفراد.

وهكذا، فإن نظرية التأثير المحدود بمعالجتها السلبية المختلفة، كانت قد صلت على تقديم صورة مختلفة ومتباينة إلى حد كبير عن تلك التي قمنا بصاحب مدخل التأثير القوي المباشر بشأن طبيعة العلاقة بين الأفراد ووسائل الاتصال الجماهيرية.

ولكن البحث العلمي في مسألة التأثيرات لم يتوقف عند هذا الحد، بل استمر في الكشف عن فهم طبيعة العلاقة بين وسائل الاتصال الجماهيرية والأفراد؛ إذ طرأت في السنوات اللاحقة، بعض التعديلات والتحولات على هذه النظرية تعكس التقدم الذي طرأ على الفكر الاجتماعي في هذه المسألة. ولقد تمخضت هذه التحولات عن نظرية ثلاثة شكلت تساهماً مهماً وجديداً في فهم مسألة تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيرية.

نظرية التأثير الممتل:

شهدت السنوات اللاحقة (الستينيات والسبعينيات) تطوراً في التفكير الاجتماعي بمسألة تأثيرات وسائل الاتصال على الجمهور، كما أشرنا، أخصى إلى ظهور نظرية جديدة تدعو إلى إعادة النظر في فهم طبيعة العلاقة بين وسائل الاتصال الجماهيرية وبين الأفراد.

يرى أصحاب النظرية الجديدة أن الفهم السابق لمسألة التأثير، برغم أهميته، يبقى غير دقيق وغير كاف لفهم هذه العلاقة المعقدة، وينقصه العديد من المتغيرات التي يجب أخذها بعين الاعتبار عند دراسة هذه العلاقة؛ كما فهم يرون أيضاً أن تقليل نظرية التأثير المحدود السابقة من شأن تأثير وسائل الاتصال على الأفراد، واهتمامها بالتأثير ذي المدى القصير والمباشر، واستبعادها للتأثيرات ذات المدى البعيد وغير المباشر، والحصول اهتمامها بتأثير هذه الوسائل على آراء الأفراد واتجاهاتهم فقط، كان قد جعل منها نظرية غير موفقة في تقديم فهم شامل لمسألة التأثير الذي تحدثه وسائل الاتصال على الأفراد. ومن هنا كانت الحاجة، برأيهم، إلى نظرية جديدة لا تهمل في تصوير قوة وسائل الاتصال، ولا تقل من شأن هذه القوة أو تنفيها. (McQuail, D, 2000).

وتتكون نظرية التأثير الممتل لوسائل الاتصال الجماهيرية من عدة نماذج فرعية، يشكل كل نموذج/مدخل منها إسالة جديدة إلى ما سبقه من نماذج من حيث فهمها لمسألة التأثيرات. ويمكن تلخيص كل مدخل منها كما يلي:

أ. مدخل ترتيب الأوليات - الأجندة (Agenda Setting).

يرى أصحاب هذا المدخل أن وسائل الاتصال بمقدورها توجيه الرأي العام، والتأثير على المدى الطويل في تشكيل اهتماماته حول قضية ما من القضايا الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، وذلك من خلال التركيز عليها في هذه الوسائل حتى تستحوذ على اهتماماته وفتياحه. أي أن الدور الفعلي لهذه الوسائل، كما يرون، يكمن في تحريك اهتمامات الجمهور بقضايا وموضوعات يعينها لتتفق مع ترتيبها مع الترتيب الذي تضعه هذه الوسائل لأهمية هذه القضايا والموضوعات؛ فمثلاً يحدد أولويات جدول أعمال أي مؤتمر أو لقاء أو اجتماع للموضوعات التي

سوف تجري مناقشتها بناء على أهميتها حسب ذلك الجدول، تقوم وسائل الاتصال الجماهيرية بالوظيفة نفسها. أي أنها تقرر على الجمهور جدول أعمالها الذي يحدد لهم الأهم، والمهم، والأقل أهمية، وغير المهم من تلك الموضوعات. (حسن مكاوي ونيلي السيد، 1998).

ولقد اخص الباحثان لانج و لانج هذا المدخل والافتراضات لقائمه طبعها كما يلي: "إن وسائل الاتصال هي التي توجه اهتمام الجمهور نحو قضايا بعينها، وهي التي تطرح الموضوعات عليه، وهي التي تقترح ما الذي ينبغي أن يفكر فيه، وما الذي ينبغي أن يعرفه أو يشعر به" * (Lang, K, and Lang, G. 1966, P 126) على سبيل المثال حين تقرر وسيلة اتصالية ما أن قضية ما من القضايا "كالإرهاب" مثلاً، هي قضية مهمة، أو أن شخصاً ما هو شخص "إرهابي"، أو أن مطربة ما من المطربات هي مطربة "مهمة" فإنها تعطى لها مساحة أو تغطية واسعة ونخصص لها وقتاً كافياً في عروضها وتكرّر ذلك بشكل دائم، حتى تبدو تلك القضية، كما يقول أصحاب هذا المدخل، قضية هامة لدى الجمهور الذي يتمركز من تلك الوسيلة الاتصالية، وتكتسب عندهم أولوية من أولوياتهم.

وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت إلى هذا المدخل، إلا أنه أسهم في تعميق الفهم لذلك الدور الذي تمارسه وسائل الاتصال الجماهيرية في التأثير على الأفراد، وبخاصة التأثير على المدى البعيد.

ب. مدخل التنشيط أو الترويض الثقافي (Cultivation Approach)

يعتبر هذا المدخل تطبيقاً للتفكير الخاصة بعمليات بناء المعاني وتشكيل الحقائق الاجتماعية والتعلم بالملاحظة، والأدوار المنسوبة إلى وسائل الاتصال في هذه العمليات، حيث ينسب دعاة هذا المدخل إلى هذه الوسائل دوراً واضحاً وملموساً في ذلك. (محمد عبد الحميد 1997).

وقد قام الباحثون من التفكير اميريقياً من هذا الادعاء، فقاموا بدراسات ميدانية امتدت لسنوات طويلة، استمرت في الواقع طيلة الستينيات والسبعينيات حول قدرة هذه الوسائل على تشكيل المعاني والمعتقدات والصور الرمزية حول قضية شغلت

المجتمع الأمريكي في تلك السنوات، وهي قضية الجريمة والعنف الذي ساد ذلك المجتمع في تلك الفترة. (DeFleur, M, and Pall - Rokeach, S, 1989).

وقد قادتهم دراساتهم إلى نتيجة مفادها أن تعرض الفرد المتكرر للتلفزيون وفترات طويلة ومنظمة تلمي لديه اعتقاداً بأن العالم الذي يشاهده هو صورة عن العالم الاجتماعي الذي يعيشه (Becker, S; 1987).

وهكذا فإن هذا المدخل يرى أن وسائل الاتصال تؤثر بشكل قوي على إدراك الأفراد للعالم الخارجي وتبني لديهم اعتقادات خاصة حول طبيعة هذا العالم، وخاصة أولئك الذين يتعرضون لهذه الوسائل بشكل مكثف ولمدة طويلة من الزمن. وعليه فإن الصور الذهنية التي يحملها هؤلاء الأفراد في رؤوسهم ما هي إلا نتيجة لهذا التأثير.

وتؤكد هذه الدراسات أيضاً أن تأثير التلفزيون كوسيلة اتصال فاعلة ومؤثرة في تكوين هذه الصور الرمزية عن العالم الاجتماعي، إنما هو تأثير يتم على المدى الطويل، أي أنه يحتاج إلى فترة طويلة حتى تظهر آثاره من خلال عملية تراكمية مستمرة زمنياً، كما أنه تأثير غير مباشر على الأفراد، وغير متجانس أيضاً في قوته على الجميع (محمد عبد الحميد، 1997)، فتأثيره على الصغار يكون أقوى منه على الكبار، ذلك لأن الصغار لم يتكون لديهم القدرة على التمييز بين الحقيقة والخيال، ويكون تأثيره على الصغار في الأسر المتفككة أقوى من تأثيره على الأطفال في الأسر المتماسكة.

ج- مدخل الاعتماد على وسائل الاتصال (Dependency Approach)

يتناول هذا المدخل وسائل الاتصال باعتبارها أنظمة اجتماعية (Social Systems) ذات طبيعة تفاعلية مع الأنظمة الأخرى الموجودة في المجتمع (كالنظام الاقتصادي والسياسي). وقد أسلف هذا العنصر طبيعة العلاقة بين وسائل الاتصال والأفراد بعداً جديداً ومهماً لم يلتفت إليه الباحثون في السنوات السابقة مطلقاً.

إن النظر إلى وسائل الاتصال بوصفها أنظمة اجتماعية تتداخل مع الأنظمة الأخرى الموجودة في المجتمع، وتحديد طبيعة هذا التداخل والتفاعل بينها، هو الذي

يقرر مدى قوة التأثير الذي تحدثه هذه الرسائل أو ضعفه من جهة، أو تجعل منه تأثيراً مباشراً أو غير مباشر على الأفراد سواء، لكن قصير المدى لم يعد من جهة أخرى (McQuail, D, 2000).

ويذهب دوفلور، بوصفه أحد القاطب هذه النظرية والمدافعون البارزين عنها، إلى القول بأن فهمنا لطبيعة التأثير، ومستواه وكونه ومداه سيستجسي علينا، ما لم نستطع تحديد الاعتماد المتبادل (Interdependent) بين كل من مؤسسة الاتصال الجماهيرية، باعتبارها نظاماً اجتماعياً، وبين النظام السياسي والاقتصادي في المجتمع، وبين الجمهور.

وأما فيما يتصل بعلاقة النظام السياسي بالمؤسسة الإعلامية، فهو، في الواقع، يلجأ إليها لتساعده في نشر سلطته، وفرض هيئته، والترويج لأفكاره ومبادئه في المجتمع، في حين نجد أن النظام الاقتصادي يلجأ إليها لنواقع أخرى تكمن في لادرتها على الترويج لمشاريعه الضخمة والإعلان عنها. ولا توجد مؤسسة أخرى، كما يقول دوفلور، ويؤيده في ذلك، الباحث هربرت شولر، بمفورها القول بأن هذا الدور بفاعلية كالمؤسسة الاتصالية التي لا تمنحني هي الأخرى عن دعم هذين النظامين لها وحمايتهما السياسية والمادية لها في ترويجها ونشرها لمنتجاتها الثقافي والمعرفي (Dofleur, M, and Pall - Rokeach 1989, Schüller, H. 1974, 1992).

ولما لم يتطرق بالاعتماد المتبادل بين المؤسسة الاتصالية والجمهور، فهو يرى دوفلور أن الجمهور لا يستطيع الاستغناء عن هذه المؤسسة أيضاً، فهي التي تزوده بالمعرفة والمعلومات والأخبار بكافة أشكالها وأنواعها مطبوعاً وخارجياً، وهي التي تعمل على توجيه سلوكه وتفاعله بطريقة تعامله مع المواقف الطارئة من خلال ما تقدمه له من معارف ومعلومات وخبرات، وهي أيضاً التي تعمل على ترفيهه وتمليته ليروح عن نفسه ضياء التعب اليومي في مجتمع رأسمالي لا يرحم.

ويؤكد دوفلور هنا، أنه على الرغم من وجود مؤسسات أخرى في المجتمع تقوم بتحقيق هذه الحاجات والأهداف للفرد (كالأسرة والأصدقاء وبعض الاتحادات والجمعيات التي ينتمي إليها الفرد.... الخ)، إلا أن اعتماد الفرد على المؤسسة الاتصالية في المجتمع المعاصر في تحقيق ذلك يفوق أي اعتماد آخر. فهذه

المؤسسة هي التي تسطر على مصادر المعلومات التي يحتاجها الفرد في حياته اليومية أكثر من غيرها، الأمر الذي يجعل الاعتماد عليها أمراً ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه. ونظراً لتباين الأفراد واختلافهم في أهدافهم ومصالحهم وحاجاتهم فإنهم، كما يقول دوفلور، يختلفون في درجة اعتمادهم على هذه المؤسسة.

ويقدم دوفلور نموذجاً دقيقاً لفهم طبيعة تأثيرات المؤسسة الاتصال الجماهيرية، بوصفها نظاماً اجتماعياً متداخلاً ومتشابكاً مع أنظمة أخرى في المجتمع. ويقوم هذا النموذج على فهم دقيق لثلاثة عناصر متداخلة هي:

- 1- طبيعة البناء الاجتماعي للمجتمع الذي تعمل فيه المؤسسة الاتصالية.
- 2- طبيعة الأفراد من حيث مدى اعتمادهم على هذه المؤسسة في تزويدهم بالمعرفة والمعلومات الضرورية في حياتهم.
- 3- طبيعة المعلومات نفسها التي تقدمها المؤسسة الاتصالية للأفراد.

ولذا ما تمكنا من تحديد طبيعة الاعتماد المتبادل بين هذه النظم الثلاثة، استلزمنا، كما يقول دوفلور، تحديد نوع التأثير الذي متحدثه هذه المؤسسة على الأفراد سواء أكان وجدانياً، أم معرفياً أم سلوكياً، واستطعنا كذلك تحديد مستوى قوته لوضعه وتمكنا أيضاً من تحديد مدى قوة هذا التأثير سواء أكان قصير الأجل أم بعيداً. (Delfeur, M, and Pail – Rokeach, S 1989, McQuail, D, 2000).

لقد سطر هذا المنظور الجديد، وفهم التفوق في تفسير طبيعة العلاقة بين وسائل الاتصال والجمهور على تفكير العديد من الباحثين، ليس فقط في السيميائيات بل في السلوات التي تلت ذلك، وهي السلوات التي شهدت رخساً هائلاً في بحوث تأثير وسائل الاتصال وبخاصة التلفزيون باعتباره القناة الأكثر جاذبية وجدلاً في حقيقة تأثيراتها على الجمهور.

ولابد من التأكيد هنا، على مدى تأثير البحوث والدراسات الاتصالية في هذه المرحلة من مراحل تطور التفكير الاجتماعي بمسألة طبيعة العلاقة بين وسائل الاتصال الجماهيرية والجمهور بالجدل المحتكم آنذاك بين الماركسيين وأصحاب الاتجاه التنعدي في العلوم الاجتماعية (Pluralists) حول مسألة ملكية وسائل الإنتاج

(Ownership) وطبيعة الضبط (Control) الذي يمارسه ملائكو هذه الوسائل على طبيعة محتوى الإنتاج الثقافي والمعرفي لها.

وفي هذا الصدد يرى بعض المنظرين الماركسيين، وفي طليعتهم ميليباند، (Miliband) بأن ملائكو المؤسسة الاتصالية (Media Owners) - بصفتها مؤسسة إنتاج معرفي وثقافي - يمارسون قوة هائلة في التأثير على الجمهور من خلال تدخلهم المباشر في تقرير شكل المنتج وطبيعته. (Miliband, R, 1969) في حين يرى بعضهم الآخر، وبخاصة بيتر جولدينج وجراهام مكدوك، أن هؤلاء الملائكين لا يتدخلون بشكل مباشر في طبيعة المحتوى المعرفي والثقافي لهذه المؤسسة، وإنما يمارسون تأثيرهم من خلال المديرين الذين يعينونهم لينوبوا عنهم في تنفيذ سياساتهم وتوجهاتهم الأيديولوجية (Golding, P, and Murdock, G, 1991).

ولما ذور الاتجاه النقدي، ظلم وجهة نظر مخالفة لوجهة نظر الماركسيين في هذه المسألة؛ إذ يرون أن تأثير ملائكو المؤسسة الاتصالية في تقرير شكل الرسائل الاتصالية المنتجة ومحتواها هو تأثير ضعيف للغاية. فالدور الأكبر والأقوى في صناعة هذا المنتج إنما يعزى للجمهور نفسه وليس لهؤلاء الملائكين. إن طلبات الجمهور وحاجاته ورغباته (Audience Demands)، هي التي تتحكم بهذا المنتج وبهذه الرسائل الاتصالية، وإن لم تستجب هذه المؤسسة لهذه الحاجات، فإنها، برأيهم، ستعرض للإفلاس والانهيار. (Whale, J, 1977).

ولا يقتل التاريخ لهذه المرحلة من مراحل تطور التفكير الاجتماعي بمسألة تأثير وسائل الاتصال على الجمهور دون توضيح لإسهام آخر من الإسهامات الجادة التي تركت بصماتها الواضحة على الدراسات الاتصالية في تلك المرحلة، وهو الإسهام الذي قامت به الباحثات من نوبت الاتجاه المعروف باسم 'النسوي' (Feminist Approach)، وبخاصة ما يتعلق بالدور الذي تلعبه المؤسسة الاتصالية في ترميط للنساء (Women Stereotyping).

وفي هذا الصدد ترى هؤلاء الباحثات أن وسائل الاتصال لها قدرة كبيرة على ترميط للنساء بطريقة تعزز الصور السلبية السائدة عنهن في المجتمع. كما أن لديها قدرة على تخليق صور جديدة سلبية عنهن في الاتجاه نفسه. (Bilton, T et al, 2002)

و ترى هذه الباحثات أيضاً بأن تعريض الجمهور المتواصل والمستمر (Long-term exposure) لهذه الصور النمطية السلبية سيحمل على دفعه إلى تشرب المضامين الكائنة وراءها حول النساء. (Signorelli, N, and Morgan, M, 1990) وهذا بالطبع يخدم النظام الاجتماعي القائم في المجتمع، الذي يرى في هذه الصور السلبية تأكيداً لوجهة نظره في النساء (Sordman, S, 1994).

واعتماداً على ما سبق، يمكن القول بأن نظرية التأثير المعتدل لوسائل الاتصال الجماهيرية على الأفراد، ببنائها المتعددة، كانت قد سيطرت على الفكر الاجتماعي بهذه المسألة طيلة فترة الستينيات والسبعينيات، وتمثل بداية جديدة ونقطة انطلاق مهمة في النظر إلى مسألة تأثير هذه الوسائل عليهم. فهي بتأكيداتها عليهم، على ضرورة التعامل مع وسائل الاتصال الجماهيرية باعتبارها نظاماً اجتماعية ذات طبيعة اعتمادية - تفاعلية مع النظم الأخرى الموجودة في المجتمع، كالنظام الاقتصادي والسياسي، يصعب فهم وظائفها وأدوارها دون تحليل عميق لطبيعة هذه التبادلية، تكون قد مهدت لبروز اتجاه جديد في الدراسات الإتصالية يركز على البعد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في فهم عمل المؤسسة الاتصالية.

ولم يتوقف البحث عن هذا الحد من الفهم لطبيعة التأثيرات التي تحدثها المؤسسة الإعلامية، بل استمر، في السنوات اللاحقة، ولكن بمناهج جديدة واتجاه نظري جديد، عُرف باسم "الاتجاه الثقافي".

الاتجاه الثقافي في الدراسات الإعلامية:

يُعتبر هذا الاتجاه من أبرز الاتجاهات الحديثة في الدراسات الإعلامية، ويعود الفضل في تطوره وبلورته إلى اتجاه متمسك في الدراسات الإعلامية إلى الجهود التي بذلها فريق مركز الدراسات الثقافية المعاصرة في بيرمنجهام في بريطانيا. (Centre for Contemporary Cultural Studies) الذي يتزعمه ستوربات هول ودورثي هوبس ولندرو لوي وبول وليس (Hall, S, Hobson, D. and Willis, P, 1980) لقد استفاد هول وزملاؤه في هذا المركز من الموروث الموسيولوجي الذي

فدعته مدرسة فرانكفورت⁽¹⁾ في تحليلها للأوضاع الثقافية في المجتمع من جهة، ومن مناهج البحث التي استخدمتها الدراسات اليسوعية والسيميولوجية⁽²⁾ من جهة أخرى؛ حيث ساعدتهم هذه المناهج على استخراج المعاني الضمنية للنتاج المؤسسة الإعلامية.

ويتميز هذا الاتجاه في الدراسات الإعلامية، كما جاء في تقرير سكويرت هول، لتأسيس هذا المركز، بتركيزه على فهم المضامين الثقافية التي تقدمها المؤسسة الإعلامية، وبخاصة الثقافة الجماهيرية⁽³⁾، والإطار الاجتماعي الذي يتم فيه إنتاج هذه المضامين واستهلاكها في المجتمع. وفي هذا الصدد يقول هول في دفاعه عن أهمية هذا الاتجاه وضرورته في الدراسات الإعلامية ما يلي، أنه يعطي الثقافة والعلاقات التنقيمية دوراً أساسياً في المجتمع، على عكس كثير من النظريات المادية التي تسليها دوراً هامشياً ومحدداً. ففي كثير من هذه النظريات المادية ينظر إلى الثقافة بأنها وعاء يعكس الترتيبات الاقتصادية والمادية في المجتمع. والتعريف المعطى للثقافة هنا يؤكد أن الثقافة متداخلة في كل الأنشطة الاجتماعية، وأن هذه الأنشطة الاجتماعية تعتبر هي بدورها، أحد أبرز أشكال النشاط الإنساني العام. ويخلص من الاتجاه النظري هنا للنظر إلى الثقافة بمنظور العلاقة بين البنية الفكرية والفكرية، والبنية التحتية المادية والاقتصادية، حيث تصور الثقافة على أنها جزء من النظام الفكري الذي يتحكم فيه بشكل حتمي النظام الاقتصادي المادي للمجتمع. ويعترف هذا الاتجاه الثقافة على أنها تمثل كلاً من الوسائل والقيم التي تتبعها الجماعات والفئات والطبقات الاجتماعية المختلفة - طبقاً لعلاقاتها وظروفها التاريخية، للمعيشة والتعامل والإمتحان مع واقع حياتها. (Hall, S. 1980).

(1) مدرسة فرانكفورت: هي إحدى أهم المدارس الفكرية في علم الاجتماع التي أسسها مجموعة من المفكرين في مدينة فرانكفورت (أدولفو هورخيمر ومارغور) في بداية العشرينات، ولكلهم هويوا إلى الولايات المتحدة خوفاً من بطش القزية. وقد تركت إرثهم الفكري تأثيراً كبيراً على علماء الاجتماع - الماركسي، والنفلي وبخاصة الاتجاه اليساري بالنظرية الثقافية وسائل الإعلام. انظر كتاب بوتومور المتضمن لهذه المدرسة - Bottomore, T (1989) The Frankfurt School. London: Routledge and Kegan Paul.

(2) السيميولوجية: هي العلم الذي يهتم بدراسة أنظمة العلاقات اللغوية في مجال الحياة الاجتماعية والثقافية.

(3) الثقافة الجماهيرية: يشير هذا المصطلح إلى جملة القيم الثقافية التي تزوج عبر وسائل الاتصال الجماهيرية بين عدد كبير من الجمهور، والتي تروج على تميزها عن ثقافة النخبة غير المتعلمة لهذا الجمهور. وتكون ثقافة الجماهيرية، في الواقع، سيميولوجية المستهلك لا تشر جمهور بسيطاً، وإيم أسلوباً للفن من قيمة ثقافة وفنونها من مضمونها الفعلي، وتحيلها إلى مجرد نوع من ثقافة المستهلكة والإستهلاك الفضي. وهذه الكلية تشكل ثقافة الجماهيرية لانه لا تميز الأيديولوجي والفنسي على الجمهور. انظر في ذلك عمل بوتومور المتشرف به أعلاه.

وهكذا يتضح من هذا الفهم لمعنى الثقافة، أن مؤسسي الاتجاه الثقافي في الدراسات الإعلامية، إنما يركزون اهتمامهم، بشكل رئيسي، على تحليل المصطلح الإعلامي (الرسائل)، بهدف استخراج المعاني الضمنية لهذه الرسائل، وكشف حقيقة انتظام هذه المعاني فيها من جهة، وعلى استجابات الجماعات الاجتماعية على هذه المعاني من جهة أخرى. ويبدو، كما يقول دينيس ملكويل، أن هناك اتفاقاً بين معظم المؤيدين لهذا الاتجاه على أن فهم العملية الثقافية يتطلب فهماً لعمل القوى المادية التاريخية في المجتمع، وعلى أن فهم القوة المادية يتطلب فهماً لدور الثقافة في المجتمع، (دينيس ملكويل، 1992).

وعلى أية حال، ورغم الجهود الدؤوبة والمحاولات الرصينة التي قام بها الباحثون في مركز الدراسات الثقافية في جامعة بيرمنغهام، والجهود الأخرى التي قام بها من سبقهم من الباحثين، إلا أنهم لم يتمكنوا من بلورة نظرية متكاملة وشاملة في فهمها لتأثيرات وسائل الاتصال بمعزل عن النظريات الاجتماعية المعروفة في علم الاجتماع.

وهكذا يمكن الاستنتاج من الاستعراض التاريخي السابق للنظريات الاتصال عدم التوصل إلى إجابات شافية ونهائية في لبث في مسألة التأثير الذي تحدثه وسائل الاتصال الجماهيرية، على الرغم من بعض الأفكار والافتراضات والمفاهيم الجديدة التي قدمتها بعض المدخل / النماذج في دراسة هذه المسألة، وهذا يعني أننا سنبقى نتمد عليها في تفسير تأثيرات الإنترنت حتى نبرز نظرية جديدة في هذا الخصوص. وبلى أن يحين ذلك الوقت بقاء من غير اللاتق، أن نفترض أن إحدى النظريات السابقة هي نظرية "صحيحة" برمتها، أو "كاملة"، في حين أن نظرية أخرى منها "خاطئة" كلية أو على أطرافها الزمن يجب التخلي عن مسلماتها. فالوقت ما يزال بعيداً، على ما يبدو، قبل أن نبرز نظرية اجتماعية - اتصالية - حديثة تتل قبول الباحثين الاجتماعيين في ميدان التواصل الاجتماعي، وتحظى بدعهم جميعاً، وتشفي طابعهم في تقديمها إجابات مقنعة وشافية للتساؤل القديم - الحديث المنطوق بمسألة تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية على الأفراد، وبخاصة الإنترنت، باعتبارها الوسيلة الاتصالية الأكثر حداثة بين هذه الوسائل.

الخلاصة

يتفرد الإنترنت كوسيلة اتصال إلكترونية بمزايا وخصائص اتصالية يندر أن نجدها في وسيلة أخرى. فهو يدمج بشكل تكاملي بين أكثر من وسيلة من وسائل الاتصال مما يجعل الشباب يقبلون على استخدامه بشكل متزايد ومتسارع، ويعتمدون عليه في حياتهم اليومية بطريقة لافتة للنظر. إن هذه الخصائص مجتمعة تؤهله لأن يكون نظاماً اتصالياً في المستقبل يضاف إلى الأنظمة الاتصالية الراسخة في المجتمع، وربما يتفوق عليها في تقديمه للخدمات التي تشبع احتياجات الشباب والمؤسسات على حد سواء.

وعلى الرغم من أهمية هذا النوع من الاتصال في المجتمعات المعاصرة، إلا أن الباحثين لم يدرسوا أبعاده وخصائصه الثقافية، ولم يطوروا نظرية اجتماعية خاصة به تساعد على فهم المشكلات الاجتماعية التي أوجدتها هذا النوع من الاتصالات الإلكترونية، أو صق التأثيرات النفسية والاجتماعية التي تسببت عنها، بل اكتفوا بالنظريات الاجتماعية المألوفة في أبحاث الدراسات الاتصالية والاجتماعية على اعتبار أن هذا النوع من الاتصال هو جزء لا يتجزأ من الاتصال الجماهيري.

الفصل الثاني

الخصائص النوعية والاجتماعية للشباب

مقدمة

الخصائص النوعية – الأساسية

الخصائص المتعلقة بالعلاقات الأسرية

الخصائص النوعية والاجتماعية للشباب

مقدمة

كما قد أوضحنا في المقدمة، بل من أهم الأهداف التي تسعى هذه الدراسة إلى تحقيقها والوصول إليها، هو معرفة الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية التي تتركها الإنترنت، بوصفه وسيلة اتصال إلكترونية حديثة في المجتمع، على علاقات الشباب الاجتماعية بأسرهم، وتفاعلاتهم الاجتماعية مع معارفهم وأصدقائهم. إضافة إلى محاولتها معرفة الخصائص الثقافية للإنترنت.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، يتم اختيار (472) شاباً وشابة بطريقة عشوائية، حسب الأصول العلمية المتبعة في اختيار مثل هذا النوع من العينات في الدراسات الاجتماعية⁽¹⁾. وسنقوم الآن بعرض تفصيلي للخصائص الأساسية والنوعية للشباب (العلمية والمهنية والعصرية، إضافة إلى دخولات أسر الشباب العصرية، وخبرتهم في استخدام الإنترنت وكذلك عدد ساعات استخدامهم اليومي له). كما سنقوم أيضاً بعرض لطبيعة علاقات شباب الاجتماعية بأسرهم النورية وعائلاتهم (أسرهم الممتدة).

الخصائص النوعية - الأساسية

بلغ العدد الكلي للشباب الذين أجريت عليهم الدراسة كما قلنا، (472) شاباً وشابة ممن تروحت أعمارهم ما بين (14) سنة إلى (35) سنة. وبهذا الصند فإن الجدول المبني بتحديد جنس هؤلاء الشباب يوضح أن عدد الذكور منهم قد بلغ (258) شاباً، وعدد الإناث هو (214) شابة. (انظر الجدول رقم 1).

(1) تكون مجتمع الدراسة في الحقيقة، من شباب من كلا الجنسين في مدينة النجف، ممن يستخدمون الإنترنت في حياتهم اليومية، ومن تروحت أعمارهم ما بين (14-35) سنة، وهم من المتعارف عليه كشباب كما يرى الباحثون في دراسات التيسرالية، وقد كانت عينة الدراسة جميع فئات العصرية والمحتويات التعليمية والأوضاع الاجتماعية. وقد تم توزيع شهادته على هؤلاء الشباب، فتمت على عدة مساور وأحمد لخلق بأهداف الدراسة. (انظر الملاحق).

توزيع أفراد العينة حسب الجنس

الجنس	العدد	النسبة المئوية
للذكور	258	54.7
للإناث	214	45.3
المجموع	472	100

ويلاحظ من هذا التوزيع بلى نسبة تمثيل الإناث في العينة هو (34.5%). وهذه النسبة تعتبر عالية نسبيا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار خصوصية المجتمع القطري وصعوبة الوصول إلى النساء فيه. لذا، فإن الوصول إلى هذه النسبة من الشباب القطريين من مختلف المستويات العمرية والتعليمية والاجتماعية والمهنية أمر يدعو إلى الارتياح حين ملأنا لتعميم نتائج هذه الدراسة.

كيف يتوزع هؤلاء الشباب من حيث عمر كل جنس منهم؟ يوضح الجدول (رقم 2) أن أعلى فئة عمرية منهم من حيث تمثيلها في العينة كانت الفئة العمرية الواقع عمر الشباب فيها ما بين (20-23) سنة. حيث بلغ عدد الشباب الذكور في هذه الفريحة العمرية (131) شاباً وشابة، أي ما نسبته (27.8%)

توزيع أفراد العينة حسب الفئات العمرية

الفئة العمرية	العدد	النسبة
14 أقل من 17 سنة	30	6.4%
17 - أقل من 20 سنة	77	16.3%
20 - أقل من 23 سنة	131	27.8%
23 - أقل من 26 سنة	72	15.3%
26 - أقل من 29 سنة	89	18.9%
29 سنة - 35 سنة	73	15.5%
المجموع	472	100.0%

ولما فيما يتعلق بتوزيع الذكور والإناث في هذه الفئة، فقد بلغ عدد الذكور فيها (76) شاباً، أي ما نسبته (16.1%)، وبلغ عدد الإناث (55) فتاة، أي ما نسبته (11.7%) (انظر جدول رقم 3).

أما الفئة العمرية الثانية التي تلت هذه الفئة من حيث ارتفاع نسبة تمثيلها في العينة فهي تلك الفئة التي تراوحت أعمار الشباب فيها ما بين (26-29) سنة. حيث بلغ عدد الشباب فيها (89) شاباً وشابة، أي ما نسبته (18.9%). لحظت الإناث منها ما نسبته (9.1%)، ولحق الذكور ما نسبته (9.7%)، أي (43) شابة مقابل (46) شاباً.

وأما الفئة الثالثة من هؤلاء الشباب من حيث ارتفاع النسبة المئوية لها، فهي للفئة العمرية المحصورة ما بين (17-20) سنة. حيث كان عدد الشباب فيها (77) شابة وشاباً أي ما نسبته (16.3%). منها (7.4%) إناث، و(8.9%) ذكور، أي أن هذه (77) شابة وشاباً، (42) منهم كل شاباً ذكراً، و(35) منهم كلت فتاة.

وكما يشير الجدول (رقم 3) نفسه أيضاً إلى وجود (73) شابة وشاباً تلخصهم أعمارهم في الشريحة العمرية (29-35) سنة، أي ما نسبته (15.5%)، منهم (9.1%) كان من الذكور و(6.4%) من الإناث. كما كان هناك (72) شابة وشاباً أي ما نسبته (15.3%) من الشباب ولحق أعمارهم ما بين (23-26) سنة. حيث اشتملت هذه الفئة على ما نسبته (8.3%) من الذكور، مقابل (7%) من الإناث. وأما الشباب ممن يزيد عمرهم عن (14) سنة ويقل عن (17) سنة، فلم يكن منهم في العينة سوى (30) شاباً وشابة، أي ما نسبته (6.4%)؛ (2.5%) من هذه النسبة كانوا ذكراً، و(3.9%) منها كن إناثاً.

توزيع أفراد العينة حسب الجنس في كل فئة عمرية

العمر	الجنس	الذكور		الإناث		المجموع الكلي	
		النكرار	%	النكرار	%	النكرار	%
14 - أقل من 17		12	2.5	18	3.9	30	6.4
17 - أقل من 20		42	8.9	35	7.4	77	16.3
20 - أقل من 23		76	16.1	55	11.7	131	27.8
23 - أقل من 26		39	8.3	33	7	72	15.3
26 - أقل من 29		46	9.7	43	9.1	89	18.9
29-35		43	9.1	30	6.4	73	15.5
المجموع		258	54.6	214	45.4	472	100%

وأما فيما يتعلق بخصائص الشباب التعليمية فيعكس الجدول (رقم 4) تبايناً واضحاً في مستوياتهم التعليمية. إذ يتضح منه أن أعلى نسبة مستوى تعليمي وصل إليه الشباب هو المستوى الجامعي - على مستوى الدراسات الدنيا - بكالوريوس؛ حيث كان هناك (239) شاباً وشابة يحملون درجة البكالوريوس أو ما يزالون في هذه المرحلة التعليمية من دراستهم الجامعية، أي ما نسبة (50.6%).

توزيع أفراد العينة حسب المستويات التعليمية

المستوى التعليمي للشباب	العدد	النسبة المئوية
يقرأ ويكتب	7	1.5
المستوى الابتدائي	2	0.4
المستوى الإعدادي	53	11.2
المستوى الثانوي	151	32.0
المستوى الجامعي / بكالوريوس	239	50.6
المستوى التعليمي - دراسات عليا	19	4.0
لم يجب	1	0.2
المجموع	472	100%

وأما نسبة من هم في المستوى التعليمي فوق الجامعي (الدراسات العليا) فلم يكن هناك سوى (19) شابة وشاباً، أي ما نسبته (4.0%).

وأما المستوى التعليمي الثانوي من حيث ارتفاع نسبة الشباب الممثلين في العينة فهو المستوى التعليمي الثانوي. حيث يشير الجدول إلى وجود ما عدده (151) شاباً وشابة في هذا المستوى، أي ما نسبته (32%). ويجيء بعدهم من حيث الترتيب والتمثيل النسبي أولئك الشباب ممن هم في المستوى الإعدادي من التعليم. حيث بلغت نسبتهم في العينة (11.2%)، أي (53) شاباً وشابة.

وأما فيما يتعلق بالمستويات التعليمية الأخرى لهؤلاء الشباب فيشير الجدول السابق إلى وجود (7) شباب فقط في مستوى من يقرأ ويكتب، أي ما نسبته (1.5%)، وإلى وجود شابين ممن لم يتعدّ مستواهما التعليمي المرحلة الابتدائية أي ما نسبته (0.4%).

وأما من حيث توزيع هذه المستويات التعليمية من حيث الجنس، فيشير الجدول (رقم 5) إلى وجود ما نسبته (24.6%) من الذكور هم من خلفيات تعليمية جامعية على مستوى الدراسات العليا، وإلى وجود ما نسبته (26.1%) منهم من الإناث ممن هنّ في المستوى التعليمي نفسه. أي أن نسبة الإناث في هذا المستوى التعليمي أعلى منها من نسبة زملائهن في المرحلة نفسها.

توزيع أفراد العينة حسب المستويات التعليمية والجنس

الجنس	الذكور		الإناث		المجموع الكلي	
	النسبة	التردد	النسبة	التردد	النسبة	التردد
المستوى التعليمي						
يقرأ ويكتب	0.6%	3	0.8%	4	1.5%	7
المستوى الابتدائي	0.4%	2	-	-	0.4%	2
المستوى الإعدادي	7.2%	34	4.0%	19	11.2%	53
المستوى الثانوي	18.9%	89	13.2%	62	32.1%	151
المستوى الجامعي	24.6%	116	26.1%	123	50.7%	239
مستوى ما فوق الجامعي	2.8%	13	1.3%	6	4%	19
لم يحدد	-	-	0.2%	1	0.2%	10
المجموع	54.6%	257	45.4%	214	100%	471

وأما فيما يتعلق بالمستوى التعليمي للثانوي، فهناك (18.9%) من أفراد العينة هم من الذكور، وهناك (13.2%) منهم من الإناث. وأما على المستوى التعليمي الإعدادي، فقد بلغت نسبة الإناث في هذه المرحلة (4%)، في حين بلغت هذه النسبة عند الذكور (7.2%). وأما نسب المستويات التعليمية الأخرى فهي غير ذات شأن.

ومتلما تباينت مستويات الشباب التعليمية تباينت كذلك أوضاعهم الاجتماعية. إذ شملت العينة للحالات الاجتماعية جميعها: المتزوج، والعازب، والخطيب، والمطلق والأرمل، ولكن بنسب مئوية مختلفة. (انظر الجدول رقم (6)).

توزيع أفراد العينة حسب أوضاعهم الاجتماعية

الوضع الاجتماعي	العدد	النسبة للمئوية
عازب	263	55.8%
خطيب	41	8.7%
متزوج	150	31.8%
مطلق	13	2.8%
أرمل	4	0.8%
لم يحدد	1	0.2%
المجموع	472	100%

إذ يوضح هذا الجدول أن فئة العزاب منهم هي أعلى هذه الفئات. حيث اشتملت العينة على (263) شاباً وشابة غير متزوج (عازب/ عازباء)، أي ما نسبته (55.8%)، يوجد منهم (137) شاباً غير متزوج، و(126) شابة غير متزوجة، أي ما نسبته (29.1%) و(26.8%) لكل منهما على التوالي. (انظر جدول رقم (7)).

وأما الفئة الاجتماعية الثانية من الشباب من حيث ارتفاع نسبة تمثيلها في الدراسة فهي فئة المتزوجين. وبهذا الصدد يشير الجدول إلى وجود (150) شاباً وشابة يتدرج ضمن هذه الفئة الاجتماعية، أي ما نسبته 31.8%، منهم (19.3%) من الذكور، و(12.5%) من الإناث، أي أن هناك (91) شاباً متزوجاً و(59) فتاة متزوجة.

وأما للفئات الأخرى للباقية من هؤلاء الشباب فهناك نسبة منهم ممن لا يزالون في مرحلة الخطوبة. حيث بلغ عددهم (41) شاباً وشابة، أي ما نسبته (8.7%): (4.2%) من هذه النسبة كانت من الذكور و(4.5%) منها كانت من الإناث. وأما من هو مطلق لزوجهم فقد كان هناك (7) شباب ذكور و(6) فتيات، أي ما نسبته (1.5%) من الذكور، و(1.3%) من الإناث. وأما الأرامل منهم فلم يكن سوى أرملين وأرملتين، أي ما نسبته (0.8%) فقط. (أنظر جدول رقم 7).

توزيع أفراد العينة حسب أوضاعهم الاجتماعية والجنس

الجنس / الوضع الاجتماعي	الذكور		الإناث		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%
أعزب / عزباء	137	29.1	126	26.8	263	55.8
خاطب / مخطوبة	20	4.2	21	4.5	41	8.7
متزوج / متزوجة	91	19.3	59	12.5	150	31.8
مطلق / مطلقة	7	1.5	6	1.3	13	2.8
أرمل / أرملة	2	0.4	2	0.4	4	0.8
المجموع	257	54.6	214	45.4	471	100%

وأما فيما يتعلق بطبيعة مهنة الشباب فيتضح من الجدول (رقم 8) أن الأكثرية منهم يعملون في القطاع الحكومي (المستشفيات، البنوك، دائرة السير، مؤسسة قطر للاتصالات، مؤسسة الكهرباء والماء، والتكرير، والوزارات). حيث بلغ عدد من يعمل منهم في هذا القطاع (182) شاباً وشابة، أي ما نسبته (38.6%). وأما الفئة الثانية من حيث كبر حجمها فهي فئة الشباب ممن لا يزالون على مقاعد الدراسة. فهناك ما عدده (135) طالباً وطالبة في هذا الوضع، أي ما نسبته (28.6%)⁽¹⁾.

وأما عدد العاطلين عن العمل من أفراد العينة من هؤلاء الشباب فقد بلغ (60) شاباً وشابة أي ما نسبته (12.7%). ويتضح من الجدول أيضاً أن هناك (48)

(1) بصرف النظر عن طبيعة مهنة أفراد العينة إلا أنهم جميعاً يمثلون مستويات تعليمية مختلفة كما أوضحنا في الجدول رقم (5) السابق.

شباباً وشابة يعملون في القطاع الخاص (مدارس خاصة، قطاع الإنشاءات، شركات)، أي ما نسبته (10.2%). ويوجد كذلك ما نسبته (4.9%) يعملون أعمالاً حرة (التجارة، تجارة السيارات، فنيو تصليح أدوات كهربائية، عاملون في بيع الأشرطة والأدوات الكهربائية، فنيو تصليح سيارات)، وما نسبته (4.4%) يعملون ويدرسون في الوقت نفسه.

توزيع أفراد العينة حسب توزيع المهن

الأوضاع الاجتماعية	العدد	النسبة المئوية
- موظف في القطاع الخاص	48	10.2
- موظف في للقطاع الحكومي	182	38.6
- طالب متفرغ للدراسة	135	28.6
- عاطل عن العمل	60	12.7
- طالب ويعمل	21	4.4
- أعمال حرة	23	4.9
- لم يجب	3	0.6
المجموع	472	%100

وأما فيما يتعلق بتوزيع هذه المهن حسب متغير الجنس فيتضح من جدول (رقم 9) أن نسبة الفتيات للعاملات في القطاع الحكومي بلغت (15.4%)، مقابل (23.5%) من الذكور يعملون في القطاع نفسه. ويتبين من هذا الجدول أيضاً أن نسبة الطالبات الممثلات في هذه الدراسة (17.7%)، ونسبة الطلاب (11.1%). وأما نسبة غير العاملات من الإناث فقد كانت (7%)، وغير العاملين من الشباب (5.8%).

وأما نسبة من يعملون في القطاع الخاص من الشباب فقد كانت (7.5%)، ونسبة من يعملن من الإناث في القطاع نفسه (2.8%). وأما من يعملون أعمالاً حرة بين أفراد العينة فلا يوجد سوى (4) فتيات فقط، أي (0.9%) في حين يوجد (19) شاباً يعمل في هذه الأعمال، أي (4.1%).

توزيع أفراد العينة حسب الوضع المهني والجنس

الوضع المهني	الجنس	الذكور		الإناث		المجموع الكلي	
		ت	%	ت	%	ت	%
1. موظف في القطاع الخاص		35	7.5	13	2.8	48	10.2
2. موظف في القطاع الحكومي		110	23.5	72	15.4	182	38.8
3. طالب		52	11.1	83	17.7	135	28.8
4. عاطل من العمل		27	5.8	33	7.0	60	12.8
5. طالب/ عامل معاً		14	3	7	1.5	21	4.5
6. أعمال حرة		19	4.1	4	0.9	23	4.9
المجموع		257	54.8	212	45.2	469	100

وأما فيما يتصل بخصائص الشباب المعادية فيشير الجدول رقم (10)، إلى تقارب في مداخيل أسرهم الشهرية، وبخاصة تلك التي تزيد عن (5000) ريال قطري. فمثلاً هناك ما نسبته (19.5%) من هذه الأسر يتراوح دخلها الشهري ما بين (12.500 - 15.000) ريال، وهذه أعلى نسبة دخل من بين جميع الدخولات. وأما ثاني أعلى نسبة دخل شهرية لهذه الأسر فكانت (18.4%). وهذه النسبة هي لتلك الأسر التي يصل دخلها الشهري إلى ما قيمته (7500 - 10.000) ريال. في الوقت نفسه، هناك ما نسبته (17.4%) من هذه الأسر تتراوح مداخيلها الشهرية ما بين (10.000 - 12.500) ريال شهرياً.

وأما من قلت مداخيل أسرهم الشهرية عن (7500) ريال فقد كانت نسبتهم (16.1%). حيث أجابت هذه النسبة من الشباب أن مداخيل أسرهم الشهرية ينحصر ما بين (5000 - 7500) ريالاً. ولما من قلت مداخيل أسرهم عن ذلك فقد بلغت نسبتهم (15.9%). حيث تراوحت المداخيل الشهرية لهذه النسبة من الأسر ما بين (2500 - 5000) ريال.

ويتضح من الجدول أيضاً أن هناك ما نسبته (7.2%) من دخل أسر هؤلاء الشهرية يفوق بقية النسب السابقة. إذ يزيد هذا الدخل عن (15000) ريال. وهكذا

يتضح أن أعلى دخولات شهرية لهذه الأسر هي الدخولات المحصورة، كما لوضحنا، ما بين (12.500 – 15000) ريال بالشهر.

توزيع دخولات أسر الشباب الشهرية

الدخولات الشهرية	التكرار	النسبة المئوية
2500 – أقل من 5000	75	15.9
5000 – أقل من 7500	76	16.1
7500 – أقل من 10.000	87	18.4
10.000 – أقل من 12.500	82	17.4
12.500 – أقل من 15.000	92	19.5
15000 – فأكثر	34	7.2
لم يجب	26	5.5
المجموع	472	%100

وأما فيما يتعلق بعدد ساعات استخدام الشباب للإنترنت في اليوم، فيكشف الجدول رقم (11) المعني بذلك، إلى أن أعلى عدد هو (4) ساعات يومياً. حيث أجاب ما نسبته (38.6%) من الشباب أنهم يستخدمون الإنترنت ما بين (2-4) ساعات يومياً. وأما نسبة من يزيد استخدامهم عن هذه المدة فقد كانت (15.7%). حيث أجابت هذه النسبة من الشباب أن استخدامهم اليومي للإنترنت ينحصر ما بين (4-6) ساعات.

وأما نسبة الشباب الذين يزيد استعمالهم للإنترنت عن (6) ساعات يومياً فقد بلغت (9.5%)، أي ما عدده (45) شاباً وشاباً. وأما نسبة من قل استخدامهم اليومي لهذه الوسيلة الاتصالية عن ساعتين فقد كانت (30.5%).

توزيع عدد ساعات استخدام الشباب اليومي للإنترنت

عدد الساعات	العدد	النسبة المئوية
أقل من ساعتين	14.4	30.5
2 - أقل من 4 ساعات	182	38.6
4 - أقل من 6 ساعات	74	15.7
6 - فما فوق	45	9.5
لم يجب على السؤال	27	5.7
المجموع	472	%100

وأما فيما يتصل بعدد سنوات خبرة الشباب في استخدام الإنترنت فيشير الجدول المعني بذلك، جدول رقم (12)، إلى خبرة لا بأس بها في هذا المجال. حيث كشف الجدول عن وجود ما نسبته (34.9%)، أي ما عنده (165) شابة وشاباً، يستخدمون الإنترنت منذ سنتين إلى أربع سنوات وإلى جود ما نسبته (34.6%) ممن تزيد خبرتهم في هذا الاستعمال عن سنتين؛ وإلى وجود ما نسبته (17.4%) منهم لديهم خبرة تصل إلى (6) سنوات. وأما نسبة من تزيد خبرته في استخدام الإنترنت عن الخبرات السابقة فقد كانت (10.2%). إذ أجاب هؤلاء الشباب أن لديهم خبرة تزيد عن (6) سنوات في هذا الاستخدام وتقل عن ثماني سنوات.

وأما من تزيد خبرتهم عن الخبرات السابقة جميعها من حيث الاستخدام فقد كانت نسبة ضئيلة جداً لم تتجاوز (0.6%) كما يشير الجدول. كما كان هناك بالطبع، ما نسبته (2.3%) من الشباب لم يجب عن هذا السؤال.

توزيع عدد سنوات الخبرة في استخدام الإنترنت

عدد سنوات الخبرة	التكرار	النسبة المئوية
أقل من سنتين	163	34.6
2 - أقل من 4 سنوات	165	34.9
4 - أقل من 6 سنوات	82	17.4
6 - أقل من 8 سنوات	48	10.2
8 سنوات فأكثر	03	0.6
لم يجب على السؤال	11	2.3
المجموع	472	%100

الخصائص المتعلقة بالعلاقات الأسرية

وبعد أن فرغنا من تحديد الخصائص النوعية للشباب من حيث الجنس والعمر، والمستوى الاجتماعي والمهني والتعليمي والمادي، ومن حيث عدد ساعات استخداماتهم اليومية للإنترنت، وعدد سنوات خبرتهم في ذلك، فننتقل الآن إلى توضيح الخصائص المتعلقة بطبيعة علاقاتهم الاجتماعية والتفاعلية مع أسرهم وعائلاتهم، لنرى ما إذا كان لهذه العلاقات دور في حمايتهم من التأثيرات المحتملة للإنترنت. أي أننا نريد أن نثبث من صدقية ما ذهبنا إليه الدراسات التي عرضنا لها في الجزء النظري من هذه الدراسة، وبخاصة نظرية العلاقات الاجتماعية، من تأكيد على دور العوامل الوسيطة (Mediating Factors) من تخفيف حدة تأثيرات وسائل الاتصال المباشر والفورية على الشباب.

ففيما يتعلق بطبيعة علاقات الشباب بأسرهم للنوعية، فتعكس إجاباتهم عن السؤال المتعلق بذلك، مدى القوة التي تمتاز بها هذه للعلاقات. فحين سئلوا عن وصف هذه العلاقات من حيث الاحترام والتقدير للمبادل بينهم وبين أسرهم أجاب (71.4%) منهم بأنها علاقات "قوية" و"ممتية"، في حين وصفها ما نسبته منهم

(23.7%) بأنها "متوسطة"، أي غير قوية وغير ضعيفة⁽¹⁾. ولما نسبة من اعتبرها "ضعيفة" فلم تزد عن (4.2%)، في حين لم يجب سوى شخصين بأن علاقتهما مع أسرتهما مقطوعة". انظر الجدول (رقم 13).

علاقات للشباب داخل النسيج الأسري

السؤال: كيف تعتبر علاقتك بأسرتك من حيث التقدير والاحترام؟		
العلاقة	العدد	النسبة المئوية
~ قوية ومتينة	337	71.4
- متوسطة	112	23.7
- ضعيفة وفاترة	20	4.2
- مقطوعة	2	0.4
لا رأي	1	0.2
المجموع	472	100%

لم تكن العلاقات الاجتماعية "القوية"، في الواقع، مقصورة على أسر الشباب النورية فقط؛ بل امتدت لتشمل علاقاتهم بعائلاتهم وأقاربهم أيضاً⁽²⁾. وبدا ذلك جلياً

(1) ينقسم التفاعل داخل الأسرة القطرية بالمعنى والشدّة بشكل علم. وهذا ما توصل إليه الباحث علي ليلة وزملاؤه في عملهم المتميز التالي عن الشباب القطري.

- علي ليلة ومحمود الكردي وعبد العزيز كمال وأسماء العطية (1991)، الشباب القطري: اهتماماته واهتماماته، مركز الوثائق والدراسات الإسلامية، جامعة قطر.

- فلروق إسماعيل وعلي ليلة (1993)، الخارطة الاجتماعية لمنطقة الدوحة: دراسة سوسيو أنثروبولوجية، مركز الوثائق والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، وانظر أيضاً:

- اعتماد علّام وآخرون (1995)، التحولات الاجتماعية وقيم العمل في المجتمع القطري، مركز الوثائق والدراسات الإسلامية، جامعة قطر.

(2) تندرج الدراسات الاجتماعية للباحثين القطريين في تحصيل طبيعة التفاعل المعنوي في المجتمع القطري. ومع ذلك لا بأس من العودة هنا إلى الدراسة التالية التي يمكن اعتبارها الأقرب من غيرها في فهمها إلى هذا الموضوع على الرغم من قلمها القصير.

جوهية الحمسي (1978)، المجتمع القطري: دراسة تطبيقة لملامح التغير الاجتماعي المعاصر، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، وانظر كذلك العمل الأكثر حداثة وهو عمل فلروق إسماعيل وعلي ليلة المشار إليه سابقاً.

من خلال إيجابياتهم عن السؤال الموجه إليهم لمعرفة طبيعة تفاعلهم الاجتماعي مع هذه العائلات، ومدى عمق هذا التفاعل بينهم. فقد وصفه أكثر من نصف أفراد العينة بأنه "قوي"، أي أن هناك ما نسبته (52.3%) من هؤلاء الشباب يقيم علاقات تفاعلية صديقة ومنسجمة مع أفراد عائلاتهم وأقاربهم (أسرهم الممتدة والمشاركة).

ولما من وصف منهم هذا التفاعل بأنه "متوسط" و"عادي" فقد بلغت نسبتهم المئوية (34.3%). ولما نسبة من وصف هذا التفاعل بـ"الضعيف" أو "الانقطاع" فقد كانت نسباً متدنية إذ لم يجب سوى (8.7%) منهم بأن التفاعل بينه وبين أقاربه "ضعيف"، ولم يجب أيضاً سوى (3.2%) فقط بأن علاقته معهم أقاربه "مقطوعة"، أي أنه لا يوجد بينه وبينهم أي تفاعل. انظر الجدول (رقم 14).

علاقات الشباب بأسرهم الممتدة (العائلة)

السؤال: كيف تصف علاقتك بأسرته الكبيرة من حيث التفاعل والانسجام والتعاون؟		
العلاقة	العدد	النسبة المئوية
- قوية	247	52.3
- متوسطة	162	34.3
- ضعيفة	41	8.7
- مقطوعة	15	3.2
لا رأي	2	0.4
لم يجب	5	1.1
المجموع	742	100%

وعلى الرغم مما تميز به تفاعل الشباب من قوة واحترام متبادل مع أفراد أسرهم الممتدة (الأقارب)، كما أوضحنا للتو، إلا أن قوة هذا التفاعل تبدأ بعتريته شيء من القوهن أخصح عن نفسه في تراجع عدد الزيارات التي ألف الشباب القيام بها لأقاربهم قبل تعرفهم على الإنترنت.

وفي هذا الصدد، تشير نتائج الجدول (رقم 15) إلى أن في عدد الزيارات التي يقوم بها الشباب لأقاربهم بشكل متواصل ومستمر، حيث لم يجب منهم سوى ما نسبته (38.8%) بأنهم يزورونهم بشكل "دائم ومستمر" وأما النسبة الأكبر منهم فقد أجابت بأن زيارتها لهم هي زيارات "متقطعة" إذ بلغت هذه النسبة (51.5%). ومع ذلك فهذه الزيارات على الرغم من تراجعها وعدم استمراريتها إلا أنها غير "مقطوعة" إلا عدد نسبة صغيرة منهم لم تتعد (4.9%) فقط.

زيارات الشباب لعائلاتهم وأقاربهم

هل تزور أقربيك والفراد أسرته بشكل:		
وصف العلاقة	التكرار	النسبة المئوية
دائم ومستمر	183	38.8
متقطع	243	51.5
لا أزورهم / مقطوعة	23	4.9
لا أدري	19	4.0
لم يجب على السؤال	4	0.8
المجموع	472	%100

وفي الحقيقة، فإن الزيارات التي يقوم بها الشباب لأقاربهم وفرد أسرهم الممتدة ما هي إلا مظهر من مظاهر التفاعل والتواصل الاجتماعي⁽¹⁾. صحيح أن هناك تراجعاً في هذا التواصل على المستوى الكمي، ومع ذلك يبقى احترام الشباب لأقاربهم أولاً وتفاعلهم معهم متيناً إذا ما تمت زيارات بينهم.

ومن أهمّيات الأهمية الأخرى التي حرصنا على معرفتها أيضاً، هي طبيعة أساليب معاملة الأسرة لأبنائها، والأزواج لزوجاتهم. وفي هذا الخصوص يشير الجدول رقم (16) إلى تبين في طرق تعامل الأسرة مع أبنائها من الشباب

(1) تستخدم الدراسة مصطلحي التفاعل الاجتماعي والتواصل الاجتماعي (Social Interaction) بـمعنى يشير إلى قوة العلاقة ومكانتها وحيويتها واستمراريتها بين الأطراف المتصلة في العملية الاتصالية والمؤرخة عن مصطلح الاتصال (Communication) التي لا يصف بهذه الصفات.

غير المتزوج الذي يسكن معها، وإلى اختلاف أيضاً في معاملة الزوج لزوجته. وقد أفصح هذا للتيار والاختلاف عن نفسه في إجابات الشباب العازب والعزاب والشباب المتزوج عن السؤال التالي الذي يطلب منهم وصف معاملة أسرهم وأزواجهم لهم:

كيف تصف طريقة معاملة والدك لك إذا كنت عزباً، أو معاملة زوجك لك إذا كنت متزوجاً؟

أساليب تعامل الأسرة مع أبنائها والأزواج مع زوجاتهم

أساليب تعامل الآباء مع أبنائهم والأزواج مع زوجاتهم؟		
المعاملة:	العدد	النسبة المئوية
- صارمة وشديدة	45	9.5
- عادية	153	32.4
- متذبذبة / متقلبة	56	11.9
- ليونة / متساهلة	62	13.1
- ديمقراطية قائمة على الحوار وتفهم وجهة نظر الآخر	152	32.2
لا رأي	4	0.8
المجموع	482	100%

يتبين من إجابات الشباب عن هذا السؤال أن الحوار والتفاهم - كشكل من أشكال الأساليب الديمقراطية - هو الأكثر شيوعاً بينهم وبين أسرهم و زوجاتهم أيضاً. فهناك (32.2%) من الشباب العازب والعزاب وصف هذه المعاملة بالديمقراطية، القائمة على تفهم وجهات نظر الآخر، وهناك ما نسبته (32.4%) منهم وصفها بأنها معاملة "عادية"، أي ليست صارمة ولا ليونة ولا متذبذبة، بل أقرب ما تكون إلى الأسلوب الديمقراطي (انظر جدول رقم 16).

ولما من تعامله أسرته / روجه باللين والتساهل فقد كانت نسبتهم (13.1%)، ونسبة من تعامله أسرته / روجه بشكل صارم وشديد فقد كانت (9.5%). ولما حالة

الشباب الذين لا يوجد أسلوب محدد وواضح تكفده أسرهم / أزواجهم في التعامل معهم - أي متقلب - فقد كانت (11.9%).

وهكذا نخلص من هذا الجدول السابق، والجدول الأخرى السابقة إلى استنتاج مفاده أن الشباب يتمتع بشكل عام، بجو أسري وعائلي مريح تطلب عليه "وسيطية - عادية" العلاقات الأسرية، إضافة إلى ديمقراطيتها، وابتعادها عن العنف والصرامة والنسوة⁽¹⁾. وهذا ما يبينه إجاباتهم عن أسئلة أخرى تتعلق بكشف المزيد من جوانب هذه العلاقات الاجتماعية، كمشاركتهم في النقاشات الأسرية. إذ تعتبر مشاركة الشباب في الحوارات والنقاشات الأسرية مظهراً آخر من المظاهر التي تمكس طبيعة العلاقات داخل الأسرة. لهذا لم نكتف بإجاباتهم عن الأسئلة السابقة لمعرفة طبيعة هذه العلاقات. بل قمنا توجيه سؤالين آخرين في هذا المجال من شأنهما كشف المزيد عن طبيعة هذه العلاقة وهما:

هل تشارك في النقاشات والحوارات التي تتم داخل الأسرة؟ وهل يحظى الرأي الذي تكديه في هذه النقاشات والحوارات بتقدير أسرتك واحترامها؟

يتبين من إجابات الشباب عن هذين السؤالين أن أكثر من نصف أفراد العينة يشاركون بشكل "دائم" في هذه النقاشات والحوارات التي تدور داخل الأسرة (52.3%).

(1) من أجل المزيد من الإطلاع على طبيعة هذه العلاقات أنظر من درويق إسمايل وحلي فالة السباقي الذكر، وبمقدمة الفصل الخامس عشر (من ص 451-539).

مشاركة الشباب في الحوارات داخل الأسرة

	بشكل		لا رأي		لدي		تأثيراً		كثيراً		بشكل	
	%	ن	%	ن	%	ن	%	ن	%	ن	%	ن
1- هل تشارك في النقاشات داخل الأسرة حول مسائل التي تخص الأسرة؟	0.4	2	0.8	4	5.7	27	7.8	37	32.8	155	52.3	247
2- هل تشعر بأن رأيك الذي تبيته في هذه النقاشات يغطي بتقدير يحول لمرتك	0.2	1	0.8	4	8.5	40	9.3	44	41.5	196	39.6	187

ويتبين أيضاً أن (6 39%) من هؤلاء الشباب تأخذ أسرهم دائماً بآرائهم التي يبدونها في هذه الحوارات، فنظر جدول (رقم 17)، إذ يوضح الجدول أن نسبة من لا يشارك من الشباب في الحوارات الأسرية هي نسبة متدنية جداً، (7 5%)، كما أن نسبة الشباب الذين تهمل أسرهم آراءهم ولا تأخذ بها هي نسبة متدنية أيضاً لم تزد عن (8.5%)

وهكذا يتبين من الجداول السابقة أن الشباب، ذكوراً وبناتاً، يشاركون بشكل متفاوت، في المناقشات الأسرية ويبدون آراءهم فيها أيضاً. كما يتبين أن الكثير من هذه الآراء يؤخذ بها في حالات كثيرة، وهذا بالطبع مظهر آخر من مظاهر سيادة الجو الديمقراطي داخل الأسرة، ومظهر من مظاهر احترام الأسرة لأبنائها وتقديرها لآرائهم ووجهات نظرهم واحترام الأزواج لآراء بعضهم البعض.

وبعد أن لموسطنا في الصفحات السابقة حصص الشباب من جميع الجوانب النوعية والاجتماعية، ننتقل إلى الجزء الثاني من الدراسة وهو الجزء المنطوق بتحليل النتائج التي توصلت إليها الدراسة بخصوص طبيعة التأثيرات للنوعية والاجتماعية التي تركها الإنترنت على الشباب، سواء الإيجابية أم السلبية، في ضوء الخصائص والمتغيرات السابقة، والمشكلات التي أوجدها لديهم، والخصائص الجديدة للثقافة التي أوجدها منهم.

الفصل الثالث

تأثيرات الإنترنت على بنية الاتصال

الشخصي والجماعي

مقدمة

خصائص الاتصال الشخصي

تأثيرات الإنترنت على الاتصال الشخصي

حميمية العواطف الإلكترونية

العواطف الإلكترونية والزواج

الانترنت واللقاءات الوجدانية المباشرة

تأثيرات الأنترنت على الاتصال الجماهيري

الخلاصة

الإنترنت والاتصال الشخصي والجماعي

مقدمة

يعد الاتصال الشخصي (Interpersonal Communication) أكثر أشكال الاتصال شيوعاً وانتشاراً بين الأفراد في المجتمع، وأكثرها ملاءمة من حيث توفيره للفرصة أمام الأطراف المتصلة، للتعرف الفوري والمباشر على مدى تأثير رسالتهم الاتصالية على بعضهم البعض. فإذا ما شعر أحد هذه الأطراف، أن رسالته لا يفهمها الآخر أو لا تصله بالطريقة التي يريد، فإنه يعمل على تعديلها أو تغييرها أو توجيهها بطريقة جديدة، لتصبح أكثر وضوحاً وبلغ تأثيراً في تحقيقها لأهدافها المرجوة.

ومن هذا المنطلق يظهر علماء الاتصال إلى هذا الشكل من أشكال الاتصال على أنه أفضل من وسائل الاتصال الأخرى، كالجماهيرية مثلاً، في تحقيق المرسل لأهدافه وغاياته المرجوة من العملية الاتصالية، وبخاصة تلك الأهداف المتعلقة بالإقناع، سواء تكلفت هذه العملية ذات طابع تسويقي لم تروجي فكرة أو سلعة أو مبدأ من المبادئ الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو الصحية أو التربوية أو الإعلامية. لماذا يعني هذا النوع من الاتصال؟ وما هي أهميته وخصائصه؟ وما الدور الذي لعبه الإنترنت في التأثير عليه.

خصائص الاتصال الشخصي

يشير الاتصال الشخصي إلى أي شكل من أشكال الاتصال المباشر الذي يتم بين الأفراد وجهاً لوجه (Face to Face Communication)، ويتيح لهم استخدام حواسهم الخمس في اتصالهم مع بعضهم البعض.

ويتميز الاتصال الشخصي الوجيه بخصائص عدة تجعله اتصالاً مؤثراً وفورياً وفاعلاً في عملية التفاعل الاجتماعي اليومي بين الأفراد، وبخاصة حينما يتعلق الأمر بعملية الإقناع التي تعتبر إحدى أهم أهداف الاتصال الإنساني. إذ يسمح هذا النوع من الاتصال بتبادل الأدوار وتقاسمها بين أطراف العملية الاتصالية بشكل تفاعلي ودائري (Reciprocal Interaction)، مما يتيح لكل طرف منها فرصة لتقديم

مدى فاعلية اتصاله مع الآخر ومدى تحقيقه لأهدافه، الأمر الذي لا يتيح لهم الاتصال الجماهيري (Devito, J, 1989, Brydon, S, and Scott, M, 2000).

ويتركب على هذا التفاعل التبادلي خاصية أخرى من خصائص الاتصال الشخصي وهي المرونة. حيث تمكن هذه المرونة كل طرف من الأطراف المتصلة من تعديل رسائلها أو تغييرها أو عرضها بطريقة أخرى في ضوء ما تلقاه من تغذية مرتدة (Feedback) من الطرف الآخر إزاء هذه الرسائل وهذه الخاصية أيضاً لا يتحها الاتصال الجماهيري لمستخدميه بالمرونة نفسها التي يتحها لهم الاتصال الشخصي. وهكذا تعمل المرونة والتغذية المرتدة التي يتميز بها الموقف الاتصالي في هذا النوع من الاتصال، على مساعدة الفرد وتمكينه من تحقيق أهدافه. (Brydon, S, and Scott, 2000, Hybels, S, and Weaver, R, 2001).

وبالإضافة إلى هذا، هناك خاصية أخرى للاتصال الشخصي المباشر قل أن نجدما عدد غيره من أنواع الاتصال الأخرى وهي الثقة والحميمية التي تتولد بين الأطراف المتصلة أثناء تفاعلها وجهاً لوجه. إذ يولد الاتصال الوجيه المباشر بين الأفراد الذين يتفاعلون يومياً بشكل مستمر في أصالهم وحياتهم اليومية، شعوراً بالحميمية ينذر أن تتولد، من أي نوع آخر من أنواع الاتصال (Hybels, S, and Weaver, R, 2001). ومع أن طبيعة هذا النوع من الاتصال لا ينفي نشوء صراعات أو خلافات أو تعارض في وجهات النظر بين الأطراف المتصلة، ومع ذلك تبقى الحميمية صفة من صفاته الأساسية إذا ما قارناه مع غيره من أنواع الاتصالات الأخرى.

وهكذا، فإن الخصائص السابقة للاتصال الشخصي الوجيه تجعل منه أكثر أنواع الاتصال قدرة على تكوين علاقات اجتماعية وصدقات شخصية بين الأفراد في المجتمع، تنتم بالحميمية والصدق، والاستمرارية والديمومة إلى حد بعيد.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو إلى أي حد يستطيع الاتصال بين الأفراد عبر الأنترنت أن يوفر لهم الخصائص الاتصالية التي يوفرها لهم الاتصال الشخصي الذي يتم بين الأفراد وجهاً لوجه، وبخاصة ذلك الشعور بالصدق والحميمية؟

لقد كشفت نتائج العديد من الدراسات في هذا الصدد أنه من الممكن استخدام الإنترنت كوسيلة اتصال مباشرة بين الأفراد، دون أن يتزامن وجودهم في مكان واحد بحيث يرى كل منهم الآخر. ومع ذلك فإن المشاعر التي يكوئها الأفراد من خلاله لا تبدو أن تكون "مشاعر إلكترونية"، لا تنقسم بالجمعية التي تنقسم بها للمشاعر المكونة عبر الاتصال الواجهي المباشر (Rice, R. and Iovle, G. 1987). وفي هذا الصدد أيضا، يشير باحثون آخرون، وبخاصة سبرول وكزائر، إلى أن هذه النتيجة يجب أن لا يُنظر إليها بأنها نتيجة مطلقة. فهناك العديد من العوامل والمتغيرات الاجتماعية و النفسية والثقافية التي يجب أخذها بعين الاعتبار عندما نتعامل مع المشاعر والأحاسيس التي يولدها الإنترنت لمستخدميه. وعليه فإننا هنا نرسل، كما يقولون، بحاجة إلى إجراء المزيد من الدراسات الامبريقية (Empirical Studies) على هذا الجانب من جوانب استخدامات الإنترنت، وعلى هذا البعد المشاعري تحديداً (Sproull, L. and Kiesler, S. 1991) وهذا ما حاولت الدراسة الحالية القيام به؛ إذ خصصنا هذا الفصل للتأكد من معرفة طبيعة مشاعر الشباب وعواطفهم نحو من تعرفوا إليهم من خلال الإنترنت ومقارنتها بمشاعرهم نحو من تعرفوا إليه وجهاً لوجه.

وفي الحقيقة، يسمى هذا الفصل إلى تحقيق هدفين متداخلين: الهدف الأول يتعلق بمعرفة المدى الذي أثر به اتصال الشباب عبر الإنترنت على اتصالاتهم الشخصية الواجهية مع أصدقائهم وأسرهم، وتحديد مدى ما قسمت به هذه الاتصالات من نفءة وصمیمية. ولما الهدف الثاني فيكس في معرفة قوة للتأثيرات التي تركها الإنترنت على وسائل الاتصال الجماهيرية الموجودة في المجتمع. فإلى أي حد ترفع تعاملهم مع هذه الوسائل بسبب الإنترنت؟ وأي هذه الوسائل تؤثر أكثر من غيره من هذه الوسيلة الجديدة التي دخلت إلى مجتمعهم؟

ومن أجل تحقيق هذين الهدفين قمنا بتوجيه عدة أسئلة إلى الشباب، تتعلق بالمجموعة الأولى منها بتحقيق الهدف الأول؛ حيث وجهنا إليهم بعض الأسئلة التي تدور حول مقدار الوقت الذي يقضونه في استعمال الإنترنت مقارنة بمقدار الوقت الذي يقضونه مع أصدقائهم وأسرهم وجهاً لوجه. كما قمنا أيضا بتوجيه بعض الأسئلة بهدف التعرف على مدى صق مشاعرهم ولحسيسهم نحو من تعرفوا إليهم

عبر الإنترنت (مضاعفهم الإلكترونية)، ليقللونها بمضاعفهم نحو علاقاتهم التي كونوها عن طريق الاتصال المباشر والوجاهي فيما إذا كانت تنقسم بالعمق نفسه أم لا.

وتتعلق المجموعة الثانية من الأسئلة بمعرفة مدى تأثير الإنترنت على وسائل الاتصال الجماهيرية التي يستخدمها الشباب في مجتمعهم، كالتلفزيون والسينما والراديو والصحف والكتب والمجلات. وبالإجابة عن هذه التساؤلات، نكون قد توصلنا إلى معرفة مدة التأثير الذي أحدثه الاتصال الإلكتروني على بنية الاتصال في المجتمع بشقيه المباشر والجماهيري. فلنبدأ بتحليل إجاباتهم على ذلك.

تأثيرات الإنترنت على الاتصال الشخصي

السؤال: الوقت الذي تقضيه في التحدث مع أصدقائك ومعارفك عبر الإنترنت أكثر من الوقت الذي تقضيه في التحدث معهم وجهاً لوجه:

تظهر إجابات الشباب على هذا السؤال أن محادثاتهم مع أصدقائهم ومعارفهم عبر الإنترنت لم تكن على حساب الوقت الذي يقضونه معهم وجهاً لوجه؛ فعند الشباب الذين يقضون وقتهم مع أصدقائهم وجهاً لوجه ويتفاعلون معهم مباشرة أكثر من عدد الشباب الذين يقضون وقتهم في التحدث معهم عبر الإنترنت؛ إذ بلغ عددهم (268)، (مجموع غير الموافقين، وغير الموافقين لبدأ) أي ما نسبته (56.9%)، مقارنة بالعدد الآخر من الشباب الذين يقضون وقتهم في التحدث عبر الإنترنت مع أصدقائهم وهو (203) شاباً وشابة (الموافقون والموافقون جداً) أي ما نسبته (43%). وهذه نسبة عالية تقريباً وذات دلالة اجتماعية تشير إلى تأثير الاتصال الشخصي بالاتصال عبر الإنترنت، أي أن الاتصال عبر الإنترنت بدأ يشكل نمطاً اتصالياً جديداً في المجتمع القطري.

وقت الذي تقضيه في المحادثة مع الأصدقاء عبر الإنترنت أكثر من الوقت الذي تقضيه معهم وجهاً لوجه										
خرجت لمواعدة الجنس	موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق جداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	35	7.4	85	18.0	95	20.2	43	9.1	258	54.8
الإناث	36	7.6	47	10.0	65	13.8	65	13.8	213	45.2
المجموع الكلي	71	15.0	132	28	160	34	108	22.9	471	100

المتغيرات النوعية:

أوضحت الدراسة أن كلا الجنسين من الشباب، يقضي وقتاً لا بأس به في التحدث مع أصدقائه ومعارفه عبر الإنترنت، صحيح أنه وقت أقل من الوقت الذي

يقضونه وجهاً لوجه معهم، إلا أنه وقت يجب أن لا يستهان به. فنسبة الذكور الذين يقضون وقتاً في التحدث مع أصدقائهم عبر الإنترنت بلغت (25.4%)؛ في حين بلغت نسبة الإناث (17.6%).

ما هي أصناف الشباب الذين يقضون وقتاً في التحدث عبر الإنترنت مع معارفهم أكثر مما يقضونه وجهاً لوجه معهم؟ وما هي أوصافهم الاجتماعية والتعليمية؟ تشير الجدول⁽¹⁾ في هذا الصدد إلى أن الشباب في الفئة العمرية المعصورة ما بين (20-23) سنة هم أكثر الشباب الذين يقضون وقتاً في التحدث عبر الإنترنت، ثم الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين (17-20) حيث كانت النسبة المئوية لكل فئة عمرية منهما على التوالي: (13%) و(7.8%). ولما لفئات العمرية الأخرى فقد تقلبت نسب الشباب فيها، ممن يقضون وقتهم بالتحدث عبر الإنترنت؛ حيث بلغت (5.3%) للفئات العمرية التي انحصر عمر الشباب فيها بين (29-32)، وبلغت (6.8%) للفئات الشبابية التي انحصر عمر الشباب فيها بين (23-26). ولما الشباب الذين انحصرت أعمارهم ما بين (16-29) فقد بلغت نسبتهم (6.4%).

ولما فيما يتصل بالمستويات التعليمية لهؤلاء الشباب، فقد قضي أن الشباب الجامعي والشباب ممن هم في المستوى التعليمي الثانوي هم أكثر المستويات التعليمية الذين يقضون وقتاً في التحدث مع معارفهم عبر الإنترنت. إذ بلغت النسبة المئوية لكل مستوى تعليمي منهما كما يلي: (17.9%) للمستوى الثانوي، و(17.3%) للمستوى الجامعي. ويشير الجدول أيضاً إلى أن الفتي الحزب والمتروجين هم أكثر الفئات الاجتماعية التي تكثر علاقاتها الوجدانية - المباشرة مع أصدقائهم بسبب انشغالها عنهم بالإنترنت. حيث أجاب ما نسبته (27%) من الشباب الحزب أنهم يقضون وقتاً في التحدث مع معارفهم عبر الإنترنت أكثر من الوقت الذي يقضونه معهم وجهاً لوجه. وأجاب ما نسبته (10.4%) من المتروجين الإجابة نفسها.

(1) انظروا لاضافة عدد الجدول المتعلقة بالمتغيرات العرقية والاجتماعية، فإنه لن يكن بالاستخدام إيجابياً في هذه الدراسة ولا في نهجها ضمن الملحق، لذا سنكتفي من الآن فصاعداً بذكر النسب المئوية لهذه المتغيرات فقط.

متغيرات العلاقة الأسرية

ما تأثير العلاقة الزوجية التي تربط بين الزوجين من حيث القوة والضعف على لجوء أحدهما إلى التحدث مع معارفه عبر الإنترنت؟ بمعنى آخر هل يجد الزوج الذي تربطه علاقة ضعيفة مع روجه في التحدث عبر الإنترنت مع أحد المعارف فرصة لتعويض ما يحتاجه أو يعتبر إليه من هذا الطرف؟ لقد تم وضع سؤال بحلول معرفة ذلك، وكانت النتيجة، كما عكستها إجابات المتزوجين من أفراد العينة هي "نعم" إذ اتضح أن من تربطه بوجه علاقة قوية لا يلجأ كثيراً إلى التحدث عبر الإنترنت؛ حيث كانت النسبة المئوية هنا لهؤلاء الأزواج (7 48%). وهذا يعني أن الأزواج السعداء في حياتهم الأسرية لا يلجأون إلى الإنترنت، لأنهم ليسوا بحاجة إلى ذلك بحكم علاقتهم الزوجية القوية.

السؤال: تقضي وقتاً في التحدث مع معارفك وأصدقائك عبر الإنترنت أكثر من الوقت الذي تجلس فيه مع أسرته.

متىما ترك الإنترنت تأثيراً على اتصال الشباب لوجاهي المباشر مع معارفهم وأصدقائهم، كما أوضحنا للتو، ترك أيضاً تأثيراً على اتصالهم المباشر مع أفراد أسرهم كما يبين الجدول (رقم 19). إذ تبين أن هناك ما نسبته (4 44%) منهم يقضون وقتاً في التحدث مع معارفهم عبر الإنترنت، وهذا الوقت هو على حساب تواصلهم وتفاعلهم مع أسرهم. في حين بلغت نسبة من يقضي منهم وقتاً مع أسرته (55.7%).

تقضي وقتاً في التحدث مع معارفك وأصدقائك عبر الإنترنت أكثر من الوقت الذي تجلس فيه مع أسرتك										
درجة الموافقة فجس		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي
		%	ن	%	ن	%	ن	%	ن	
الذكور		10.4	49	17.6	83	18.5	87	8.3	39	54.8
الإناث		4.7	22	11.7	55	15.1	71	13.8	65	45.2
المجموع الكلي		15.1	71	29.3	138	33.6	158	22.1	104	471

صحيح أن نسبة الشباب الذين يجلسون مع أسرهم ويتحدثون معها بشكل وجاهي ومباشر أعلى من نسبة الشباب الذين لا يقضون مثل هذا الوقت معها، ومع ذلك تبقى نسبة هذا النوع الأخير لافتة للنظر، وهي نسبة مشابهة لنسبة الشباب السابقة الذين يقضون وقتاً في التحدث مع معارفهم وأصدقائهم عبر هذه الوسيلة حيث كانت هذه النسبة، كما بينا، (43%). وهذا الارتفاع إما هو، مؤشر على بداية تشكل نمط جديد من أنماط الاتصال في هذا المجتمع بين فئاته الاجتماعية المختلفة وبخاصة الشباب العازب والمتزوج، بمختلف مستوياته التعليمية وبخاصة المستويين الجامعي والثالثوي، كما تبين الجدول المعطى بذلك

المتغيرات النوعية

بلغت نسبة الشباب ممن تزوجت أسرهم ما بين (20-23) ممن استخدموا الإنترنت في تواصلهم مع معارفهم على حساب تواصلهم مع أفراد أسرهم (13.6%)، وبلغت هذه النسبة أيضاً (7.9%) للشباب الذين تنحصر أسرهم ما بين (17-20)، ولما مستويات هؤلاء الشباب التعليمية فهناك ما نسبته (19.3%) في المستوى التعليمي الجامعي، وهناك ما نسبته (16.2%) في المستوى التعليمي الثالثوي، وأما نسب أوضاعهم الاجتماعية، فهناك ما نسبته (25.5%) منهم ما يزال عازباً، و(12.4%) متزوجاً.

متغيرات العلاقة الأسرية

ولما لما يتعلق بمتغير قوة العلاقة الأسرية وانعكاساتها على مقدار الوقت الذي قضاءه الشباب في التحدث مع معارفهم عبر الإنترنت فقد تبين أن هناك ما نسبته (27.3%) منهم صرف وقتهم بهذه الطريقة، ومع ذلك تبقى نسبة الشباب ممن قضى وقتاً في التحدث مع أسرهم والتفاعل معها وجهاً لوجه أكثر من النسبة السابقة إذ بلغت نسبتهم هنا (45%).

حميمية العواطف الإلكترونية

السؤال: تشعر بأن العلاقات والمصادقات التي كونتها مع الآخرين من كلا الجنسين من خلال الإنترنت هي علاقات أكثر صديقاً وحميمية من تلك العلاقات التي كونتها عن طريق تصفحك الوجاهي المباشر؟

في محاولتنا فهم طبيعة التأثيرات التي تركها الاتصال عبر الإنترنت على الاتصال الوجاهي المباشر، لم نقف عند حدود إجابات الشباب على الأسئلة السابقة؛ بل طرحنا عليهم مزيداً من الأسئلة لاستجلاء جوانب أخرى من جوانب هذه التأثيرات. إذ قمنا بتوجيه السؤال المشار إليه أعلاه لتبين مدى صديق مشاعرهم وعمقها نحو من تعرفوا إليهم عبر الإنترنت، مقارنة بصديق هذه المشاعر وعمقها نحو من تعرفوا إليهم بشكل شخصي ومباشر بمعنى آخر، هل تنضم العلاقات العاطفية المشكلة عبر الإنترنت والتي يطلق عليها (المشاعر الإلكترونية) (Electronic Emotion) بنص القدر من الصديق والحميمية الذي تتصف به المشاعر المكونة من خلال الاتصال الوجاهي المباشر؟

إن معرفة ذلك هو أمر ضروري في هذه الدراسة حتى يكون بإمكاننا إصدار حكم مسنود لمبريقاً، حول طبيعة التأثير الذي تركه العلاقات الإلكترونية على العلاقات الحية المباشرة وفي هذا الصدد، يوضح الجدول (رقم 20) المعنى بهذا، أن عواطف الشباب الإلكترونية لم ترق إلى مستوى صديق مشاعرهم نحو اصديقاتهم ممن تعرفوا إليهم بشكل وجاهي ومباشر (المشاعر الإنسانية الحية)

تسهر بأن العلاقات والمصادقات التي كونتها مع الآخرين من كلا الجنسين من خلال الإنترنت هي أكثر صديقاً وحميمية من تلك العلاقات التي كونتها عن طريق تصفحك الوجاهي المباشر										
الجنس	موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ن	%	ن	%	ن	%	ن	%	ن	%
الذكور	62	13.2	56	11.9	77	16.3	63	13.4	258	54.8
الإناث	20	4.2	32	6.8	73	15.5	88	18.7	213	45.2
المجموع الكلي	82	17.4	88	18.7	150	31.8	151	32.1	471	100

فقد أجاب هذا ما نسبته (9 63%) من هؤلاء الشباب (غير الموافقين، وغير الموافقين أبداً) بأنهم لا يشعرون نحو معارفهم وأصدقائهم الذين تعرفوا إليهم عبر الإنترنت بالعمق نفسه نحو من تعرفوا إليهم وجهاً لوجه في الحياة اليومية. ومع ذلك فهناك نسبة أخرى لها وجهة نظر مختلفة؛ إذ أجاب ما نسبته (36.1%) من هؤلاء الشباب (الموافقون والموافقون جداً) بأنهم يشعرون بحميمية وصدق نحو معارفهم الذين تعرفوا إليهم عبر الإنترنت، لا تقل عن صدق وحميمية من تعرفوا إليهم بشكل شخصي ومباشر. وهذه نسبة لا يجوز تجاهلها؛ فقد تتزايد مع الزمن لأن تجربة الإنترنت ما زالت في بدايتها الأولى في هذا المجتمع، ولأن لها ما يدعمها في دراسات أخرى كدراسة رايس ولف (Rice, R, and Love, G. (1987)) حيث تبين لهما في دراستهما حول هذا الموضوع، وجود مشاعر من نوع خاص بين الشباب الذين تعرفوا إلى بعضهم من خلال هذه الوسيلة الاتصالية.

المتغيرات النوعية

وأما فيما يتعلق بجنس هؤلاء الشباب فهو واضح الجدول أن نسبة الفتيات اللواتي لم يشعن بصدق في علاقاتهم مع معارفهن اللواتي تعرفن إليهن عبر الإنترنت كانت أعلى من مثيلاتها عند الذكور؛ إذ بلغت نسبتهن إلى نسبة الذكور: (34.2%) مقابل (29.7%). وهذا يعني أن الإناث كن أكثر حذراً وأقل انفتاحاً في تكوين علاقات اجتماعية وعاطفية عبر الإنترنت من زملائهن الذكور. وهذا ما قضيض في إجابات الذكور الذين يشعرون بحميمية نحو معارفهم الذين تعرفوا إليهم عبر هذه الوسيلة الاتصالية؛ إذ عبر (25.1%) منهم عن قوة هذا الشعور مقابل (11%) فقط عند الإناث.

وحين حاولنا معرفة أعمار هؤلاء الشباب تبين أن أعلى نسبة عمرية منهم هي نسبة الشباب الذين تراوحت أعمارهم ما بين (20-23)، ثم تلتها نسبة أولئك الشباب ممن هم في المرحلة العمرية الأعلى وهي: (26-29). وقد كانت نسبة كل فئة عمرية منهما على التوالي: (11.3%) و(6.4%)

وهذه الفئات العمرية بعضها متزوج، والبعض الآخر ملها ما يزال عازباً. فنسبة الشباب العازب منهم ممن شعر بعمق علاقته المكونة عبر الإنترنت هي

(20.8%) ونسبة المتزوج منهم هي (10.9%)؛ ولما نسبة العزاب ممن لم يشعروا بهذا الشعور فقد كانت (35.1%)، ونسبة المتزوجين ممن لا يشعرون بالشعور نفسه فقد كانت هي الأخرى (20.8%). وقد بلغت نسبة من هم في المستوى التعليمي الجامعي ممن شعروا بصديق في علاقاتهم مع الآخرين عبر الإنترنت (16.8%)، وهي أعلى النسب بين المستويات التعليمية جميعها، ثم جاء بعدهم أولئك الشباب ممن هم في المستوى التعليمي الثانوي؛ حيث بلغت النسبة هنا (13.6%). وهذا بالطبع، بسبب ارتفاع نسبة تمثيل هذين المستويين التعليميين في العينة الكلية في الدراسة.

متغيرات العلاقة الأسرية

هل لمتغير علاقة الشباب بأسرهم من دور في هذا الشعور؟ وهل لمتغير تدعيم داخل هذه الأسرة دور كذلك؟ وهل للأفراد التي يبدونها حول بعض ما يطرح داخل الأسرة دور أيضاً في تكوين مثل هذه المشاعر؟ في إجابات الشباب على هذه الأسئلة، إما تكشف في الحقيقة، عن طبيعة الاتصال والتفاعل داخل الأسرة القطرية من جهة، وانعكاسات ذلك على استدلالتهم للإنترنت من أجل تكوين علاقات صمیمية من خلاله يعرضون بها ما يفتقرون إليه داخلها من جهة أخرى.

وفي هذا الصدد اتضح أن الشباب الذين شعروا بعلاقة قوية مع والديهم، مبنية على الاحترام والتقدير المتبادل، قلما شعروا بصديق ونفاه في علاقاتهم نحو من تعرفوا إليهم عبر الإنترنت؛ إذ لم يحب منهم سوى ما نسبته (23.6%) بذلك؛ ولكن غالبيتهم، أي ما نسبته (47.8%) فقد شعروا بأن علاقاتهم الاجتماعية نحو من تعرفوا إليهم وجهاً لوجه تقسم بصديق كبير وصمیمية أكثر. وتفسير هذه النتيجة، هو أن طبيعة العلاقة القوية بين الشباب والأسرة داخل البيت لم تكن لتطال علاقاتهم الاجتماعية التي كوكروها مع الآخرين وجهاً لوجه. فهم ليسوا بحاجة إلى البحث عن علاقات بديلة لعلاقاتهم بأسرهم، فالعلاقة الأسرية القوية بينهم وبين أهاليهم تشبع لديهم كل ما يحتاجونه.

واتضح كذلك أن الشباب الذين كانوا يشاركون أسرهم في نقاشاتها بشكل "دائم"، لم يشعروا بصديق في علاقاتهم الإلكترونية كمعق شعورهم نحو معارفهم

الذين عرفوهم وجهاً لوجه؛ إذ أجاب ما نسبته (33.7%) ممن كانوا يشاركون دائماً في الحوارات الأمرية بأنهم لم يشعروا بحماية هذه العلاقات، هي حين أجاب ما نسبته (18.7%) ممن كانوا يناقشون ويتفاعلون بشكل دائم مع أسرهم بأنهم شعروا بصديق نحو هذا النوع من العلاقات التي كونوها عبر الإنترنت.

والأمر الآخر اللافت للانتباه هنا هو إجابات الشباب على السؤال المتعلق بشعورهم نحو تقييم أسرهم للأراء التي يبدونها في الحوارات والنقاشات الأسرية؛ فقد اتضح لى الشباب الذين كل يأخذ أهلهم بأرائهم أحياناً في هذه النقاشات لم يشعروا بعمق عواطفهم نحو من تعرفوا إليهم عبر الإنترنت، بل كانت مشاعرهم نحو أصدقائهم ممن تعرفوا إليهم بشكل مباشر وحي أكثر دفئاً ومتعة؛ إذ كانت النسبة هي (30.2%) للنوع الأول من العلاقات، في حين كانت النسبة للنوع الثاني من العلاقات هي (11.4%). ولما من كان يشارك منهم أسرته في نقاشاتها وحواراتها، وكانت أسرته تحترم هذا النقاش والحوار دائماً، فقد كانت نسبة من شعر بعمق علاقاته وصداقاته مع الذين تعرف إليهم عبر الإنترنت في هذه الحالة قليلة نسبياً مقارنة بأولئك الذين لم يشعروا بذلك. إذ كانت النسبة (15.1%) مقابل (24.7%).

المواقف الإلكترونية والزواج

السؤال: تشعر بأن العلاقة التي تربطك بمعارفك الذين تعرفت إليهم عبر الإنترنت أقوى من تلك التي تربطك بمعارفك الذين تعرفت إليهم بشكل مباشر، إلى الحد الذي يجعلك تفكر بالزواج من إحدى هذه المعارف لو كنت عازباً:

لم تقص مشاعر الشباب الإلكترونية نحو من تعرفوا إليهم عبر الإنترنت إلى تفكير غالبيتهم بالزواج من إحدى هذه المعارف. صحيح أن استصالاتهم للإنترنت كانت قد وصلت على توسيع دولتهم الاجتماعية والعاطفية، وكانت قد زودتهم بشبكة جديدة من الصداقات والعلاقات التي كفى من المتندر عليهم نكوبها عبر وسائل الاتصال المباشرة - الوجيهة، ومع ذلك لم تشكل هذه العلاقات الإلكترونية تحدياً جدياً لنمط الزواج المتبع في المجتمع القطري، إذ رفضت الغالبية الساحقة منهم (70.5%) الزواج بتلك الطريقة. ومع ذلك فقد عبر ما نسبته منهم (28.8%) عن قبوله لزواج من إحدى معارفه التي تم التعرف إليها عبر الإنترنت (انظر الجدول 21).

تتبع بأن العلاقة التي تربطك بمعارفك الذين تعرفت إليهم عبر الإنترنت أقوى من تلك التي تربطك بمعارفك الذين تعرفت إليهم بشكل مباشر إلى الحد الذي يجعلك تفكر بالزواج من إحدى هذه المعارف لو كنت عازباً:										
درجة الموافقة		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي
النسبة		%		%		%		%		النسبة
		34	7.2	48	10.2	91	19.3	85	18.0	258
الذكور		34	7.2	48	10.2	91	19.3	85	18.0	258
		18	3.8	36	7.6	56	11.9	103	21.9	213
الإناث		18	3.8	36	7.6	56	11.9	103	21.9	213
		52	11.0	84	17.8	147	31.2	188	39.3	471
المجموع الكلي		52	11.0	84	17.8	147	31.2	188	39.3	471

وأما تفسير دلالات ارتفاع نسبة الشباب ممن رفض الزواج بتلك الطريقة فيمكن في تلك الحمومية والنساء الذي يؤمنه التفاعل الاجتماعي الوجيه والاتصال الشخصي المباشر بين الأفراد، والذي تحدثنا عنه في بداية هذا الفصل.

ومن العوامل الأخرى التي يمكن إضيقها في تفسير ذلك هو أن الزواج في المجتمع القطري ما يزال يخضع لضبط أسري واجتماعي كبيرين يصعب تجاوزهما بأي طريقة أو أسلوب في الزواج لا يحظى بمباركة الأسرة والمجتمع وموافقتها أو رضاها يعتبر زواجاً خلوياً عن العرف الاجتماعي والأسري.

فمن المعروف من وجهة نظر المهتمين بدinاميات الجماعة أنه كلما قلّ عدد الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، زاد الضغط الاجتماعي عليه من أجل امتثاله (Conformity) لقواعدها وتقاليدها وقيمها. وكلما كبر عدد هذه الجماعة وقلّ لتجانس الاجتماعي والتفاني بين أفرادها قلّ امتثالهم لأوامرها وضوابطها الاجتماعية. ومن هذا المنطلق يشكل المجتمع القطري بتركيبته الاجتماعية للمعروفة، وصغر حجم مكانه، وتجانس أفراده إلى حد كبير، مثلاً طيباً في تفسير ما نراه من إجماع الشباب عن الزواج بواسطة الإنترنت. ومع كل هذا، فإن هناك مؤشرات لبدلية خروج الشباب عن هذه الضوابط والتقاليد الاجتماعية المتعارف عليها في الزواج في المجتمع، بدأت بها فئة قليلة العدد بلغت، كما أشرنا، (28.8%).

ومن للملاحظ أن نسبة الشباب الذكور ممن خرج عن الضوابط الاجتماعية وفكر بالزواج من علاقاته التي شكلها عبر الإنترنت كانت أكثر من نسبة الإناث؛ حيث بلغت نسبة الشباب الذكور (17.4%) مقابل (11.4%) من الإناث. وهذا يعني أن الشباب هم أكثر تمرداً على ضوابط الزواج وتقاليده من الإناث لأسباب تكمن في طبيعة البيئة الاجتماعية والثقافية للمجتمع القطري.

المتغيرات النوعية

لم تكن العلاقات القوية التي جمعت الشباب بأصدقائهم ومعارفهم الذين تعرفوا إليهم عن طريق الاتصال الشخصي والتفاعل المباشر مقابل علاقاتهم المكونة عبر الإنترنت، مقصورة على جنس واحد من الشباب دون الآخر؛ بل وسمت علاقات كل جنس منهم كما قضيح في إجاباتهم على السؤال السابق. فقد رفض ما نسبته (37.7%) من الشباب الذكور ورفضت (33.8%) من الإناث معالجة مشاعرهم وعواطفهم نحو أصدقائهم الذين تعرفوا إليهم مباشرة، بمشاعرهم نحو أصدقائهم

الذين تعرفوا إليهم عبر الإنترنت. ولما نسبة الشباب الذين شعروا بأن علاقاتهم بمعارفهم المكونة عبر الإنترنت كانت أقوى من علاقاتهم بأصدقائهم الذين تعرفوا إليهم بشكل وجاهي مباشر، فقد كانت نسبتهم: (28.8%) كما قلنا، ومع ذلك يجب أن نأخذ هذه النسبة على محمل الجد في مجتمع محافظ كالمجتمع القطري.

ولما فيما يتعلق بأعمار الشباب الذين وصفوا علاقاتهم بمعارفهم وأصدقائهم الذين عرفوهم بشكل مباشر بأنها أقوى من علاقاتهم بمعارفهم ممن تعرفوا إليهم عبر الإنترنت، فقد اتضح أن الفئة العمرية (20-23) من هذه الأعمار هي التي شعرت بعمق هذه العلاقة أكثر من غيرها، تلتها فئة الشباب ممن وقعت أعمارهم ما بين (26-29)، ثم الشباب ممن تروحت أعمارهم ما بين (23-26) سنة؛ حيث كانت النسب المئوية لكل فئة عمرية من هذه الأعمار كما يلي على التوالي: (18.7%)، و(14.5%) ثم (11.6%). ولما الشباب الذين فحصرنا أعمارهم ما بين (29-32) سنة فقد بلغت نسبة من لم يشعر منهم بقوة نحر علاقته عبر الإنترنت، تعادل قوة مشاعر نحر علاقته الوجدانية (11%). وقد شعر الشعور نفسه ما نسبته (9 10%) من الشباب الذين وقعت أعمارهم ما بين (17-20) سنة.

وفي الحقيقة، فإن لكثيرة هؤلاء الشباب هم ممن كانت تعليمية جامعية، ومستويات اجتماعية عالية، كما اتضح من الجداول المعينة بتحديد ذلك. إذ بلغت نسبة الجامعيين وفوق الجامعيين منهم (43.4%) ونسبة العرب منهم (38.3%)، في حين بلغت نسبة المتزوجين (30.1%).

متغيرات العلاقة الأسرية

يشير متغير علاقة الشباب بأسرهم إلى أنه كلما كانت هذه العلاقة قوية ومبنية على الاحترام والتقدير قلت مشاعر الشباب وروابطهم نحو من تعرفوا إليهم عبر الإنترنت؛ إذ أجاب (55.2%) ممن ربطتهم مثل هذه العلاقة، بأنهم لم يشعروا بقوة في مشاعرهم نحو هذه العلاقات؛ واتضح أيضاً من الجداول المعينة بذلك، أنه كلما قلت قوة العلاقة بين الشباب وأسرهم من حيث الاحترام والتعامل والتقدير زادت قوة مشاعرهم نحو من تعرفوا إليهم عبر الإنترنت.

الإنترنت ولقاءات لوجاهية المباشرة

لم نكتفِ، في الواقع، بإجابات الشباب السابقة لمعرفة مدى تأثير الإنترنت على مفهومهم للزواج بل قمنا بالاضافة إلى ذلك بتوجيه سؤال آخر بقصد معرفة مدى تأثيره على العلاقات الاجتماعية بشكل عام. أي هل دفعت العلاقات المشكلة عبر الإنترنت إلى لقاءات وجاهية - مباشرة بين الشباب؟

السؤال: سمحت لك العلاقات العاطفية القوية التي كونتها عبر التحدث مع الجنس الآخر من خلال الإنترنت بالالتقاء به وجهاً لوجه:

يرى بعض الباحثين، وبخاصة كروات وزملاؤه، أن العلاقات التي تتشكل بين الجنسين من خلال الإنترنت قد تعود في كثير من الحالات إلى لقاءات مباشرة بينهم. (Krentz, R. et al 1998) فما هو الحال بين الشباب في المجتمع القطري؟ هل قادتهم مشاعرهم الالكترونية إلى لقاءات مباشرة ووجاهية على الرغم من منع المجتمع لمثل هذا النوع من اللقاءات أو العلاقات الاجتماعية؟

تشير إجابات الشباب من كلا الجنسين على هذا التساؤل، إلى أن المشاعر الالكترونية لم تقد إلى لقاءات مباشرة، في الواقع، إلا عند ما نسبته (38.6%) من هؤلاء الشباب، كما أشار جدول رقم (22) المرفق بذلك. أي أن العلاقات العاطفية التي كونها الشباب مع الجنس الآخر من خلال الإنترنت، بقيت إلى حد كبير محصورة في هذا الإطار، ولم تتعد إلى لقاءات مباشرة - حية بينهم، إلا لدى تلك النسبة السابقة. فمثلاً حين سئل الشباب فيما إذا كانت علاقاتهم التي كونوها مع الجنس الآخر من خلال الإنترنت سمحت لهم باللقاء وجهاً لوجه، لم يجيب سوى (182) شاباً وشابة، بالإيجاب، أي ما نسبته (38.6%) كما قلنا. وأما نسبة من لم يلتق بهذا الآخر وجهاً لوجه، طمأ بأنه تجمع به/ بها علاقة عاطفية قوية من خلال الإنترنت، فقد كانت (61.3%)، أي ما عدده (289) شاباً وشابة. (انظر جدول رقم 22). وقد يعزى ذلك، جزئياً إلى الضغط الاجتماعي الذي تمارسه الأسرة والمجتمع على أبنائها كما أشرنا.

ويجب التنويه مرة أخرى إلى أن النسبة السائدة للشباب من كلا الجنسين ممن سمحت لهم مشاعرهم و علاقاتهم المكوبة عبر الإنترنت، (38.6%)، هي نسبة تكل مرة أخرى على "تمرد" الشباب و تحديه" للصوابط الاجتماعية المعروضة عليهم من قبل الأسرة والمجتمع على حد سواء. وإذا ما أخذنا هذه النسبة، والنسبة السائدة للشباب ممن لا يمانع من الزواج ممن تعرفوا إليهم عبر الإنترنت، وهي (28.8%)، لأتركنا عندما نل الاتصال عبر الإنترنت في المجتمع القطري بدأ بشكل نمطاً جديداً من الاتصالات لم يكن مألوفاً أو معروفاً في هذا المجتمع

سمحت له العلاقات العاطفية القوية التي كونتها مع الجنس الآخر عبر التحدث من خلال الإنترنت بالتقاء به وجهاً لوجه										
الجنس	وجهاً لوجه		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	59	12.5	73	15.5	67	14.2	59	12.5	258	54.8
الإناث	15	3.2	35	7.4	48	10.2	115	24.4	213	45.2
المجموع الكلي	74	15.7	108	22.9	115	24.4	174	36.9	471	100

المتغيرات النوعية

وأما فيما يتعلق بمتغير جنس هؤلاء الشباب، فقد أجابت ما نسبته (61.0%) من الإناث بأنهن تقيين وجهاً لوجه ممن تعرفن إليهم عبر الإنترنت؛ وأما النسبة العالية منهم وهي (34.6%) فلم يقن بتلك المصطلح بالرغم من العلاقة العاطفية القوية التي جسمن مع الجنس الآخر؛ حيث لكنهن بالتحدث فقط كما لتضع نفسي إجابتهن على هذا السؤال، ولم يترجمن ذلك إلى لقاءات مباشرة، ربما لأنهن يدركن ما قد يترتب على ذلك للقاء من مشكلات أسرية واجتماعية هن في غنى عنها، وعن مواجهتها، لأنهن يدركن خسارتهن في تلك "المعركة" غير المتكافئة من حيث القوة التي يتمتعن بها داخل المجتمع، هباء القوة (Power Structure) لا يميل لصالحهن في هذا المجتمع.

وأما فيما يتعلق بالذكور من هؤلاء الشباب فقد تبين أن نسبة من سمحت لهم مشاعرهم الإلكترونية باللقاء وجهاً لوجه قد بلغت (28%). وأما نسبة من لم يلتق مع هذا الآخر^٢ ويجتمع به على الرغم من قوة العلاقة فقد بلغت (26.7%).

وأما فيما يتعلق بالوصاع هؤلاء الشباب الاجتماعية، فإن ما نسبته (21.5%) من العراب كانت مشاعرهم الإلكترونية قد سمحت لهم باللقاء مع الجنس الآخر الذين تعرفوا إليهم من خلال هذه الوسيلة، وأما النسبة الأكبر من هذه الفئة الاجتماعية وهي (34.2%) فلم تقدم مشاعرهم إلى مثل هذا النوع من اللقاءات.

وأما المتزوجون من الشباب فلي (10.7%) منهم فقط كانت قد استطعت مشاعرهم الإلكترونية إلى اللقاء وجهاً لوجه مع من تعرفوا إليهم عن طريق الأنترنت، في حين لم تكف هذه المشاعر ما نسبته (21%) منهم إلى ذلك، وأما فئة العاطبيين منهم، فقد كانت نسبة من قادتهم مشاعرهم إلى لقاءات مباشرة مع الآخر (4.3%). وبينت الجدول أيضاً أن الشباب الجامعي كانوا أكثر الشباب رفضاً لفكرة اللقاء وجهاً لوجه مع من تعرفوا إليهم عبر الأنترنت؛ إذ أجاب ما نسبته (32.8%) بل علاقاتهم العاطفية مع الجنس الآخر لم تنص إلى لقاءات مباشرة، في حين أجاب (17.7%) عكس ذلك؛ وأما من هم في مرحلة التعليم الثانوي فقد التقى ما نسبته (13.2%) منهم مع الجنس الآخر، ولم يلتق منهم مع هذا الآخر ما نسبته (18.7%).

تأثيرات الإنترنت على الاتصال الجماهيري

تركزت استخدامات الشباب للإنترنت تأثيرات متفاوتة الشدة على مدى تعرضهم لوسائل الاتصال الجماهيرية المألوفة في مجتمعهم، كما أوضح الجدول المبني بتحديد شدة هذه التأثيرات؛ حيث اتضح هذا التفاوت عند أجابته عن السؤال الذي وجهناه إليهم لمعرفة شدة هذا التأثير أو ضعفه عليهم. وأما السؤال فهو:

السؤال كيف تصف تعاملك مع وسائل الاتصال الجماهيرية التالية بعد أن بدأت تستخدم الإنترنت؟ تزيد؟ لم تتغير؟ تتراجع؟ أم لا تتري؟ وأما الإجابات فقد كانت كما يلي:

1 - الإنترنت والتلفزيون

تراجعت مشاهدة الشباب للتلفزيون بسبب استخداماتهم للإنترنت بشكل ملحوظ؛ إذ أجاب ما نسبته منهم (2 49%) بأنهم لم يعودوا يشاهدون التلفزيون كما كانوا يفعلون قبل تعودهم على الإنترنت. وأما نسبة من لم تتأثر مشاهدتهم لهذه الوسيلة الاتصالية، فقد كانت (39%)، في حين لم يجب سوى ما نسبته (1 6%) بأن مثل هذه المشاهدة كانت قد زادت (انظر الجدول أسفله).

كيف تصف تعاملك مع وسائل الاتصال الجماهيرية التالية بعد أن بدأت تستخدم الإنترنت؟									
لم يجب		لا اتري		تراجعت		لم يتأثر		زادت	
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت
-	-	5.7	27	49.2	232	39.8	184	6.1	29
-	-	10.8	47	44.3	209	38.8	183	7.8	33
0.2	1	22.7	107	44.9	212	23.1	109	9.1	43
8.4	2	9.5	45	58.8	248	26.1	123	13.1	62
-	-	8.1	38	58.4	238	25.6	121	15.9	75

2 - الإنترنت والاستماع للراديو

حين وجهنا السؤال السابق نصه إلى الشباب لمعرفة مدى تأثير الإنترنت على استماعهم للراديو، اتضح وجود تباين في القوة التي تركها هيهم في هذا الشأن؛ إذ لجذب منهم ما نسبته (50.8%) بأن استماعهم للإذاعة كان قد تراجع. وأما نسبة من لم يتأثر استماعه فقد كانت (26.1%). وأما نسبة من زاد استماعهم للإذاعة بعد تعودهم على الإنترنت فلم تزد عن (13.1%).

3 - الإنترنت والذهاب إلى دور السينما

ولما وسيلة الاتصال الجماهيرية الأخرى التي تأثرت بسبب استعمال الشباب للإنترنت فهي السينما فقد هزّ الإنترنت مكافة مثل هذه الوسيلة بين الشباب. وقد بدا هذا واضحا في أجاباتهم؛ حيث لجاب منهم ما نسبته (44.9%) بأنه لم يذهب إلى صالات السينما كما كان يفعل من قبل تعوده على الإنترنت. صحيح أن هناك نسبة عائلية نسبيا لم يؤثر استعمالها للإنترنت على ترددها على دور السينما (23.1%)، ومع ذلك يبقى تأثير الإنترنت على هذه المؤسسة الاتصالية الجماهيرية واضحا. وأما نسبة من زاد توددهم إلى دور السينما، فلم تزد عن (9.1%).

4 - الإنترنت والصحف

يشير الجدول السابق بهذا الخصوص إلى أن الصحف لم تعد تعطي باهتمام كاف من حيث قراءة الشباب لها بسبب انشغالهم بالإنترنت. وهذا التراجع في الاعتماد على المؤسسة الصحفية كمصدر من مصادر المعرفة الأساسية لدى الشباب في المجتمع أمر لائق للنظر. فمئة الشباب الذين تأثر الإنترنت على مطالعتهم للصحف بلغت (50.4%). وهذا مؤشر واضح على مدى التأثير الذي أحدثه الإنترنت في مؤسسة الاتصال الصحفي في المجتمع. وأما نسبة من لم يتأثر قراءتهم للصحف بسبب الإنترنت فقد كان (25.6%)، في حين كانت نسبة من زادت قراءتهم للصحف بعد تعودهم على الإنترنت هي (15.9%).

5 - الإنترنت وقراءة الكتب والمجلات

يتسق التأثير الذي أحدثه الإنترنت على مؤسسات الاتصال الجماهيرية السابقة، مع ذلك الذي أحدثه في مؤسسة أخرى من مؤسسات هذا النوع من الإتصال

ألا وهي مؤسسة النشر والتأليف؛ حيث بدأ واضحا مدى الفرجح في قراءة الشباب لما يصدر من كتب ومجلات عن دور النشر والتأليف. فقد أثر الإنترنت على قراءة ما نسبته (44.3%) من الشباب؛ حيث أجابت هذه النسبة منهم أنها لم يعد لديها الوقت الكافي لقراءة الكتب والمجلات، فوقتها مستغرق في الإنترنت. ولما نسبة من ثم تتأثر قراءتهم ومطالعتهم للكتب والمجلات قد كانت (38.8%)، ونسبة من رادت مطالعتهم (7.0%).

ومكذا تناولت التأثير الذي أحدثه الإنترنت في مؤسسة الإتصال الجماهيرية المستخدمة في المجتمع القطري؛ حيث بلغ أقصى درجته في حالة الراديو (50.8%)، ثم الصحافة (45%) ثم التلفزيون (49.2%)، ثم السيلما (44.9%)، وأخيراً الكتب والمجلات (44.3%).

الخلاصة

على الرغم من قوة دور الاتصال الشخصي المباشر وفاعليته في تكوين المشاعر والعلاقات الاجتماعية بين الشبغ من كلا الجنسين، وعلى الرغم من صدق هذه المشاعر وحميميتها، إلا أن هذه القوة والحميمية بدأ يحريها شيء من التهدي لقم إليها من وسيلة أخرى - تقوم بالنور نفسه وهي الإنترنت؛ إذ بدأ الاتصال بواسطة هذه الوسيلة الوليدة بخاص الاتصال الشخصي في تكوين العلاقات الاجتماعية.

ومع أن هذه المنافسة بينهما غير متكافئة لفاية الآن من حيث قوة كل منهما في تكوين المعارف والصداقات والعلاقات الاجتماعية، ومع ذلك تبقى الأرقام في الجدول، أن هذه المنافسة لا يجب الاستهانة بها. فقد لا تبقى على حالها بل ربما تتحرك هذه الأرقام في المستقبل باتجاه الإنترنت، بحكم السداد لسنوات الاتصال المباشر بين الجنسين في هذا المجتمع.

وإذا كانت المنافسة بين الاتصال الوجيه المباشر، والاتصال عبر الإنترنت في تكوين المشاعر والعلاقات قابلة للحرك والتغيير في السنوات القادمة، إلا أنها قد لا تتغير بالسرعة نفسها فيما يتعلق بمسألة حميمية هذه المشاعر وصحتها. فالإنترنت في هذا المجال، كما أوضحت الجدول لا بشكل تحدثاً جدياً، ولا منافساً كنواً للاتصال الوجيه المباشر على الأقل لسليمة هذه المرحلة التاريخية من انتشاره في المجتمع.

وأما المجال الآخر الذي أحدث فيه الإنترنت تغيراً واضحاً فهو نسق الاتصال الجماهيري. فقد ظهر هذا التغيير بشكل جلي في تراجع أعداد الشباب ممن كانوا يعتمدون على مؤسسة الاتصال الجماهيرية، بوسائلها المختلفة، لاستقاء معارفهم ومعلوماتهم منها، حول ما يجري من أحداث داخل مجتمعهم وخارجه. وأما أكثر هذه الوسائل تقرأ فقد كانت الراديو، ثم الصحف، ثم التلفزيون، ثم السينما، وأما أقل هذه الوسائل تقرأ فقد كانت مطالعة الشباب للكتب والمجلات.

الفصل الرابع

الإنترنت و التفاعل الاجتماعي

مقدمة

مفهوم التفاعل الاجتماعي ومستوياته

الانترنت والتفاعل الأسري

الانترنت والعلاقات القرابية

الانترنت والتفاعل "عن بعد"

الخلاصة

الإنترنت والتفاعل الاجتماعي

مقدمة

يحدث للتفاعل الاجتماعي (Social Interaction) بوصفه سلوكاً ظاهراً يمارسه الأفراد في موقف اجتماعي معين مكثفة بارزة في الاتصال الوجداني المباشر الذي تحدثنا عنه في الفصل السابق. فهو لب العملية الاتصالية الوجدانية وجوهرها، به يستقيم الاتصال الوجداني، وبدونه ينعدم؛ وهو الذي يحول عملية الاتصال إلى عملية تواصل اجتماعي تنسم بالحورية والديناميكية والافتتاح على الآخر، والديمومة، والاستمرارية. ومن هذا المنطلق، يولي علماء النفس الاجتماعي المعنيين بدرسته أهمية قصوى به إلى الحد الذي جعلوه أساس العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وعصب العملية الاتصالية وجوهرها. (Johnson, A, 1996).

مفهوم التفاعل الاجتماعي ومستوياته

يشير التفاعل الاجتماعي إلى تلك العمليات الإدراكية والمشاعرية والسلوكية التي تتم بين الأطراف المتصلة، بحيث تتبادل هذه الأطراف رسائل كثيرة فيما بينها في موقف اجتماعي محدد زمانياً ومكانياً، ويكون سلوك كل طرف منها متبهماً لسلوك الطرف الآخر.

وتتبادل أطراف هذه العملية الرسائل الاتصالية فيما بينها إما عن طريق اللغة اللفظية (اتصال لفظي) وإما عن طريق اللغة غير اللفظية / اتصال غير لفظي (مثل تعبيرات الوجه والإيماءات وحركات الجسد والوقفة..إلخ) من أجل تحقيق هدف أو أهداف معينة. ويتخذ هذا التبادل في الرسائل أشكالاً ومظاهر مختلفة (كالتعاون أو الصراع أو التنافس أو التكيف أو الملاممة)، تعكس ثقافة الفرد وتجربته الشخصية واتجاهاته وقيمه، كما تعكس في الوقت نفسه ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه هذه الأطراف المتصلة، وطبيعة الموقف الذي يضم لطراف العملية التفاعلية.

وينطوي التفاعل الاجتماعي على مستويات مختلفة من حيث التأثير المتبادل بين الأطراف المتفاعلة وهي: (فولاد السيد وسعد عبد الرحمن، 1999):

1- مستوى العلاقات الاجتماعية: في هذا النوع من العلاقات لا يتزامن وجود الأفراد معاً في موقف اتصالي محدد الزمان والمكان، وهذا يعني أن الفرد (أ)، على سبيل المثال، لا يتزامن وجوده مع وجود الفرد (ب) فلا يؤثر فيه ولا يتأثر به في هذه الحالة؛ وكذلك الحال بالنسبة للفرد (ب). إن عدم تزامن هذين الفردين معاً لا ينسحب إلى وجود تفاعل اجتماعي حقيقي بينهما، ومع ذلك قد توجد لدى أحدهما معلومات وبيانات عن الآخر. فإذا ما طلب من أحدهما أن يحكم على سلوك الآخر بناءً على هذه البيانات، فإن أحكامه عليه ستتأثر بهذه المعلومات. ومثل ذلك هو ما يصدر عن بعض الأفراد من أحكام على أشخاص من خلال ما يحرص عليهم من صور لهم في مواقف اجتماعية دون أن يكونوا مثلثين أمامهم.

2- مستوى العلاقات ذات الاتجاه الواحد: في هذا المستوى من مستويات العلاقات الاجتماعية التفاعلية لا يتزامن وجود الفردين في موقف اجتماعي يضمهما معاً. ومع ذلك يتأثر أحدهما بسلوك الآخر كما في حالة تأثر أحد الأفراد بقارئ القرآن في التلخيص أو بأغنية ما لأحد المطربين الذين يحبهم.

3- مستوى العلاقات شبه التفاعلية. يتزامن في هذا المستوى من العلاقات الاجتماعية وجود الفردين معاً، مما يتيح تفاعل بينهما، ولكنه تفاعل نمطي يتم وفق خطة مرسومة أو مكتوبة مثل ما يتم في حالة التمثيل المسرحي حيث يقوم الممثل بتأدية أدواره على المسرح، ويتفاعل معها وذلك وفقاً لنص مكتوب له.

4- مستوى العلاقات المتوازنة: في هذا المستوى من العلاقات التفاعلية بين الأفراد نجد في الحقيقة طرفي صلبة للتفاعل يتواجدان معاً في موقف واحد، ويتحدث كل منهما مع الآخر، ولكن دون أن يسمع أو يصفى أحدهما بشكل مركز لما يقوله الآخر، كما هو الحال في حديث بعض الأمهات عن نجاح أحد أبنائهما وتفوقه في تحصيله الدراسي؛ حيث تستأثر هذه الأم بالحديث عن ابنها دون انقطاع ودون أن تترك الفرصة لزميلتها المستمعة لإبداء رأيها، أو حتى تكثرت لتطبيقاتها وملاحظاتهما على ما تسمعه منها حول ابنها.

5- مستوى العلاقات المتبادلة غير المتكافئة: في هذا النوع من العلاقات يتواجد أطراف العملية الاتصالية التفاعلية في موقف واحد بجمعهما معاً، وذلك كما

يحدث في حالات المقابلات بين الأشخاص؛ حيث يتزامن هذا وجود أطراف المقابلة في موقف معين؛ ففي هذه الحالة، تعتمد استجابات الشخص الذي تكلم مقابلته على أسئلة المقابل. صحيح أن هناك علاقات تبادلية بينهما في هذه الحالة ولكنها غير متكافئة وتكاد تكون أحادية الطرف.

6- مستوى العلاقات المتبادلة: وهذا فصل علاقات التفاعل الاجتماعي إلى صورتها الاجتماعية الصحيحة؛ حيث يتزامن في هذا المستوى من مستويات العلاقات التبادلية وجود طرفي / أطراف العملية الاتصالية التفاعلية معاً في موقف اجتماعي يسمح لهم بتبادل التأثير فيما بينهم، أي أن كل طرف يتأثر منهم بالآخر ويؤثر به في الوقت نفسه، كالتفاعل الذي يتم داخل الأسرة حول موضوع ما من الموضوعات التي تهمهم جميعاً دون أن يستأثر أحدهم بالمحديث ودون أن يستبد برأيه أو يعرضه عليهم، بل يستمع إليهم ويستمعون إليه في جو تفاعلي.

ويقسم علماء النفس الاجتماعي هذا المستوى التبادلي من العلاقات إلى ثلاثة أنواع حسب عدد المشاركين فيه وهي:

أ. العلاقات المتبادلة بين فردين يتزامن وجودهما في موقف واحد بحيث يؤثر كل منهما بالآخر ويتأثر به، كما في حالة التفاعل الزوجي بين الزوج وزوجته أو الإبن وأبيه أو الطبيب والمريض... إلخ.

ب. العلاقات المتبادلة بين فرد وجماعة: وفيه يختلف دور الفرد في التأثير في الجماعة وفي تأثره بها، وذلك تبعاً لكونه عضواً فيها أو غير عضو. أي هل ينتمي الفرد إلى هذه الجماعة؟ وهل يعتبرها جماعة مرجعية له (Reference group)؟ أم هل هو مجرد عضو فيها فقط (Group member)؟ إن تأثير الفرد في هذه الجماعة وتأثره بها إنما يحرى هنا إلى نوع الجماعة التي ينتمي إليها.

ج. العلاقات المتبادلة بين جماعتين: وهذا يكون لحجم الجماعة (صغير، أم متوسط، أم كبير) دور في مدى التفاعل وشدة بين أفرادها. فكلما قل عدد أفراد جماعة ما زاد التفاعل بينهم وزاد تمثيلهم لقيمها وعاداتها، وكلما زاد عدد أفراد جماعة ما قل التفاعل التقني بين أفرادها قل تمثيلهم لتوابعها وخصائصها لقيمها وعاداتها.

ومع أن هذا الفصل، في الواقع، غير معني بشكل تفصيلي بتطوير لطبيعة عملية التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات الصغيرة أو الكبيرة، ولا بتوضيح الوسائط القوية وغير القوية المستخدمة في هذه العملية، ولا للتأثيرات المعسرة لها أيضاً. إنه معني بشكل رئيسي بتوضيح قوة التأثيرات التي تركتها اتصالات الشباب عبر الإنترنت على مستويين من مستويات تفاعلاتهم الاجتماعية التبادلية وهما: مستوى الأسرة النووية (Nuclear Family)، ومستوى الأسرة الممتدة / للعائلة (Extended Family).

فما مدى تأثير اتصالات الشباب للإنترنت على هذين المستويين من مستويات العلاقات الاجتماعية التبادلية؟ لقد حاولنا معرفة مثل هذه التأثيرات، في الحقيقة، من خلال تحديد ما طرأ على مظاهر التفاعل الاجتماعي التبادلي في هذه الوحدات الاجتماعية (الأسرة والعائلة) من تغير تمثل في الجلسات والحوارات الأسرية، وعدد الزيارات العائلية، والمساهمة في النشاطات والمناسبات الأسرية والعائلية، وتواصل الشباب مع أقرانهم وأفراد أسرهم البعيدين عنهم بواسطة البريد الإلكتروني (E-mail)، لإبقاء خيوط التفاعل والتواصل مفتوحة وقائمة بينهم. وسنقوم برصد اتجاهات الشباب على كل سؤال من الأسئلة.

الاتصال عبر الإنترنت وتعكاسه على تفاعل الأسرى

السؤال: أشعر بأن تفاعلي وجلوسي ومحادثتي مع أفراد أسرتي بدأ يقل عما كان عليه قبل استخدامي للإنترنت.

تشير إجابات الشباب على هذا السؤال إلى وجود خلطة أحدثها الإنترنت في تفاعلهم اليومي الذي اعتادوا عليه منذ فترة طويلة في حياتهم؛ إذ أصبح لى أكثر من نصف أفراد العينة، أي ما نسبته (54%) كانوا قد شعروا بأن تفاعلهم المعتاد مع أسرهم لم يعد كما كان عليه قبل أن يستخدموا الإنترنت؛ إذ لم يعودوا يجلسون مع هذه الأسر ويتبادلون أطراف الحديث معها في الشؤون الأسرية الخاصة والعامة كما كانوا يفعلون من قبل؛ لقد أبدى هذا الإنترنت عن ذلك.

المتغيرات النوعية:

لقد أجاب ما نسبته (27.6%) من الذكور، وإجابات ما نسبته (26.4%) من الإناث بأنهم لم يعودوا يجلسون جلسات أسرية كالمعتاد ويتقشرون مع أسرهم في موضوعات عامة كما كن عليه الحال قبل أن يتطعموا استخدام الإنترنت (انظر الجدول رقم 23).

أشعر بأن تفاعلي وجلوسي ومحادثتي مع أفراد أسرتي بدأ يقل عما كان عليه قبل استخدامي للإنترنت.											
درجة الموافقة		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		لم يجيب	
الجنس		ن	%	ن	%	ن	%	ن	%	ن	%
الذكور		34	7.2	96	20.4	98	20.8	30	6.4	-	-
الإناث		38	8.1	86	18.3	55	11.7	34	7.2	-	-
المجموع الكلي		72	15.3	182	38.7	153	32.5	64	13.6	-	-

وتكن اللافت للنظر هنا أن نسبة الشباب الذكور الذين لم يؤثر استخدامهم للإنترنت على علاقاتهم الأسرية وهي (27.2%)، كانت أعلى من نسبة الإناث؛

حيث كانت نسبة الإثبات في هذه الحالة هي (18.9%). ولعل سبب ذلك هو أن الفتيات لا يشاركن عادةً في الحوارات الأسرية لدخول المنزل بالقدر الذي يشارك فيه الذكور. فارتفاع نسبة إجابات الشباب على هذا السؤال بهذه الطريقة هنا وتحتوي نسبة إجابات الإثبات على السؤال نفسه إنما يعكس المكانة الاجتماعية لكل منهما لدخول الأسرة. فمكانة المرأة كما جاءت في إجابتهن على هذا السؤال تعكس وضعها المتكفي نسبياً لدخول الأسرة؛ فهي في الأصل لا تشارك في النقاشات والحوارات بالقدر الذي يشارك فيه الذكور. لذا لم تشعر بتغير في تفاعلها وجلساتها وحواراتها الأسرية.

وأما فيما يتعلق بتوزيع المستويات التنظيمية والأوضاع الاجتماعية والفتيات العسرية، للشباب ممن أجاب على هذا السؤال فقد تبين أن أكثر فئة عسرية كان الإنترنت قد أثر على تفاعلها مع أسرهم، كانت فئة الشباب الذين تروحت أعمارهم ما بين (20-23) سنة، ثم الشباب ما بين (26-29) سنة؛ حيث بلغت النسبة المئوية لكل فئة عسرية منهما على التوالي (11.1%) ثم (9.5%).

وكما تبين أيضاً، فإن الشباب الجامعي ثم الشباب في المرحلة الثانوية، هما أكثر الفئات الشبابية التي أضر استخدامها للإنترنت بعلاقاتها وتفاعلها الأسرية. فهناك ما نسبته (25.3%) من الشباب الجامعي أجابوا بأن علاقاتهم مع أسرهم لم تعد كما كانت عليه قبل استخدامها للإنترنت.

وأما فيما يتعلق بالأوضاع الاجتماعية لهؤلاء الشباب، فإن العزاب منهم، ثم المتزوجين هم أكثر الفئات الشبابية التي آل تفاعلها وتواصلها مع أسرهم بسبب استخدامهم للإنترنت؛ حيث بلغت نسبة الشباب العزاب في هذه الحالة (32.4%)، ونسبة الشباب المتزوج (15.5%).

متغيرات العلاقة الأسرية:

تشير إجابات الشباب في هذا الصدد إلى أن الإنترنت كان قد ترك تأثيرات متزايدة على الشباب؛ إذ تبين أن هذا التأثير كان قوياً بشكل لافت للنظر على أولئك الشباب الذين لا يوجد بينهم وبين أسرهم احترام متبادل، وكان ضعيفاً على من تربطهم بأسرهم علاقة مبنية على الاحترام والتقدير.

ويشير الجدول في هذا الخصوص، إلى أن (35.3%) من الشباب الذين يعتبرون علاقاتهم بأسرهم مبنية على الاحترام والتقدير المتبادل شعروا بأن استخدامهم للإنترنت قلل من فرص جلوسهم وتفاعلهم وتبادلهم لأطراف الحديث مع هذه الأسرة، وشعر ما نسبته (2.4%) ممن وصفوا علاقتهم بأسرهم من حيث الاحترام والتقدير بأنها ضعيفة بتأثير الإنترنت عليهم. وهذه نتيجة متوقعة، فالعلاقة هنا بين الشباب وأسرة ضعيفة، أي أن التفاعل بينهم غير موجود في الأصل، لذا لم يشعروا بأي تأثير للإنترنت عليهم.

وهكذا يتضح من هذه الإجابات أنه كلما كانت العلاقة بين الشباب وأسرة قوية، شعر بخلخلة قوية للإنترنت على نظامه التفاعلي والاتصالي المعتاد، وكلما كانت العلاقة ضعيفة بين الشباب وأسرة قل شعوره بذلك لأن التفاعل بينه وبينها "مقطوع" أو "ضعيف" في الأصل سواء استخدم الإنترنت أو لم يستخدمه.

ونجد تأكيداً لهذه النتيجة في إجابات الشباب على سؤال آخر يتعلق بمعرفة تأثير الإنترنت على الذين تعاملهم أسرهم معاملة "ديمقراطية" أو "صلومة"، إذ عكس الجدول في هذا الصدد نتائج لافتة للنظر. الشباب الذي تعاملته أسرته معاملة قوامها الديمقراطية والتفاهم والانفتاح على الآخر شعر لكثير من غيره بأن الإنترنت كان قد عمل على التقليل من جلوسه ومحاالته مع أسرته.

ولما لشباب الذي تعامله أسرته "مقسوة وصرامة"، شعوره بتأثير الإنترنت عليه كان شعوراً ضعيفاً، لأن هذا الشاب في الحقيقة يتجنب الجلوس مع والديه خوفاً من زجرهم وتأنيبهم له؛ لذلك فهو لا يجلس كثيراً مع والديه، بل يؤثر الجلوس وحده داخل المنزل؛ لذا لم يشعر بأن استخدامه للإنترنت عمل على تقليل أسرته جلوسه مع أسرته وتبادل أطراف الحديث معها؛ إذ أجاب ما نسبته (5%) فقط من هؤلاء الشباب بأن استخدامهم للإنترنت قلل من تفاعلهم وجلوسهم مع أفراد أسرهم؛ في حين أجاب ما نسبته (13.5%) من هؤلاء الشباب الذي تعامله أسرته معاملة ديمقراطية و(18.4%) ممن تعامله أسرته بطريقة "صعبة" متوسطة بأنهم شعروا بأن استخدامهم للإنترنت بشكل متزايد حرمهم من فرص الجلوس والتعامل والاتصال مع أسرهم.

وفي هذا الصدد نجد تأكيداً آخر على هذه النتيجة في إجابات الشباب على سؤال آخر يتعلق بمشاركتهم في المناقشات والحوارات داخل أسرهم من جهة، ومدى شعورهم بأهمية آرائهم التي يدونها في هذه الحوارات من جهة أخرى؛ إذ تبين أن الشباب الذين يناقشون أسرهم في الشؤون الأسرية والعلمية بشكل "كلم" شعروا بتأثير الإنترنت عليهم أكثر من زملائهم الذين لا يشاركون في هذه المناقشات والحوارات؛ حيث كانت النسبة (26.2%) مقابل (3.6%). ولما الذين يشاركون معهم بشكل "مقطع - أحياناً" في هذه المناقشات والحوارات، فقد كانت أعلى بكثير من نسبة أولئك الذين يشاركون بشكل "كثير" يكاد يصل حد الانقطاع عن هذه المناقشات، إذ بلغت النسبة هنا (19%) مقابل (5.2%).

ولما فيما يتعلق بإجابات الشباب على السؤال التالي المنطق بتوضيح تكرارات من شعر منهم بوزن واحترام لرأيه في هذه المناقشات، ومن لم يشعر بذلك، فقد أجاب ما نسبته (21.2%) بأنهم كانوا "كلماً" يشعرون بأن آرائهم ورنأ في هذه المناقشات، وأجاب ما نسبته (20.6%) بأنهم شعروا بأن أسرهم تأخذ "أحياناً" بآرائهم. في حين لم يجب سوى (5.7%) منهم بأن أسرهم لا تأخذ بآرائهم ولا أنهم لها وزناً إلا "كثيراً". وأجاب ما نسبته (5.5%) منهم بأن أسرهم لا تأخذ "أدناً" بهذه الآراء. وهذا يعني أنه كلما شعر الشباب بأن رأيه لا يؤخذ به قلت فرص تقاطعه وجنوسه داخل الأسرة؛ إذ لا مبرر لهذا الجواب حسب ما يشعر أو يعتقد، والعكس صحيح؛ كلما كان لرأي الشاب وزناً داخل الأسرة شعر بأن الإنترنت بأحد بيئاته ويزن أسرته.

الاتصال عبر الإنترنت وانعكاساته على العلاقات القرابية

المسألة: اشهر بأن زياراتي لأقربى بدلت نقل عما كانت عليه في السابق بسبب قسقلاني عنهم بالإنترنت:

يشير الجدول (رقم 24) المعطى بمعرفة تأثير الإنترنت على زيارات الشباب لأقاربهم، إلى تراجع في عدد هذه الزيارات. فقد شطهم هذا الاستعمال، على ما يبدو، عن مثل هذه الزيارات التي كانوا قد اعتادوا عليها قبل تعلمهم على الإنترنت؛ حيث لم يعد لدى ما نسبته منهم (44.7%) الوقت الكافي لممارسة هذه العادة الاجتماعية المألوفة في مجتمعهم.

ومع ذلك، فإن النسبة الأكبر من هؤلاء الشباب لم يشطهم تعلمهم للإنترنت عن القيام بأقاربهم الاجتماعي المتمثل بزيارات الأقارب؛ حيث بلغت نسبتهم (55.4%). صحيح أن هذه النسبة مرتفعة، إلا أن النسبة السابقة (44.7%) هي الأخرى مرتفعة نسبياً، وتعتبر مؤشراً على فترة الإنترنت على خلطة تقاضل الشباب الاجتماعي مع وأقاربهم المتمثل بالزيارات العائلية والأسرية

اشهر بأن زياراتي لأقربى بدلت نقل عما كانت عليه في السابق بسبب قسقلاني عنهم بالإنترنت											
الجنس		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق لبدأ		المجموع الكلي	
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%		
الذكور		38	8.1	80	17	105	22.3	35	7.4	258	54.8
الإناث		30	6.4	62	13.2	75	15.9	46	9.8	213	45.2
المجموع الكلي		68	14.5	142	30.2	180	38.2	81	17.2	471	100

المتغيرات النوعية:

وبالعودة إلى الجدول أعلاه المعطى بتحديد جنس الشباب الذين تراجع زياراتهم لأقاربهم أكثر من غيرهم بسبب قسقلانهم عنهم باستخدام الإنترنت، فقد

لجانب ما نسبته (25.1%) من الذكور أن هذا الانشغال قد سبب لهم تراجعاً في زياراتهم لأقاربهم، ولجانب ما نسبته (19.6%) من الإناث الإجابة نفسها.

وأما النسبة العالية منهم فلم تتراجع زياراتهم لأقاربهم؛ حيث لجنب (29.7%) من الذكور بل انشغالهم بالإنترنت لم يؤثر على ما اعتادوا عليه من القيام بزيارات لأقاربهم؛ وأما نسبة من لجنب الإجابة ذاتها من الإناث فقد كانت (25.7%).

وأما فيما يتعلق بأعمار هؤلاء الشباب فإن الجدول المبني بذلك يوضح أن الذين تراوحت أعمارهم ما بين (20-23) سنة هم أكثر الفئات الشبابية التي قلت زيارتها لأقاربها. حيث كانت نسبتهم (12.9%)، ثم تراجعت كذلك زيارات الفئة العمرية من الشباب الذين تراوحت أعمارهم ما بين (26-29) سنة، حيث شعر بهذا الشعور ما نسبته (8.3%). وأما الفئة الثالثة من الشباب التي تأثرت زيارتها لأقاربها بسبب انشغالها بالإنترنت فهي الفئة العمرية المحصورة عمر الشباب فيها ما بين (29-32) سنة، حيث شعرت ما نسبته (7%) من هذه الفئة بأن زيارتها لأقاربها أضرها بمعنى التقصير والتراجع.

وعلى ما يبدو من نتائج الجدول المتعلقة برصد متغيرات المستوى التعليمي، فإن الشباب الجامعي والشباب ممن هم في المستوى التعليمي الثانوي كانوا أكثر الشباب الذين أثر الإنترنت على زياراتهم لأقاربهم؛ حيث بلغت نسبة من شعر منهم بهذا الشعور ممن هم في المستوى التعليمي الجامعي (20.3%)، وبلغت نسبة الشباب ممن هم في المستوى التعليمي الثانوي (16.6%).

متغيرات العلاقة الأسرية:

لقد تم وضع سؤالين هنا لمعرفة مدى انعكاس استعمال الشباب للإنترنت وانشغالهم به على الزيارات التي يقوموا بها لأقاربهم. ففيما يتعلق بالسؤال الأول وهو: كيف تصف علاقتك بأقاربك من حيث قوة التفاعل أو ضغطه بينك وبينهم قبل استعمالك للإنترنت؟ اتضح أن الشباب الذين كانت تربطهم علاقات تفاعلية قوية بأقاربهم لم يؤثر استعمالهم للإنترنت على زياراتهم لهم؛ إذ لجنب ما نسبته (33.1%) منهم بل هذا الاستعمال لم يشغلهم عن القيام بهذه الزيارات.

ولما من وصف تعامله بأقربيه بأنه "متوسط" القوة فقد سجلت نسبة من لم يؤثر إشغالهم بالإنترنت مع نسبة من شعر بذلك؛ حيث كانت هذه النسبة (17.2%) مقابل (17.3%).

ولما فيما يتعلق بالسؤال الثاني وهو: هل كنت تقوم بزيارات لأقربيك قبل استخدامك للإنترنت بشكل "مدم" أو "منقطع" أو لا تقوم بزياراتهم؟ فقد بلغت نسبة من كان يزورهم بشكل "مدم" ومع ذلك لم يشغل الإنترنت عن هذه الزيارات (24.9%).

ولما من كانت زيارتهم لأقربهم "منقطعة"، فإن نسبة من لم يؤثر الإنترنت على زيارتهم فقد بلغت (28.1%)، ونسبة من تأثرت في هذه الحالة (23.5%). وتفسير ذلك أن من كانت زيارتهم لأقربهم "منقطعة" في الأصل لم يشعروا بأي تغير، وهذا ما يفسر ارتفاع هذه النسبة هنا.

ويمكن أن نخلص هنا إلى نتيجة مفادها أن إشغال الشباب بالإنترنت لم يسود إلى خلقة جوهرية وعيقة في طبيعة الزيارات التي يقومون بها لأقربهم. ومع ذلك لابد أن ننتبه إلى التغير الملحوس الذي تركه الإنترنت في هذا الاتجاه، كما رأينا ذلك في الارتفاع النسبي لنسب شباب الذين بدأت زيارتهم لأقربهم بالتراجع على الرغم من القوة النسبية التي كانت تتحلّى بها، قبل تعودهم على استخدام الإنترنت. كما أوضح الجدول (14 و 15) من الفصل الثالث.

السؤال: أليس بأن نشاطاتي ومساهماتي في المناسبات الأسرية والعائلية والاجتماعية بدأت تتراجع منذ بدأت أستخدم الإنترنت:

لم تكن زيارات شباب لأقربهم هي وحدها التي تأثرت بسبب إشغالهم بالإنترنت، بل نشاطاتهم ومساهماتهم في المناسبات العائلية أيضاً كمضور حفلات الزواج والعزاء، والعودة من الحج، وميلاد طفل جديد للأمة والنجاح في الثانوية العامة أو الجامعة... إلخ).

لذا يوضح الجدول (رقم 25) المضي بتحديد هذا التراجع بأن هناك ما نسبته (43.9%) من الشباب من كلا الجنسين شعروا بأن مساهماتهم ونشاطاتهم في المناسبات الأسرية والعائلية قد بدأت بالتراجع منذ بدؤوا باستخدام الإنترنت.

وتتنسق هذه النتيجة مع نتائج الجدول رقم (15) المشار إليه في الفصل الثالث، حيث أجاب ما نسبته (51.5%) من هؤلاء الشباب أن زيارتهم لأقاربهم وأفراد أسرهم بـ "متقطعة"، ولم تعد كما كانت عليه قبل هذا الاستطلاع.

الشعر بلل مساهماتي ونشاطاتي في المناسبات الأسرية والعائلية بدأت تتراجع منذ بدأت استخدم الإنترنت										
الجنس	نسبة الموافقة		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	58	12.3	62	13.2	93	19.7	45	9.6	258	54.8
الإناث	27	5.7	60	12.7	76	16.1	50	10.6	213	45.2
المجموع الكلي	85	18	122	25.9	169	35.8	95	20.2	471	100

المتغيرات النوعية

وحين حاولنا معرفة أي من الجنسين تراجع مساهماته ونشاطاته الأسرية أكثر من غيره بسبب انشغاله بالإنترنت، تبين أن تراجع نشاطات الشباب الذكور كان أكثر من تراجع نشاطات الإناث؛ إذ شعر ما نسبته (25.5%) من الشباب الذكور بهذا التراجع، مقابل شعور ما نسبته (18.4%) من الإناث. وأما نسبة الذكور ممن لم يشغلهم اهتمامهم في الإنترنت عن مساهماتهم ونشاطاتهم العائلية والأسرية فقد كانت (29.3%)، ونسبة مثيلتها عند الإناث فقد كانت (26.7%).

ولما فيما يتعلق بأعمار الشباب الذين أثر استخدام الإنترنت على مساهماتهم ونشاطاتهم في المناسبات الاجتماعية والأسرية، فقد بين الجدول المخصص لذلك، أن الشباب الذين وقعت أعمارهم في الفئة العمرية المحصورة بين (20-23) سنة هم أكثر الشباب الذين تراجع مساهماتهم ونشاطاتهم في هذه المناسبات؛ إذ أجاب ما نسبته (13.6%) منهم بلل مساهماتهم الأسرية والاجتماعية بدأت تتراجع منذ بدؤوا يستعملون الإنترنت، وكذلك أجاب ما نسبته (7.2%) من الشباب في الفئة العمرية المحصورة ما بين (26-29) سنة. ولما الشباب الواقع عمرهم في الفئة

العمرية المحصورة بين (23-26) سنة قد أجاب منهم ما نسبته (79%) بأن الإنترنت بدأ يشغلهم عن زياراتهم لأقاربهم.

وأما النسب المئوية للفئات العمرية السابقة التي لم يؤثر إشغالها بالإنترنت على مساهمتها الأسرية والعائلية والاجتماعية فهي الفئات المحصورة ما بين (20-23) و(26-29) و(17-20) سنة، حيث كانت النسب المئوية لكل فئة عمرية هي كما يلي على التوالي: (14.2%) و(11.7%) و(10%).

وأما فيما يتعلق بالوضع الاجتماعي لهؤلاء الشباب فقد اتضح أن الشباب المعزوب هم أكثر الفئات الشبكية التي أثر الإنترنت على مدى مساهمتها في المناسبات العائلية؛ حيث كانت نسبتها المئوية هي (25.6%)، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالفئة الاجتماعية المتزوجة من أفراد العينة، فهي ذات أعلى الفئات التي لم يؤثر استخدامها للإنترنت على نشاطاتها في المناسبات العائلية؛ حيث أجاب ما نسبته (179%) منهم أن نشاطاتهم العائلية لم تتأثر بسبب إشغالها بالإنترنت.

متغيرات العلاقة الأسرية:

تظهر الجدول إلى أن النسبة الأعلى من إجابات الشباب ممن كانت تربطهم علاقات "قوية" مع عائلاتهم وأسرهم قبل تحولهم على الإنترنت تميل لصالح أولئك الذين لم يشغلهم الإنترنت عن المساهمة في النشاطات الأسرية والعائلية والاجتماعية؛ حيث أجاب ما نسبته (34.1%) من هؤلاء الشباب أن مساهمتهم ومشاركاتهم لأقاربهم وأصدقائهم ومعارفهم في لفرلحهم وأقربهم ومناسبتهم الاجتماعية المتعددة لم يتغيرها تغيير يذكر بسبب استصالاتهم للإنترنت.

وأما من كانت تربطهم بأقاربهم علاقات "متوسطة" ففئة قبل استخدامهم للإنترنت فقد كانت نسبة من لم يؤثر هذا الاستخدام على نشاطاتهم ومساهماتهم في المناسبات العائلية هي (16.3%)، في حين أجاب (18.5%) من هؤلاء الشباب بأن مساهمتهم الأسرية بدأت بالانحسار.

ومما يؤكد النتيجة المتوقعة بعدم تأثير الإنترنت بشكل جوهري على علاقات الشباب الذين تربطهم علاقة قوية مع أسرهم هو إجاباتهم عن السؤال التالي المتعلق

بمعرفة تأثيرات الإنترنت على هذه العلاقات وهو: كيف كانت زيارتك لأقربيك قبل
تعودك على الإنترنت؟ وهذا أجاب ما نسبته (23.1%) ممن كانوا يزورون أقاربهم
بشكل دائم قبل تعودهم على الإنترنت، بأن مساهماتهم العائلية لم تتأثر بعد
استخدامهم للإنترنت. ولما من تأثرت مساهماتهم بسبب الإنترنت فقد كانت نسبته
(16.1%)؛ في حين أن النسبة الأكبر ممن لم تتأثر مساهماتها العائلية بعد
استخدامها للإنترنت هي فئة الشباب الذين كانت زيارتهم لأقاربهم 'متقطعة'؛ حيث
أجاب ما نسبته (29.1%) منهم بأنهم لم يشعروا بهذا التحيز في المساهمات؛ ولما
من شعر به منهم فقد كانت نسبته (22.7%).

الاتصال عبر الإنترنت والتفاعل "عن بعد" مع أفراد الأسرة

السؤال: منذ تعلمت استخدام البريد الإلكتروني والتحدث عبر الإنترنت بدأت أشعر بأنني قريب من أفراد أسرتي ولقاربي البعيدين عني في الخارج.

تجسد الدور الفاعل للإنترنت في حياة الشباب الاجتماعية بشكل واضح في إجاباتهم على السؤال المتعلق بمدى مساهمته في ربطهم بأقاربهم وأفراد أسرهم البعيدين عنهم؛ إذ عمل الإنترنت على اختزال المسافة الجغرافية وتقليصها بينهم. فقد أجاب (316) شاباً وشابة، أي ما نسبته (67.1%) منهم بأنهم شعروا بأن الإنترنت ساعدهم في الاتصال بأقاربهم وأفراد أسرهم البعيدين عنهم مما حسنهم بالقرب النفسي منهم على الرغم من البعد المكاني الذي يفصلهم عنهم. ولما نسبة من لم يحس بهذا الإحساس لم تزد عن (33%)، أي (155) شاباً وشابة فقط. (انظر الجدول رقم 26).

منذ تعلمت استخدام البريد الإلكتروني والتحدث عبر الإنترنت بدأت أشعر بأنني قريب من أفراد أسرتي ولقاربي البعيدين عني في الخارج.										
الجنس	درجة موافقة		موافق جداً		موافق		غير موافق		المجموع الكلي	
	ن	%	ن	%	ن	%	ن	%	ن	%
الذكور	92	19.5	98	20.8	46	9.8	22	4.7	258	54.8
الإناث	61	13.0	65	13.8	47	10.0	40	8.5	213	45.2
المجموع الكلي	153	32.5	163	34.6	93	19.8	62	13.2	471	100

المتغيرات النوعية:

استفاد كلا الجنسين من هذه الوسيلة الاتصالية في تقليص المسافات بينهم وبين أسرهم ومعارفهم، وإن كانت هذه الفائدة أوضح بين الشباب الذكور منها بين الشابات الإناث؛ حيث أجاب (40.3%) من الذكور بأنهم شعروا بالقرب النفسي والجغرافي بينهم وبين البعيدين عنهم من أفراد أسرهم من خلال تحدثهم معهم عبر الإنترنت، في حين شعرت ما نسبته (26.8%) فقط من الإناث بهذا الشعور. وأما نسبة من لم يشعروا بهذا الشعور ولم يستمتعوا بهذه الفائدة من الإناث فقد كانت (18.5%)، مقابل ما نسبته (14.5%) من الذكور.

وأما فيما يتعلق بأعمار هؤلاء الشباب، فإن النسبة الأكبر منهم ممن استخدموا الإنترنت للتواصل مع أقاربهم وأفراد أسرهم اليهوديين عنهم فقد تكبى لهم من الفئة الشبابية التي تراوحت أعمارها بين (20-23) سنة، حيث كانت نسبة هؤلاء الشباب (20.2%). ومع ذلك، فإن الشباب في المستويات المعرفية الأخرى كانوا قد استفادوا أيضاً من هذه الوسيلة الاتصالية في كسر حاجز الزمان والمكان؛ إذ أوضح الجدول، أن هؤلاء دون استثناء، قد أجابوا على الإنترنت لشعرهم بالقرب النفسي والعاطفي مع أقاربهم وذويهم كما لو كانوا معهم. وقد كانت النسب المتوقعة لمن شعر بهذا الشعور متقاربة جداً، مما يدل على أن فائدة الإنترنت في هذا المجال كانت عامة لدى الشباب جميعهم.

وبكذلك الأمر فيما يتعلق بمستويات هؤلاء الشباب التعليمية فياستثناء من لا يقرأ ولا يكتب منهم، وباستثناء من هو ذو مستوى تعليمي ابتدائي، فإن الشباب الآخرين من المستويات التعليمية الأخرى جميعهم، قد استفادوا من هذه الوسيلة الاتصالية وبخاصة أولئك الذين هم في المستويات الجامعي (34.5%) والثانوي (22.1%).

وأما فيما يتعلق بأوضاع هؤلاء الشباب الاجتماعية، فيبدو من الجدول، أن نسبة الحزاب ممن استفادوا من هذه الخدمة الاتصالية كانت الأعلى من بين جميع النسب الأخرى، إذ بلغت هنا (39.6%)، تلتها فئة المتزوجين؛ حيث كانت نسبتهم (19.1%). وأما نسبة من لا يزال في مرحلة الخطوبة فقد كانت (6%).

متغيرات العلاقة الأسرية:

وعلى ما يبدو من جدول المتغيرات الأسرية فإن الشباب الأكثر تواصلاً مع ذويهم وأهلهم والأكثر استعمالاً للإنترنت من أجل الاتصالات معهم هم الذين يشعرون أصلاً بقوة العلاقة العاطفية مع أسرهم، وتجمعهم معها علاقات قائمة على الاحترام والتفاعل الإيجابي؛ حيث كانت نسبة هؤلاء الشباب (45.7%). وكذلك نسبة من تربطهم بأهلهم علاقات 'متوسطة' قوة من حيث الاحترام والتقدير والتفاهم؛ إذ أجاب منهم ما نسبته (17.6%). وهاتين النسبتين توضحان مدى انعكاس قوة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة على تفاعل أبنائها؛ حتى لو كانوا بعيدين عن بعضهم. وهذا ما أوضحته دراسة أندرسون ورفاقه في هذا الصدد (Anderson, R., et al, 1995).

الخلاصة

نُحدث الاتصال عبر الإنترنت تأثيراً ملموساً في طبيعة التفاعل الأسري والعائلي تبنى في تراجع في مقدار الوقت الذي يقضيه الشباب في الجلوس والتحدث مع أسرهم، من جهة، وفي تراجع عدد الزيارات التي ألفوا لقيل بها لأقاربهم قبل تعودهم على استخدام الإنترنت من جهة أخرى. كما ظهر هذا التغيير أيضاً في تراجع مساهمات الشباب ونشاطاتهم ومشاركاتهم في المناسبات الأسرية والعائلية.

ومع ذلك، فإنه في الوقت الذي وجدنا الإنترنت باعد بين الشباب وأسرها وأقاربهم القريبين منهم والذين يعيشون معهم في نفس المجتمع، نجده يعمل في الوقت نفسه على تقريب البعيد، فقد استطاع الإنترنت أن يخزل المسافات الجغرافية ليقارب بين الشباب وأفراد أسرهم وعائلاتهم الذين يعيشون خارج الوطن عن طريق التوصل عبر البريد الإلكتروني. وبذا يكون الإنترنت قد عمل على تفاعل الشباب "عند بعد" مع بعضهم البعض.

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج العديد من الدراسات الاجتماعية التي تناولت تأثيرات الإنترنت على العلاقات الاجتماعية. فقد توصل الباحثون في هذا الصدد إلى وجود تراجع ملحوظ في علاقات الشباب الاجتماعية في المجتمع الأمريكي من حيث انخراطهم في الحياة المدنية (Civic Engagement)، وفي مساهماتهم ومشاركاتهم في الحياة الاجتماعية (Social Participation)، وفي زياراتهم لأقاربهم. (Stoll, C, 1995, Putnam, R, 2000, Kraut, etal, 1998).

ولما فيما يتعلق بتأثير الإنترنت على تقريب المسافات الجغرافية بين الأفراد، فقد توصلت الدراسة الحالية إلى النتيجة نفسها التي توصلت إليها الدراسات السابقة. إذ اتضح من هذه الدراسات مدى الدور الإيجابي الذي يقوم به الإنترنت في تقليص المسافات بين الأفراد، وتحطيم الجغرافيا بما ينمكس إيجابياً على تدعيم الإحساس للعائلي والمشارعي بينهم.

الفصل الخامس

الاتصال عبر الإنترنت الأبعاد النفسية

مقدمة

الإنترنت والثقة بالنفس

الإنترنت وحل المشكلات النفسية

الإنترنت وعملية الإفصاح عن الذات

الخلاصة

الاتصال عبر الإنترنت: الأبعاد النفسية

مقدمة

يعتبر الدور الذي يقوم به الإنترنت في عملية بناء الفرد لذاته⁽¹⁾ وتشكيلها (Self - Formation) في المجتمعات الحديثة، التي راد الاعتماد فيها على استخدام الإنترنت بشكل غير مسبوق، من أكثر الموضوعات التي تثير حيرة الباحثين الاجتماعيين والنفسيين وإربكهم. فهم وإن كانوا متيقنين ووثقين من أن المعرفة التي يكتسبها الفرد من الإنترنت في هذه المجتمعات تحدث تحويلاً جوهرياً في بذاته لذاته، وتلغي خبرته في الحياة الاجتماعية، وتريد من ثقته بنفسه أمام الآخرين، إلا أنهم لم يتوصلوا بشكل دقيق بعد إلى الطريقة التي يعمل بها الإنترنت في عملية هذا التشكيل والبناء. وفي الحقيقة، لقد أتاح الإنترنت للفرد في مجتمعات الحديثة وما بعدها، فرصة لم تكن متاحة لهم من قبل بهذا الشكل لتقيام بعملية بذاته لذاته وتشكيلها، وبخاصة في ظل تراجع المؤسسات الاجتماعية الأخرى عن القيام بهذا الدور. (Slovic, J, 2000).

ومن أكثر القضايا الإشكالية في هذا الخصوص، قضية ارتباط بناء الذات من خلال الإنترنت، بالرضا عن النفس وزيادة الثقة بها. فكيف يعمل الإنترنت على تعزيز ثقة الفرد بنفسه؟ وكيف يعمل على إثبات رضا عنها؟ أسئلة لا يملك الباحثون إلى الآن إجابات محددة عليها سوى تلك الإجابات المألوفة لديهم عن كيفية تحقيق وسائل الإعلام، بشكل عام، لهذه العملية باعتبار الإنترنت إحدى هذه الوسائل.

وفي هذا الصدد يرى هؤلاء الباحثون أن الشعور الذاتي بالرضا هو حالة وجدانية من المتعة والراحة يحصل عليها الفرد جراء تعرضه لوسيلة اتصال جماهيرية ما، يحاول المحافظة عليها لأطول وقت ممكن حتى بعد انتهاء المؤلف

(1) تستخدم هذه التسمية لمعنى الذات (Self) بمعنى الذي يقصد به بناء النفس الاجتماعي. وبخاصة للتأطير الترميزي فهي برأيهم: تصور الشخص نفسه ككل أو كوحدة. وهذا التصور الذات هو محتملة لتجارب الفرد وخبراته مع الآخرين، والطريقة لتصويرهم نحوه والتأطيرات التي يدركها من نظرتهم إليه. فظهر في

Franzoi, S, (2000) Social Psychology. Boston: McGraw Hill. Second edition.

الذي وأدما. ولأن الرضا عن الذات، حالة تبحث على الإرتياح والمتعة، فإن الفرد يميل دائماً نحو تنشيطها بأي منه له علاقة بها. (Kim, M an Hunter, J, 1993). ولهذا، فإن أية معلومة أو معرفة يحصل عليها الفرد من وسائل الاتصال ويتم إدراكها على أنها تنبئه في تقديم ذاته للآخرين بأنه شخص له اعتبار، فإنه سيستمرها معرفة قيمة، تعمل على بحث رضاء عن نفسه، وتزيد من ثقته بها. (المصدر السابق).

وعلى أية حال، ربما لا يتم اكتساب حالة الرضا عن النفس المتولدة من استعمال الفرد للإنترنت بهذه الطريقة أو بهذه السهولة، ومع ذلك ففحص مصطلحون لقبول هذا التصير حين نتعامل مع دور المعلومات التي يحصل عليها الفرد من الإنترنت في انبثاق حالة من الرضا لديه عن ذاته، باعتبار الإنترنت وسيلة اتصال جماهيرية، حتى نكتين لنا الأمور بصورة أوضح في المنولات القادمة.

إن هذا الفصل مخصص بشكل رئيسي بمعرفة دور المعلومات التي يحصل عليها الشباب من الإنترنت في حياتهم، وذلك من خلال إجاباتهم على الأسئلة التالية:

- ما مدى انعكاس المعلومات والمعارف التي اكتسبها الشباب من الإنترنت على ثقافتهم بأنفسهم أمام أسرهم وعائلاتهم وأمام الآخرين؟
- هل صلت هذه المعلومات على خلق حالة من الرضا لدى الشباب عن أنفسهم.
- هل وجد الشباب في الإنترنت فرصة للتفكير عن مشكلاتهم النفسية والعاطفية التي تؤلمهم؟

الإنترنت والثقة بالنفس

السؤال: اكتسبتي المعلومات والمعارف التي كونتها واستغلتها من الإنترنت شعوراً خاصاً بأهميتي ورايت من ثقتي بنفسي أمام الآخرين:

إذا كانت فوائد استخدامات الشباب للإنترنت قد تجلت في تقليص المسافات الجغرافية بينهم وبين معارفهم وأفراد أسرهم، كما أوضحت في الفصل السابق، فلها قد أصبحت عن نصها أيضاً بعبارة أخرى في مجال آخر مختلف عن المجال السابق، وهو إحسان الشباب بدوراتهم وزيادة ثقتهم بأنفسهم، إذ اكتسبتهم المعرفة التي جبرها من الإنترنت، والمعلومات التي حصلوا عليها جراء استخدامهم لهذه الوسيلة الاتصالية، شعوراً خاصاً بأهميتهم، ورايت من ثقتهم بأنفسهم أمام الآخرين الذين يتفاعلون معهم، سواء كانوا أصدقاءهم أو أسرهم أو أقرانهم. وهذا الإحساس النفسي كان عاماً لدى ما نسبته (71.1%) من الشباب من كلا الجنسين، أي بين (335) شاباً وشابة. (انظر الجدول رقم 27).

اكتسبتي المعلومات والمعارف التي كونتها واستغلتها من الإنترنت شعوراً خاصاً بأهميتي ورايت من ثقتي بنفسي أمام الآخرين.										
درجة الموافقة الجنس		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	
الذكور		94	20.0	100	21.2	51	10.8	13	2.8	258
الإناث		51	10.8	90	19.1	47	10.0	25	5.3	213
المجموع الكلي		145	30.8	190	40.3	98	20.8	38	8.1	471

المتغيرات الاجتماعية

لم يقتصر شعور الشباب بثقتهم بأنفسهم ورضاهم عنها، على الذكور وحدهم، بل كان متائداً بين الفتيات أيضاً ممن يستعملن هذه الوسيلة الاتصالية في تثقيف أنفسهن والبحث عن المعرفة التي من شأنها سقل تجربتهن النفسي وألنت لديهن

هذا النوع من الشعور والإحساس. فقد أجاب ما نسبته (41.2%) من الذكور، و(29.9%) من الإناث بأن المعلومات التي استعملوها من الإنترنت أكسبتهم شعوراً خاصاً بأهميتهم، ورايتهم ثقة بأنفسهم أمام أسرهم ومعارفهم. ولما نسبة من لم تشعر بهذا الشعور من الإناث فلم ترد عن (15.3%)، ونسبة من لم يصر بهذا الإحساس من الشباب الذكور فلم ترد هي الأخرى عن (13.6%).

ولقد استفاد الشباب جميعهم من تلك المعلومات والمعارف التي حصلوا عليها من خلال الإنترنت في تدعيم ثقتهم بأنفسهم أمام الآخرين. وإذا ما نظرنا إلى الجدول الذي يرصد إجاباتهم عن هذا السؤال لتبين لنا مدى هذه الفائدة التي شعر بها هؤلاء الشباب من جميع الفئات العمرية. يصبح لي أظن فئة عمرية استفادت منهم في استثمار هذه المعارف في تدعيم ثقتها بنفسها هي الفئة العمرية التي تراوحت أعمار الشباب فيها ما بين (20-23)، حيث كانت نسبتهم (21.2%)، ومع ذلك فإن الفائدة الرئيسية التي استفادتها الفئات الأخرى تبقى فائدة لاقتة للنظر كما توضح إجاباتهم. فهناك ما نسبته (13.6%) من الشباب الذين تراوحت أعمارهم ما بين (26-29) سنة، وهناك ما نسبته (11%) من الشباب الذين انحصرت أعمارهم ما بين (26-32)، كان الإنترنت قد حصل على دعم ثقتهم بأنفسهم أمام الآخرين بسبب المعرفة والمعلومات التي اكتسبوها من هذه الوسيلة الاتصالية.

وبذلك فطعت هذه المعلومات المكتسبة من الانترنت للفعل نفسه لما نسبته (10.9%) لمن وقع عبره منهم ما بين (23-26) سنة، وقامت بالفعل الشيء نفسه أيضاً لما نسبته (10.9%) ممن تراوحت أعمارهم بين (17-20) سنة. ولما ممن قلت أعمارهم عن (17) سنة فإن نسبة من استفاد منهم من هذه المعلومات في تعزيز ثقته بأنفسهم فقد كانت (3.9%).

ومكذا يتضح أن الإنترنت كوسيلة اتصال في المجتمع يمكن استثمارها والاستفادة منها ليس فقط في الحصول على معلومات ومعارف تغطي البعد المعرفي في حياة هؤلاء الشباب فحسب، بل في تعزيز الجانب النفسي من حياتهم أيضاً. فهذه المعلومات والمعارف التي يزودهم بها الإنترنت تجعلهم يشعرون برضا ولاتجاه أمام الآخرين إذا ما منحت لهم الفرصة لإبداء وجهات نظرهم في قضية ثقافية أو معرفية ذات صلة بهذه المعلومات والمعارف. وفي الحقيقة، فإن الإنترنت

إذا ما استطاع القيام بهذا الدور في حياة الشباب، فإنه سيصبح وسيطاً (Agent) فاصلاً من وسائل التنشئة الاجتماعية.

ولما فيما يتصل بالأوضاع الاجتماعية لهؤلاء الشباب انفعالياتهم لا يزال في مرحلتها المعزوبة (42.5%)، والزوجية (21.2%)، ولما قوماً يتطرق بمستواهم التعليمي انفعالياتهم أيضاً هم في المستوى التعليمي الجامعي (38.3)، ثم المستوى التعليمي الثانوي حيث كانت النسبة هنا (21.7%).

متغيرات العلاقة الأسرية

يشير جدول متغير العلاقة الاجتماعية المعنى بإجابات الشباب عن السؤال الذي طلب منهم أن يصفوا أسلوب معاملة أمثالهم لهم من حيث الشدة والديمقراطية وكذلك الأساليب الأخرى في المعاملة (التعاقب، واللين، والمعاملة الصارمة) إلى أن الشباب كلهم استفادوا من المعارف والمعلومات التي رودهم بها الإنترنت في تدعيم تقويم بأنفسهم أمام أسرهم وأمام الآخرين أيضاً.

ففيما يتعلق بالشباب الذين تعاملهم أسرهم معاملة تتسم بالديمقراطية، فقد أجاب ما نسبته (24%) منهم بأن المعلومات التي اكتسبوها من الإنترنت جعلتهم يشعرون بنوع من قرضاء والارتياح والأهمية لأسماءهم وأمام الآخرين أيضاً.

وربما يعود المحب في ارتفاع هذه النسبة مقارنة بالنسب الأخرى، هو أن الشباب الذين تعاملهم أسرهم معاملة ديمقراطية يقوم على احترام رأيهم، يتمتعون لإبداء رأيهم المستند إلى المعلومات التي اكتسبوها من الإنترنت، لأنهم يشعرون بأنها لن تخذلهم أو تضرهم حتى لو كانت هذه الآراء غير صائبة، وذلك خلافاً للشباب الذين تعاملهم أسرهم معاملة تتسم بالقسوة والصرامة؛ إذ قد لا تسطعهم المعلومات التي اكتسبوها من الإنترنت في هذا الموقف، وهذا ما عكسته إجاباتهم؛ إذ لم يشعر منهم سوى ما نسبته (6.5%) بهذا الشعور أمام أسرهم للتصاطة، ولم تسف هذه المعلومات منهم أيضاً سوى ما نسبته (7.9%) ممن تعاملهم أسرهم معاملة "عادية" فقد كانت فائدة المعلومات لديهم في تدعيم تقويم بأنفسهم عالية تقارب في ارتفاعها

نسبة الشباب الذين نشأوا في جو أسري ديمقراطي. حيث بلغت نسبتهم (23.1%) وهذه النسبة في الواقع تبين أن من ينشأ من الشباب في جو ديمقراطي أو قريب منه (عادي)، فإن هذا الجو يساعدهم على إبداء آرائهم في القضايا والمعضلات الأسرية المستقدة إلى ما استفادوه من معلومات من الإنترنت. وفي هذه الحالة فإن هذه المعلومات التي حصلوا عليها من الإنترنت، إضافة إلى الجو الأسري المريح سيولد لديهم إحساساً بالرضا والارتياح والثقة بالنفس أمام الآخرين، خلافاً لثقافة الشباب ممن تربى في أجواء أسرية مختلفة عن هذا الجو، فلكل الأجواء غير مساعدة لهم في تدعيم ثقتهم بأنفسهم في الأصل.

الإنترنت وحل المشكلات النفسية

السؤال: أجد في الإنترنت وسيلة مناسبة للتنفيس عما في داخلي من هموم ومشاكل وإحباطات أسرية ومجتمعية.

لم تقتصر موائد الإنترنت في المجال النصي - التفاعلي على تدعيم ثقة الشباب بأنفسهم ورضاهم عنها فحسب، بل امتدت لتطال جانباً نفسياً آخر وهو لجوؤهم إلى هذه الوسيلة الاتصالية من أجل التنفيس عما في صدورهم من مشاعر صديق وتوتر وإحباطات أسرية ومجتمعية. فالشباب الذين يعانون من مشاكل أسرية ومجتمعية، ولا يستطيعون التحدث مع أسرهم حولها (كما اتضح في السؤال السابق) وجدوا في الإنترنت ملاذاً في التخفيف عن معاناتهم النفسية من هذه المشكلات، وفي هذا الصدد شكل استخدام الإنترنت فرصة كبيرة للتنفيس عما في صدور ما نسبته (57.1%) منهم من إحباطات ومشكلات سببتها لهم أسرهم أو مجتمعهم كما يبين الجدول (رقم 28).

وفي الواقع، على إيجابيات الشباب عن هذا السؤال بهذه النسبة العالية برعاً ما، إنما تدل على أن الدور الذي يقوم به الإنترنت في التنفيس عن المشكلات النفسية لا يقل حيوية عن الدور الذي يقوم به الاتصال لوجاهي بهذا المجال حين يقوم أحد الأفراد بالبوح عن مكونات صدره التي توارق أمام صديق له على ظهر الراحة النفسية جراء هذا البوح أو الإفصاح (Self-disclosure).

أجد في الإنترنت وسيلة مناسبة للتنفيس عما في داخلي من هموم ومشاكل وإحباطات أسرية ومجتمعية.										
نوع الجنس		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	
الذكور		76	16.1	85	18.0	64	13.6	33	7.0	258
الإناث		40	8.5	68	14.4	64	13.6	41	8.7	213
المجموع الكلي		116	24.6	153	32.5	128	27.2	74	15.7	471

المتغيرات الاجتماعية

وحيث حولنا معرفة أي الجنسين من الشباب ولجا أكثر من غيره إلى الإنترنت كوسيلة للتنفيس عما في صدورهم من مشكلات وإحباطات، وجدنا، كما يشير الجدول، أن نسبة الشباب الذكور في هذا الصدد كانت أكثر من نسبة الإناث؛ حيث استخدمه ما نسبته (34.1%) منهم لهذه الغاية، واستخدمته ما نسبته (22.9%) من الإناث للغاية نفسها.

وأما فيما يتعلق بأعمار هؤلاء الشباب فإنها لم تختلف عن أعمار زملائهم في الجدول السابقة من حيث تمركزها حول الفئة العمرية (20-23) كأعلى نسبة شبابية تستخدم الإنترنت للتنفيس عما يخالج صدورهم من مشكلات وإحباطات؛ حيث كانت النسبة المئوية لهذه الفئة العمرية من الشباب (15.3%)، تلتها بعد ذلك الفئة العمرية الشبابية التي تروحت أعمار الشباب فيها ما بين (26-29)؛ حيث أجاب (10.9%) منهم أن الإنترنت أتاح لهم هذه الفرصة، ثم الفئة العمرية (17-20)؛ حيث كانت نسبتها (10.2%)، ثم فئة الشباب ممن تروحت أعمارهم ما بين (23-26) سنة، إذ أجاب ما نسبته (9.6%) من هذه الفئة بأنهم يستخدمون الإنترنت كوسيلة من وسائل التنفيس والتفريغ عما في صدورهم من إحباطات ومشكلات نفسية.

ومتى ما لم تختلف فئات الأعمار التي احتلت المقام الأول هنا عن فئات الأعمار التي احتلت المقام نفسه في إجاباتها على الأسئلة السابقة، كما تبين في الجدول السابقة، لم تختلف كذلك المستويات التعليمية والاجتماعية عن المستويات السابقة من حيث ارتفاع نسب الشباب فيها. حيث كل الشباب من الخلفيات التعليمية الجامعية ثم الثانوية هم أكثر الفئات الشبابية استعمالاً للإنترنت من أجل هذا الهدف؛ إذ بلغت نسبة كل منهما على التوالي: (27.5%) و(19.1%). وكذلك أجاب من الشباب العازب ما نسبته (32.1%)؛ وأجاب من الشباب المتزوج ما نسبته (18.5%) بأن الإنترنت ساعدهم في التخلص من مشكلاتهم النفسية والاجتماعية التي يشعرون بها جراء بعض الضغوطات الأسرية والمجتمعية.

متغيرات العلاقة الأسرية

حين سألنا الشباب ليحددوا لنا أسلوب معاملة أسرهم لهم فيما إذا كان أسلوباً ديمقراطياً أو صارماً أو لئياً أو عالياً، لثري مدى انعكاسه على لحوثهم إلى استخدام الإنترنت كوسيلة اتصال تنفسية، أجاب منهم (18.9%) ممن تعاملهم أسرهم بطريقة "عالية"، بأنهم يستخدمون الإنترنت من أجل هذه الغاية، كما أجاب ما نسبته (15.4%) منهم، ممن تعاملهم أسرهم معاملة تقسم بـ "الديمقراطية" الإجابة نفسها.

وفي الواقع، فإن استخدام الشباب للإنترنت كوسيلة اتصال للتخلص من مشكلاتهم النفسية وهمومهم الاجتماعية قد أراحهم مما جعلهم ينظرون إلى الحياة نظرة متفائلة. ومن هذا المنطلق يكون الإنترنت قد ساهم في حلول المشكلات النفسية والاجتماعية بطريقة أو بأخرى، وهذا ما عكسته إجاباتهم عن سؤال آخر يتعلق بهذا الجانب النفسي من حياتهم وهو:

السؤال: ما صحتي الإنترنت على حل بعض مشكلاتي النفسية مما جعلني أنظر للحياة نظرة متفائلة وسعيدة:

لم يقتصر دور الإنترنت على مجرد مساعدة شباب في حلول مشكلاتهم النفسية والاجتماعية، كما أوضح في إجاباتهم على السؤال السابق، بل ساعدهم في ما هو أكثر من ذلك، ألا وهو إعادة نظرهم إلى الحياة بطريقة متفائلة. لهذا الدور "الملاحى" للإنترنت يصب في نهاية الأمر في راحتهم النفسية، وفي تدعيم ثقتهم بأنفسهم التي رعرعها تلك المشكلات المجتمعية، وهذا ما أوضحته إجاباتهم عن السؤال أعلاه.

لحين طلبنا منهم أن يحددوا ما إذا كانوا قد استفادوا من الإنترنت، كوسيلة من الوسائل الاتصالية التي ساعدتهم في حلول مشكلاتهم النفسية من خلال المواقع المتاحة لهذه الغاية في هذه الوسيلة، وفيما إذا كان ذلك العمل قد ساعدهم على إعادة نظرهم إلى الحياة بطريقة أكثر تفاؤلاً من السابق، أجاب أكثر من نصف أفراد العينة بالإيجاب (51.1%) كما بين الجدول (رقم 29)، وهذه النسبة المرتفعة نسبياً، إضافة إلى النسبة المشابهة لها في الجدول السابق تعكس، في الحقيقة مسائلتين متداخلتين هما: وجود مشكلات نفسية واجتماعية بدرجة عالية نسبياً داخل

الأسرة والمجتمع من جهة، وإمكانية استعمال الإنترنت كوسيلة اتصالية للتخلص من هذه المشكلات من جهة أخرى.

ساعاتي الإنترنت على حل بعض مشكلاتي النفسية مما جعلني أقدر للحياة نظرة متفائلة ومسيحة									
نسبة الموافقة الجنس	موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	
الذكور	58	12.3	85	18.0	81	17.2	34	7.2	258
الإناث	26	5.5	72	15.3	68	14.4	47	10.0	213
المجموع الكلي	84	17.8	157	33.3	149	31.6	81	17.2	471

المتغيرات الاجتماعية

ويوضح الجدول المتعلق بتحديد تكرارات إجابات الشباب من كلا الجنسين على هذا السؤال بأن عدد الشباب الذين ساعدتهم الإنترنت في التخلص من مشكلاتهم النفسية، بحيث بدلوا ينظرون إلى الحياة نظرة أكثر تفاؤلاً ورضاً، أعلى من عدد الإناث في هذا الشأن، فهناك ما عدده (143) شاباً من الذكور أي ما نسبته (30.3%) وهناك ما عدده (98) فتاة أي ما نسبته (20.8%) أصبحوا ينظرون إلى الحياة نظرة متفائلة بعد أن مكثهم الإنترنت من التخلص من مشكلاتهم المختلفة، بواسطة الخدمات النفسية المتاحة على المواقع المصيبة بهذا الجانب النفسي في هذه الشبكة العالمية.

وتقد استفاد من هذه الخدمات النفسية الشباب بمختلف فئاتهم العمرية، وبخاصة أولئك الذين وقعت أعمارهم ما بين (20-23)، و (26-29) سنة، حيث كانت للسبب للمثوية هذا (15.1%) و (9.8%)، كما استفاد أيضاً من هذه الخدمات الشباب ممن هم في المستوى التعليمي الجامعي: (25.1%)، وكذلك الشباب ممن هو في المرحلة الثانوية (18.5)، وهؤلاء الشباب، كما يوضح الجدول هم من فئتي الشباب المعارب (20.0%) والشباب المتزوج (14.9%).

متغيرات العلاقة الأسرية

وأما فيما يتعلق بتغير العلاقة مع الأسرة فهين الجدول أن الشباب من تربطهم علاقة قوية مع أسرهم قائمة على الاحترام والتقدير قلما يلجأون إلى الإنترنت من أجل مساعدتهم في حل مشاكلهم النفسية. فالأسرة يمكنها أن تقوم بهذا الدور؛ إذ كانت نسبة هؤلاء الشباب (37.8%)، ومع ذلك هناك نسبة لا بأس بها ممن تربطهم بأسرهم علاقة قوية، كفرا قد لجأوا إلى الإنترنت للتخلص من مشكلاتهم النفسية؛ إذ كانت هذه النسبة: (33.5%)، وهذه النسبة قد تجد في إجابات المتخصصين بعداً جديداً في حل مشكلاتهم لم تلتفت إليه أسرهم.

وقد اتسحت علاقة الأسرة بأبنائها واتمكاساتها على استخداماتهم للإنترنت حين حاولنا استجلاء هذه العلاقة من زاوية أخرى، وهي أسلوب معاملتها لهم من حيث الشدة والديمقراطية. إذ اتضح، أن الشباب الذين تعاملهم أسرهم معاملة ديمقراطية لا يلجأون إلى هذه الوسيلة الاتصالية للتخلص من هذه المشكلات إلا بنسبة قليلة، وفي هذا الصدد بلغت نسبة هؤلاء الشباب (16.1%)، فالجو الأسري القائم على التفاهم مع الأبناء، يسمح لهم بمناقشة مشكلاتهم النفسية مع أسرهم، لذا لا يجدون أنفسهم بحاجة إلى اللجوء إلى وسائل أخرى كالإنترنت لتساعدهم على حل هذه المشكلات. ومع الإقرار بذلك فإن من لجأ إلى الاستعانة بالإنترنت في حل مشكلاتهم النفسية ممن عاملتهم أسرهم بـ"ديمقراطية" أيضاً فقد كانت نسبة قريبة جداً من النسبة السابقة بلغت (15.5%). وربما يعود السبب في هذا إلى أن عدد من الشباب، كما قلنا، يجد في الإنترنت رؤية جديدة في تناول مشكلاتهم من قبل المتخصصين النفسيين لم تلتفت إليها أسرهم، وبالتالي تكون الفائدة في هذه الحالة أكثر مما لو اكتفوا بطول أسرهم فقط وبمعنى آخر، أن الشباب الذين يعيشون في جو ديمقراطي قائم على الاحترام والود لم يبتلوا لا يلجأون إلى الإنترنت إلا من أجل الحصول على المزيد من المعرفة المتعلقة بمشكلاتهم، وليس لعدم ثقتهم بطول أسرهم.

الإنترنت وعملية الإفصاح عن الذات

السؤال: تجد في نفسك فجأة في طرح مشكلاتك الخاصة جداً، وبخاصة العاطفية، على نوي الاختصاص في مواقع الإنترنت، أكثر من تلك التي تجدها حين تتحدث عنها وجهاً لوجه معهم.

تدعم إجابات الشباب على هذا السؤال المحدد لمعرفة الدور الذي يمكن أن يقوم به الإنترنت كوسيلة اتصال في المجتمع في مساعدة الشباب على حل مشكلاتهم النفسية والاجتماعية بشكل عام، والعاطفية منها بشكل خاص، ما كنا قد دينا إليه في الصفحات السابقة من تأكيد على بروز هذا الدور في حياة الشباب ومذاقته للدور الذي يقوم به الاتصال الوجيه في هذا المجال.

وقد كشفت إجابات الشباب عن هذا السؤال أيضاً عن وجود سمة خفية في شخصياتهم، وهي سمة الخجل وبخاصة حين يتعلق الأمر بإفصاحهم عن مشكلاتهم العاطفية أمام الآخرين. ولقد أصبح هذا الخجل عن نفسه في الارتفاع الملحوظ في إجابات أولئك الذين يؤثرون فيحدث مع نوي الاختصاص عن مشكلاتهم النفسية والاجتماعية عبر الإنترنت، على التحدث عنها معهم وجهاً لوجه وبشكل مباشر. وفي هذا الصدد يوضح الجدول (رقم 30) أن هناك ما نسبته (63.2%) من هؤلاء الشباب يفضل هذا النوع من الاتصال غير الوجيه الذي ينتجه لهم الإنترنت، على الاتصال المباشر مع نوي الاختصاص للتحدث عن هذه المشكلات.

تجد في نفسك فجأة في طرح مشكلاتك الخاصة جداً، وبخاصة العاطفية، على نوي الاختصاص في مواقع الإنترنت، أكثر من تلك التي تجدها حين تتحدث عنها وجهاً لوجه معهم										
المرحلة / الجنس		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	
الذكور		77	16.3	101	21.4	43	9.1	37	7.9	258
الإناث		59	12.5	61	13.0	50	10.6	43	9.1	213
المجموع الكلي		136	28.8	162	34.4	93	19.7	80	17.0	471

صحيح أن عملية البوح أو الإفصاح⁽¹⁾ (Self-Disclosure) أعلم الآخرين عما في النفس من أسرار وتمس الجوانب الخفية من ذات الفرد (Hidden-Self) ويحلصه ذلك الجانب العاطفي منها، تتطلب جرأة وثقة بالنفس، وثقة بالآخر الذي يفصح الفرد لآلمه أيضاً، ومع ذلك فإن ارتفاع نسبة الشباب القطري الخجول الذين يهتمون عن هذا النوع من الإفصاح أو البوح عما في النفس تستدعي التعرف عليها لتحديد أسبابها، والعوامل المسؤولة عنها وهذا بالطبع، أمر خارج عن أهداف هذه الدراسة على الرغم من أهميته وضرورته للمعنيين بدراسة التفاعل الاجتماعي في المجتمع.

المتغيرات الاجتماعية

وإذا ما عدنا إلى الجدول السابق لدرى لياً من الجلسين لجا أكثر من غيره إلى الإنترنت للتحدث عن مشكلاته العاطفية لأنه لا يجد الجرأة في نفسه للتحدث عنها مباشرة لذوي الاختصاص، لوجدنا أن نسبة الذكور هنا أعلى من مثيلتها عند الإناث، حيث كانت النسبة لكل منهما على التوالي: (37.7%) و(25.5%). وتفسر هذا الفرق بينهما إما يعود إلى أن الفتيات في المجتمع القطري لم يتعودن على صراحة الإفصاح عما في نفوسهن بحكم صليمة التثنية الاجتماعية في هذا المجتمع التقليدي، الذي يقوم على العزل بين الجلسين. فإفصاحهن عما في صدورهن لآلم الآخرين قد يسبب لهن إرباكاً وتوتراً نفسياً غير معتادات على التعامل معه، خلافاً لزملائهن من الشباب الذكور الذين يجدون أنفسهم أكثر جرأة، بحكم التثنية الاجتماعية في مجتمع ذكوري، في التحدث عن أنفسهم والإفصاح عنها لآلم الآخرين. ومع ذلك، لعملية الإفصاح أو البوح نفسها، كعملية اتصالية من نوع خاص، يمكن مدى صق الاتصال التثاني بين الأفراد في أي مجتمع من المجتمعات، هي صلية غير مكوفة في المجتمع القطري لكلا الجلسين، فكلاهما لا

(1) للاطلاع على مفهوم البوح أو الإفصاح عما في نفس وعلاقته بالاتصال الشخصي، وكذلك العوامل المؤثرة فيه، انظر على سبيل المثال لا من:

- Devito, J.A. the Interpersonal Communication Book, (1989), New York: Harper & Row Publishers. fifth edition, Unit 7, pp 114-135.
- Stewart, J and Carol Logun. Together: Communicating Interpersonally. New York: McGraw-Hill, Inc. 1998. Fourth edition. Chapter 7. pp. 230-262.

وجد في نفسه الجراء الكافية للتحدث عن مشكلاته العاطفية ووجهاً لوجه أمام الآخرين، حتى لو كان هؤلاء الآخرين من ذوي الاختصاص في حل المشكلات العاطفية. لذا، يلجأ الشباب إلى ذوي الاختصاص عبر الإنترنت لأنه لا يتيح لهم تفاعلاً أو اتصالاً وجاهياً معهم، مما يجعلهم يشعرون براحة نفسية أكثر في التعبير عن مشكلاتهم النفسية والاجتماعية.

ويوضح الجدول المعطى بتحديد أصغر هؤلاء الشباب في أكثرية وقت في الفئة العمرية المصنوعة ما بين (20-23). حيث بلغت النسبة المئوية هنا (18.5%)، ثم تلا ذلك فئة الشباب التي تراوحت أعمارها ما بين (26-29) سنة، ثم الشباب في الفئة العمرية (17-20)، والشباب في الفئة العمرية (23-26)؛ حيث بلغت النسب المئوية لكل فئة عصرية من هذه الفئات كما يلي على التوالي: (12.3%) و(10.6%) ثم (10.4%).

وقد سجل الشباب من هم في المستوى التعليمي الجامعي أعلى النسب التي شعر الشباب فيها بجراءة في التحدث عن مشكلاتهم لذوي الاختصاص عبر الإنترنت؛ فغالباً يتعلق بالنسبة الشباب الجامعي فقد كانت نسبتهم (30.9%)، وكانت نسبة الشباب ممن هو في المستوى التعليمي الثانوي وأجلب الإجابة نفسها (21.3%). ولما للشباب العازب والمتزوج الذين شعروا بالشعور السابق، فقد كانت نسبة كل منهما كما يلي على التوالي: (34.3%) و(20.4%).

متغيرات العلاقة الأسرية

ولما فيما يتعلق بمتغير العلاقة الأسرية في هذه الحالة، فقد أوضح الجدول المخصص لرصد إجابات الشباب الذين تعاملهم أسرهم معاملة "ديمقراطية"، أن هناك ما نسبته (19.9%) منهم شعر بأنه يجد الجراء في نفسه في التحدث عن مشكلاته مع ذوي الاختصاص في حل مشكلاته النفسية والاجتماعية عبر الإنترنت أكثر مما يشعر حين يتحدثون إليهم مباشرة ووجهاً لوجه. وهذه النسبة لا تعكس، برأي الباحثة، خللاً في علاقة الآباء بأبنائهم وإنما تعكس مدى الثقة التي يصنعها للشباب في هؤلاء المتخصصين في حل مشكلاتهم النفسية، والثقة بالنفس التي يتمتعون بها في عرض مشكلاتهم على ذوي الاختصاص عبر الإنترنت.

السؤال. تجد نفسك جريئاً وصريحاً في التحدث مع "الجنس الآخر" حول قضايا كثيرة علمية عبر الإنترنت أكثر من التحدث معها فيها وجهاً لوجه:

صحيح أن الاتصال الوجداني المباشر كنمط من أنماط الاتصال في المجتمع القطري لا يزال الأكثر شيوعاً من غيره من أنماط الاتصال الأخرى، كما أوضحنا، ومع ذلك فإن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة بين الجنسين في هذا المجتمع والتي تنتم بالعسل بينهم، دفعت بالكثير منهم إلى الاتصال مع بعضهم البعض بطرق غير مباشرة. وهذا ما أكدناه في الصفحات السابقة.

ربما يكون لإحجام الشباب عن الخروج عن مشكلاتهم العاطفية أمام الآخرين له ما يبرره في ذلك الخجل الذي تتصف به شخصياتهم، كما أوضحنا للتو، ولكن ما مبرر هذا الإحجام في التحدث مع الجنس الآخر وجهاً لوجه حول قضايا عامة بعيدة كل البعد عن المسائل العاطفية؟ إن قسماً كبيراً منه يعود، بلا شك، إلى عدم تعودهم على الاتصال الوجداني المباشر في المجتمع بسبب التثنية الاجتماعية القائمة على الفصل بينهم منذ الصغر، وعلى عدم السماح بهذا النوع من العلاقات أو التفاعل الاجتماعي بينهم أصلاً لأسباب اجتماعية ودينية.

وبهذا الخصوص لجأ (270) شاباً وشابة، أي ما نسبته (57.4%) من هؤلاء الشباب بأنهم يجدون في أنفسهم الجراءة والصراحة في التحدث مع الجنس الآخر عبر الإنترنت (اتصال غير مباشر) حول قضايا عامة (ثقافية وتربوية واجتماعية وسياسية وفنية ورياضية) أكثر مما لو تحدثوا معه حولها بشكل مباشر ووجداني لو سلحت لهم الفرصة بذلك (انظر الجدول رقم: 31).

تجد نفسك جريئاً وصريحاً في التحدث مع الجنس الآخر حول قضايا كثيرة علمية في الإنترنت أكثر من الجراءة التي أجدها حين تتحدث فيها معهم وجهاً لوجه.										
درجة الموافقة الجنس		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكل
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت
الذكور		89	18.9	81	17.2	43	9.1	45	9.6	258
الإناث		46	9.8	54	11.5	46	9.8	67	14.2	213
المجموع الكل		135	28.7	135	28.7	89	18.9	112	23.8	471

المتغيرات الاجتماعية والأسرية

ولما فيما يتعلق بمتغير جنس الشباب، فقد تباينت إجاباتهم حول مدى الصراحة وثقة بالنفس التي يتمتع بها كل منهما؛ حيث اتضح أن هذه الصراحة كانت قد أفصحت عن نفسها في إجابات الذكور أكثر من إجابات الإناث؛ فقد أجاب ما نسبته (36.1%) من الذكور بأنهم أوصوا بهذا الإصطناع، وأصحت ما نسبته (21.3%) من الإناث بالإحصاء نفسه.

ولما فيما يتعلق بمتغيرات العمر والمستوى التعليمي والاجتماعي وكذلك متغير علاقة شباب الاجتماعية بأسرهم، فلم تختلف علاقة هذه المتغيرات باستخدامات للشباب للإنترنت في التحدث مع الجنس الآخر عن علاقات الشباب السابقة بهذه الاستخدامات، لا من حيث النسب المئوية المرفقة بين الفئات العمرية السابقة نفسها، ولا المستويات والأوضاع التعليمية الاجتماعية، ولا كذلك بعلاقة متغير الشباب بأسرهم، كما توضح الجدول. فالفئات العمرية الشبابية من ذوي الخلفية التعليمية الجامعية هم أكثر الفئات الشبابية التي وجدت الجراءة في نفسها أكثر من غيرها في التحدث مع الجنس الآخر حول قضايا متروكة في الإنترنت، وكذلك الشباب المعزوب والمتزوج. ولما فيما يتعلق بالمتغيرات الأسرية، فإن الجدول تشير بهذا الصدد إلى أن الشباب الذين تعاملهم أسرهم معاملة ديمقراطية قولها الاحترام والتقدير، لم يشعروا بأي حرج في التحدث مع الجنس الآخر سواء في الإنترنت أم بشكل مباشر ووجاهي.

الخلاصة

استطاع الإنترنت أن يقوم بأدوار حيوية في حياة الشباب النفسية؛ إذ عمل على تعزيز ثقتهم بأنفسهم، من خلال ما روهم به من معلومات ومعارف في هذا الشأن؛ كما قام بنور فاعل في مجال نفسي آخر وهو مساعدتهم على الإفصاح عن أنفسهم وعن مشكلاتهم النفسية والاجتماعية التي تزعجهم وتسبب لهم صيقاً نفسياً.

إن هذا الدور "العلاجي - التطهيري" للإنترنت، دور يمكن استثماره واستغلاله في حل العديد من المشكلات النفسية والاجتماعية التي يعاني منها كلا الجنسين في مجتمعهم المحافظ؛ حيث يجد الشباب صعوبة في التحدث مباشرة ووجهاً لوجه مع الآخرين عن مشكلاتهم، حتى لذوي الاختصاص منهم في هذا المجتمع. لذا، يعتبر الإنترنت، في هذه الحالة، وسيلة اتصالية ملائمة ومناسبة للتروح بها في صدورهم، مع الحفاظ على أسرارهم دون أن يعرفها أحد.

الفصل السادس

الإنترنت: التأثيرات الإيجابية

مقدمة

الإنترنت والترفيه وتزجية أوقات الفراغ

الإنترنت وتعميق القيم الدينية

الإنترنت والأداء العلمي والمهني

الإنترنت وتطوير المواهب والهوايات

الإنترنت والانخراط في النشاطات المجتمعية

الإنترنت والانفتاح الثقافي

الخلاصة

الإنترنت: للتأثيرات الإيجابية

مقدمة

كنا قد أوضحنا في الفصول السابقة، أن الباحثين في مجال سوسيولوجيا الاتصال بشكل خاص، والباحثين الاجتماعيين بشكل عام، لم يجمعوا على نتيجة قطعية حول طبيعة التأثيرات المتوقعة للإنترنت على الأفراد، ومدى إيجابيتها وسلباتها. فهناك من يبلغ من شأن هذه التأثيرات، وهناك من يقلل منها.

وفي الواقع، فلك قد يكون من المنحصر، في هذا الوقت نسبياً من عصر هذه الوسيلة الاتصالية، حصر التأثيرات الإيجابية والسلبية جميعها التي أحدثها الإنترنت في حياة الأفراد؛ كما أنه قد يكون من الصعب أيضاً الإلمام بشكل حازم ونحقيق بكافة المجالات التي تظهر فيها هذه التأثيرات؛ فهذا أمر يحتاج إلى دراسات ميدانية مكثفة وجهود بحثية متواصلة؛ لكن هذا النوع من الدراسات في هذا المجال، لم يره الحظ ما زال محدوداً للغاية⁽¹⁾. وهذا ما حاولنا أن نسلطه هنا في هذا الفصل.

ومن هذا المنطلق، قمنا بوضع مجموعة من الأسئلة نحاول معرفة مدى ما تركه الإنترنت من تأثيرات إيجابية على حياة الشباب الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية والشخصية. وهذه المجالات هي: التحصيل المدرسي والجامعي، واستثمار أوقات الفراغ، والقيم الدينية، والإطلاع على الثقافات الأخرى، والمشاركة في النشاطات الفكرية والسياسية وتجاهات الشباب نحو المحتوى الثقافي والمعرفي للإنترنت.

وسنقوم الآن باستعراض إجابات الشباب عن كل سؤال من الأسئلة المنطوقة بهذه المجالات المختلفة.

(1) يجابه القارئ السامع العربية والمصحح للإنترنت بسؤال من الآراء المتضاربة والاجتهادات غير النهائية والاحتمالات غير القطعية بشأن تأثيرات الإنترنت على حياة الشباب. فالكثير من هذه الآراء والاجتهادات لا تستند في قيمها وروايتها لهذه التأثيرات إلى بحث علمي دقيق وعلم، فهي قد نسيء أكثر مما نقول في إفساد هذا الجانب من جوانب الإنترنت.

الإنترنت والترفيه وتزجية لوقت الفراغ

السؤال. ساعدني الإنترنت في استثماري لوقت الفراغ الذي أعطني منه وكذلك في الترفيه عن نفسي:

لم تقتصر فاعلية الانترنت على الأبعاد الترفيهية التي عرصنا لها في الفصل السابق فحسب، بل امتدت لتطال أبعاداً أخرى من حياة الشباب، حيث ساعدتهم الانترنت في استثمار وقت الفراغ الذي كانوا يشكون منه قبل استخدامهم لهذه الوسيلة الاتصالية. فقد اتضح من الجدول المخصص لرصد تكرارات إجاباتهم عن هذا السؤال أن هناك ما نسبته (73.7%) كانوا قد استفادوا من الإنترنت في الترفيه عن أنفسهم، واقتضاء على المال والفراغ الذي يعانون منه. ولما نسبة من لم يستفيد منهم من هذه الوسيلة في استثمار وقته فقد كانت ضئيلة نسبياً مقارنة مع نسبة أولئك الذين استفادوا منه؛ إذ بلغت (26.1%)، انظر جدول (رقم 32).

ساعدني الإنترنت في استثماري لوقت الفراغ الذي كنت أعطي منه وكذلك في الترفيه عن نفسي													
الجنس		درجة الموافقة		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
158	33.6	190	40.1	79	16.8	44	9.3	471	100				
الإناث	64	13.6	93	19.7	32	6.8	24	5.1	213	45.2			
الذكور	94	20.0	97	20.4	47	10.0	20	4.2	258	54.8			

المتغيرات الاجتماعية:

لم تقتصر هذه الفائدة على جنس دون آخر من الشباب، فكل الجنسين استفاد من الإنترنت في استثماره لوقت الفراغ ويتضح من الجدول السابق (رقم 32) أن هناك (40.4%) من الشباب الذكور، و (33.3%) من الإناث استفادوا من الإنترنت في استثمارهم لوقت الفراغ الذي يشكون منه. ولما نسب من لم يستفيد منهم في هذا المجال فقد كانت متدنية بالمقارنة مع النسب السابقة، حيث أجاب (14.2%) من

الذكور، وأجابت (11.9%) من الإناث بأن الإنترنت لم يساعدهم في تطويرهم لأولئك فراضهم.

وعلى ما يبدو، فإن الغالبية العظمى من الشباب تعاني من فراغ وملل في حياتها، وهذا ما يفسر ارتفاع النسبة المئوية، في الجدول السابق، لمن أجاب منهم بأن الإنترنت ساعدهم على استثمار وقت فراغهم الذي كان يذهب هدراً. وكما يتضح من الجدول المتعلق بمتغير عمر الشباب فإن أعلى نسبة منهم تعاني من هذا الفراغ هي فئة الشباب ممن تتراوح أعمارهم ما بين (20-23) سنة، ثم فئة الشباب ممن تقع أعمارهم ما بين (26-29) سنة، ثم ما بين (17-20)، ثم (23-26) ثم الفئة العمرية (29-32)، وقد كانت النسب المئوية لهذه الفئات كما يلي على التوالي: (22.9%) و(13.3%) و(13.2%) و(11.0%) ثم (9.1%).

وأما فيما يتعلق بالمستوى التعليمي لهذه الفئات العمرية من الشباب، فقد أشار الجدول المخصص لذلك إلى أن أعلى مستويات تعليميين كانوا قد استثمروا هذه الوسيلة الاتصالية في ترقية وقت الفراغ هما الشباب في المستوى التعليمي الجامعي ثم الشباب في المستوى التعليمي الثانوي؛ حيث كانت نسبة الشباب في المستوى التعليمي الجامعي (38.3%) ونسبة الشباب في المستوى التعليمي الثانوي هي (25.1%).

ويبين الجدول السطحي بمعرفة الحالة الاجتماعية الشباب الذين ساعدهم الإنترنت في استثمارهم للوقت أمراً لافتاً للنظر، وهو ارتفاع نسبة شباب المتزوج الذي يعاني من فراغ والملل؛ حيث احتل الشباب المأزب ما نسبته (44%)، واحتل المتزوجون ما نسبته (21.4%)؛ إذ أجابت هذه النسبة بأنها تعاني من الفراغ في حياتها، لذا وجدت في الإنترنت فرصة لتعويض هذا الفراغ.

ونعكس هذه النسبة، في الحقيقة، طبيعة العلاقة بين الزوجين؛ فمما لا يخفى الشباب المتزوجون من فراغ في حياتهم الزوجية؟ وهل الزوجيات هن اللواتي يعانين أكثر من الأزواج من هذا الفراغ بسبب عدم فهمكهن في العمل (بإطلاقات عن العمل)؟ أم لأن الزوج نفسه غير فاعل بينهم على التقاء فكري وعاطفي وتعليمي يشدهم إلى التواصل؟ أسئلة تبقى بحاجة إلى إجابة ولكنها لا تقع ضمن اهتمام هذه الدراسة.

متغيرات العلاقة الأسرية:

وحين حاولنا الوقوف على طبيعة العلاقة الأسرية وانعكاسها على إحساس الشباب بالملل والفراغ في حياتهم، اتضح لنا أن الفراغ حالة عامة تشعر بها الغالبية العظمى منهم بصرف النظر عن علاقتهم بأسرهم. وربما يمكن القول إنه لولا وجود الإنترنت سواء في بيوتهم أو في مقاهي الإنترنت المنتشرة هنا وهناك فسي للمجتمع كزادت حالة الملل لديهم وتعاظم شعورهم بها.

نسبة الشباب المعزب - وهي أعلى النسب كما أوضحنا للتو - الذين تربطهم علاقة قوية مع أسرهم فوامها الاحترام والتقدير، يعاني من الفراغ مثلما يعاني منه الشباب الذين لا تربطهم بأسرهم القوة نفسها من العلاقة؛ فقد أجاب ما نسبته (49.7%) من هؤلاء الشباب الذين تربطهم علاقة قوية مع أسرهم بأنهم يشعرون بفراغ في حياتهم ولم يساعدهم في تنظيمهم واستثمارهم لوقتهم إلا الإنترنت.

ومما يدعم ما ذهبنا إليه من قول، بأن الفراغ حالة عامة منتشرة بين غالبية شباب بصرف النظر عن علاقتهم بأسرهم، ما رأيناه من إجابات في الجدول المخصص لذلك؛ إذ اتضح أن الشباب المتزوجين الذين تربطهم بزواجهم علاقة فوامها الاحترام والتقدير يعانون من الفراغ مثل غيرهم. إذ أجاب ما نسبته (49.2%) من هؤلاء المتزوجين ممن تربطهم علاقة مبنية على الاحترام والتقدير بزواجهم / أزواجهم بأنهم وجدوا في الإنترنت فرصة مناسبة لقضاء وقت الفراغ الذي يشعرون به، وهي نسبة تكاد تتطابق مع نسبة المعزبين من الشباب المشار إليها للتو.

الإنترنت وتعميق القيم الدينية

السؤال: تعلمت من بعض المواقع الدينية في الإنترنت الكثير من الأمور التي كنت أجهلها مما قوى من فهمي الدينية.

نجلت مولد استعمال الشباب للإنترنت بشكل لافت للنظر في إجاباتهم عن هذا السؤال إذ اتضح من هذه الإجابات عرق المعرفة الدينية التي استفادوها من مواقع الإنترنت المخصصة لذلك، مما عرر من فهمهم الدينية، وعشق من ممارستهم لها في حياتهم اليومية.

إذ أجاب منهم ما نسبته (8 65%)، بأنهم تعلموا الكثير من الشؤون الدينية من هذه المواقع في الإنترنت. وقد نجلت هذه الفائدة لدى جميع أفراد العينة من الجلوسين، وعمت بين جميع الأعمار والمستويات التعليمية والأوضاع الاجتماعية، (انظر الجدول رقم 33).

تعلمت من بعض المواقع الدينية، في الإنترنت الكثير من الأمور التي كنت أجهلها مما قوى من فهمي الدينية في حياتي.									
درجة الموافقة		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً	
الذكور		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الإناث		42	8.9	100	21.2	38	8.1	33	7.0
المجموع الكلي		98	20.8	212	45.0	106	22.5	55	11.7

المتغيرات الاجتماعية:

ولما فيما يتعلق بمتغير الجنس، يتضح من الجدول أعلاه المخصص لذلك، أن نسبة الذكور ممن استفادوا من المواقع الدينية في تعميق الجانب الديني في حياتهم اليومية كانت أعلى قليلاً من مثيلتها عند الإناث حيث أجاب (35.7%) من الشباب الذكور بأنهم استفادوا فائدة كبيرة من هذه المواقع، وأجابت (30.1%) من الإناث

بالهن استخدام كثيراً من هذه المواقع في تسهيل أمورهن الدينية في حياتهن اليومية، في حين كانت إجابات الجنسين ممن لم يستخدما قدر نفسه، من الفائدة التي استفادها زملاؤهم قليلة نسبياً؛ إذ كانت نسبة الذكور منهم (19.1)، ونسبة الإناث (15.1%).

ولم يكن للمتغيرات الأخرى كالعمر والمستوى التعليمي والاجتماعي دلالات مختلفة هنا عن دلالات المتغيرات نفسها في الجدول السابع، فالشباب الجامعي والشباب في المستوى التعليمي الثانوي هم أكثر استفادة من هذه المواقع، وكذلك فئة الشباب العازب والمتزوج، فقد كانت أكثر الفئات الاجتماعية فائدة ونفعاً من هذه المواقع.

وأما أعمار من استفاد أكثر من غيره من هذه المواقع فهي نفسها تلك الأعمار التي استفادت من المزايا السابقة للإنترنت، وهي بالتحديد الفئات العمرية الشبابية التي انحصرت أعمار الشباب فيها ما بين (20-23) و(26-29) وكذلك (17-20) سنة؛ حيث كانت النسب المئوية كما يلي على التوالي: (18.6%) و(13.5%) و(10.6%).

السؤال: كثيراً ما تلجأت عن تلبية سلوكي في مواقعها المحددة بسبب جنوسي المتواصل أمام الإنترنت.

لنعكس الفائدة الدينية التي جناها الشباب من المواقع الدينية في الإنترنت كما أوضحنا، في الجدول السابق، على سلوكياتهم وممارساتهم لشعائهم الدينية المتمثلة بتأديتهم لصلواتهم في مواقعها. وفي هذا الصدد يمكن القول، إن استخدام الشباب للإنترنت لم يعكس سلباً على ممارستهم لهذه الشعائر، بل العكس إيجاباً؛ إذ بين الجدول (رقم 34) المخصص لرصد إجابات الشباب عن السؤال المتعلق بتأثير الإنترنت على عدم انتظامهم في تأديتهم لصلواتهم في أوقاتها المحددة، أن هذا التأثير كان سلبياً.

كثيراً ما تضررت عن تغطية صلاحياتي في مواقينها المخصصة بسبب جلوسى المتواصل أيام الإنترنت.										
المجموع الكلي		غير موافق لهذا		غير موافق		موافق		موافق جداً		درجة الموافقة
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
54.8	258	14.9	70	20.8	98	13.8	65	5.3	25	الذكور
45.2	213	16.8	79	16.8	79	7.4	35	4.2	20	الإناث
100	471	31.7	149	37.6	177	21.2	100	9.5	45	المجموع الكلي

وفي هذا الصدد يوضح الجدول أعلاه أن نسبة الشباب الذين لم يؤثر استعمالهم للإنترنت على سلوكهم الديني كانت (3 69%)، أي أن هناك (326) شاباً وشابة من أصل (471) لم تصطبوا بممارستهم لشعائرهم الدينية المتمثلة بأداء الصلاة في موعليتها، بسبب استعمالهم لهذه الوسيلة الاتصالية. وهذه النسبة المرتفعة تؤكد النتيجة التي تم التوصل إليها في الجدول السابق، حيث اتضح لنا أن ما تعلمه الشباب من معرفة دينية من خلال الإنترنت انعكس بشكل إيجابي على قيمهم الدينية وسلوكهم اليومي وحياتهم بشكل عام، وليست نأدية الصلاة في لوقيتها المحددة سوى أحد هذه الجوانب.

المتغيرات الاجتماعية والأسرية:

لم تكشف الجداول عن وجود فروقات جوهرية وصارحة بين علاقة المتغيرات العمرية والاجتماعية والتعليمية والعلاقات الأسرية بالملوك الديني المتمثل بالصلاة، وبين تأثيرات هذه المتغيرات نفسها على مدى الفاعلة الدينية التي جناها الشباب من استخدامهم لهذه الوسيلة الاتصالية كما بينا في الجدول السابقة.

فالقنات العربية المستفيدة من الإنترنت في تطعيمها لشؤون دينها في السؤال السابق، وهي (20-23) و(16-29) هي نقصها القنوات الشيعية التي لم يؤثر استعمالها للإنترنت على تأكيدها لمسلواتها في مواقفيها المحيطة في السؤال الحالي، وهي كذلك نقصها فئة الشباب العازب وفئة الشباب المتزوج وفئة الشباب ذوي المستوى التعليمي الجامعي.

وبالعودة إلى الجدول المنطقة بمتغيرات العلاقة الأسرية، فتضح أيضاً أن الشباب الذين تربطهم بأسرهم علاقة قوية ومثبتة من الاحترام والتقدير، ويعاملهم أهلهم معاملة ديمقراطية، هم أكثر الشباب استفادة من المواقع الدينية المتاحة على شبكة الإنترنت، وهذه نتيجة في غاية الأهمية؛ حيث استطاع الإنترنت في هذه الحالة أن يقوي من القيم الدينية عند الشباب، ويعمق من ممارساتهم وسلوكياتهم اليومية في الجوانب ذات العلاقة بها، وعلى رأس هذه الممارسات احترام الأسرة، والبر بالوالدين.

الإنترنت والأداء العلمي والمهني

المسألة: تراجع تحصيلي المدرسي / الجامعي وكذلك أدائي العلمي بسبب الإرهاق الجسدي والنفسي الناجم عن السهر المتأخر ليلاً على الإنترنت.

لقد حاولت استجلاء بعد آخر من أبعاد الفقدان التي يمكن أن يجتريها الشباب من استغلالهم للإنترنت، وهو البعد المتعلق بتحصيلهم العلمي وأدائهم المهني؛ حيث أردنا التأكد من ادعاء البعض بأن سهر الشباب لساعات متأخرة من الليل على الإنترنت، يسبب لهم إرهاقاً نفسياً وتعباً جسدياً يعكس على أدائهم لأعمالهم أو دراستهم وتحصيلهم المدرسي / الجامعي.

وفي هذا الصدد أوضحت إجابات الشباب كما جاءت في الجدول التالي بتوضيح ذلك أن السهر الليلي والإرهاق النفسي والجسدي المصاحب له لم يسبب في تراجع في تحصيل الشباب المدرسي ولا في انخفاض مستوى أدائهم لأعمالهم؛ إذ أجاب ما نسبته (75%) منهم بأن سهرهم الليلي يسبب لهم إرهاقاً وإجهاداً، ولم يلجأ أحد منهم في تراجع في تحصيلهم المدرسي والجامعي ولا في أدائهم لأعمالهم وإنجازهم لها، انظر جدول (رقم 35).

تراجع تحصيلي المدرسي/ الجامعي وكذلك أدائي العلمي بسبب الإرهاق الجسدي والنفسي الناجم عن السهر المتأخر ليلاً على الإنترنت.										
درجة الموافقة الجنس		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	
الذكور		15	3.2	44	9.3	120	25.5	79	16.8	258
الإناث		14	3.0	44	9.3	82	17.4	72	15.3	213
المجموع الكلي		29	6.2	88	18.6	202	42.9	151	32.1	471

وأما فيما يتعلق بنسبة الشباب ممن شعروا بتراجع في تحصيلهم الجامعي/ المدرسي وانخفاض في أدائهم لعملهم بسبب السهر الليلي على الإنترنت وما نجم عنه من إجهاد نفسي وتعب جسدي صبيحة اليوم التالي فقد بلغت (24.8%).

وفي الحقيقة، فإنه من الصعب لو من غير المقبول تجاهل التأثير الذي قد يتركه الإجهاد النفسي والإرهاق الجسدي بسبب سهر الشباب الليلي أمام الإنترنت على أدائهم أو تحصيلهم. ولكن، على ما يبدو، فإن هذا الإرهاق والتعب لم يكن حاداً في حالة الشباب الذين لم يتأثروا بسهر الليلي. لماذا ذلك؟ في الحقيقة، هناك عدة أسباب لتفسير ذلك، يعود بعضها إلى عدم تأخر الشباب كثيراً في السهر الليلي على الإنترنت، ويعود بعضها الآخر إلى تباين عدد ساعات استعمال هؤلاء الشباب للإنترنت، كما أوضحنا ذلك عند عرضنا للخصائص النوعية للشباب فيما يتعلق بعدد ساعات استخدامهم للإنترنت في الفصل الثالث. وقد يعود السبب أيضاً إلى أن نتيجة السهر على الإنترنت عملت على مضاعفة تحصيلهم المعرفي وأدائهم المهني، مما جعلهم لا يشعرون بالتعب مقابل هذا الإنجاز. وهذا ربما هو الذي يفسر ارتفاع نسبة إجاباتهم على الأسئلة المتعلقة بمدى استقلالتهم من الإنترنت في تحصيلهم الجنسي والمدرسي وأدائهم لأعمالهم. إن إحساس الشباب بالنجاح والإنجاز، عمل على ما يبدو في التخفيف من شعورهم بالإرهاق الجسدي والإجهاد النفسي الذي يسببه عادة السهر الليلي.

المتغيرات الاجتماعية والأسرية:

وعلى ما يبدو من هذا الجدول أيضاً فإن إجابات الإناث ممن تراجع تحصيلهم المعرفي وأدائهم لأعمالهم بسبب الإرهاق الجسدي الناجم عن السهر الليلي، كانت تتطابق مع إجابات زملائهم من الذكور، حيث كانت هذه النسبة (12.3%) عدهن و(12.5%) عند الذكور.

ولما فيما يتعلق بنسبة الذكور ممن لم يؤثر سهرهم الليلي وإرهاقهم الجسدي بسبب استخدامهم للإنترنت على أدائهم في العمل وتحصيلهم الأكاديمي فقد كانت عند الذكور (42.3%)، وعند الإناث (32.7%). وأما فيما يتعلق بأصغر هؤلاء الشباب فقد تبين أن الفئات العمرية جميعها دون استثناء لم تثر في استخدامهم للإنترنت لساعات متأخرة في الليل تأثيراً كبيراً على تحصيلها وأدائها، ومع ذلك فإن الفئة العمرية (20-23) هي أكثر الفئات التي لم يترجع تحصيلها أو أدائها لعملها إذ بلغت نسبتها (20.4%)، ثم الفئة العمرية (26-29)، حيث كانت نسبتها (16.1%)، وأما الفئة العمرية (29-32) فقد بلغت نسبتها هي الأخرى (12.8%)

ولما فيما يتعلق بمتغير المستوى التعليمي لهؤلاء الشباب قبل الإزهاق الجسدي والتعب النفسي لم يزل إلا ما نسبته (9.6%) من الشباب ممن هم في مرحلة التعليم الجامعي ولما الأكثرية ممن هم في هذه المرحلة قد أجاب منهم ما نسبته (41%) بأن تحصيله المعرفي لم يتراجع.

ولما من هم في مرحلة التعليم الثانوي منهم قد أجاب (10.8%) بأن تحصيلهم وأدائهم قد تراجع، في حين أجاب ضئيل هذه النسبة، (21.1%)، بأن الإنترنت لم يشغلهم من دراستهم ولم يجعلهم يتراجعون فيها. وكذلك الأمر عند من هم في المرحلة الإعدادية من التعليم فهناك (7.9%) منهم لم يتراجع تحصيلهم المعرفي مقابل نصف هذا العدد (3.9%) كان قد شعر بهذا التراجع.

ولما فيما يتعلق بالحالة الاجتماعية لهؤلاء الشباب، فقد أثر السهر الليلي على أداء وتحصيل ما نسبته (15.5%) من العرب منهم، كما أثر أيضاً على ما نسبته (5.05%) من المتزوجين منهم. ولكن الأكثرية لم تتأثر حيث لم يتأثر ما نسبته (40.4%) من الشباب العازب، و (26.2%) من الشباب المتزوج.

ولما فيما يتعلق بطبيعة المتغيرات الأسرية وانعكاساتها على أداء أبنائها، فقد اتضح أن الأسرة التي تربطها بأبنائها علاقة احترام وتقدير لم يتراجع أداء أبنائها، ولا تحصيلهم المدرسي والجامعي، بل زاد كما أوضحت الجدول المخصصة لتبيان ذلك، وهذا ما عكسته إجاباتهم في السؤال التالي:

السؤال: زاد تحصيلي المدرسي/الجامعي وتحسن أدائي لعملي بسبب المعرفة التي جنيتها واكتسبتها من الإنترنت بهذا الشأن:

لم تكف بإجابات الشباب على السؤال السابق لتعرف على تأثيرات الإنترنت عليهم في مجال العمل والتحصيل الأكاديمي، بل هدنا لسألهم من جديد سؤالاً مباشراً يقيموا مدى الفائدة التي جلبوها في المجال الأكاديمي والمهني كما جاء في السؤال أعلاه. وقد حكمت إجاباتهم هنا ما كان قد ذهب إليه هؤلاء الشباب من تأكيد على عدم تراجعهم في التحصيل المعرفي والمهني بسبب استعمالهم للإنترنت كما كنا قد أوضحنا في الجدول السابق (انظر الجدول 36).

إد أجاب ما نسبته (68.6%) منهم بأنهم استفادوا كثيراً من الإنترنت في عملهم ودرستهم. وهذه النسبة العالية تتوافق مع النسبة العالية السابقة أيضاً. وهذا يعني أن الفائدة التي حصل عليها الشباب من الإنترنت في رحلة تحصيلهم العلمي والمهني في هذا الجدول تؤكد ما ذهب إليه الشباب من تأكيد لهذه الفائدة في السؤال السابق.

زاد تحصيلي المدرسي/الجامعي وتحسن أدائي لتعلمي بسبب المعرفة التي جنتها واكتسبتها من الإنترنت بهذا الشكل										
الجنس	موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق لهذا		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	78	16.6	100	21.2	43	9.1	37	7.9	258	54.8
الإناث	52	11	93	19.7	38	8.1	30	6.4	213	45.2
المجموع الكلي	130	27.7	193	40.9	81	17.2	67	14.3	471	100

متغيرات الاجتماعية والأمرية:

يبين من الجدول أعلاه أن كلا الجنسين من الشباب استفاد من الإنترنت في تحضير أبحاثهم ولوجباتهم المدرسية والجامعية مما انعكس إيجابياً على تحصيلهم في هذا المجال؛ إذ أجابت ما نسبته (30.7%) من الإناث، وأجاب ما نسبته (37.8%) من الذكور بأن تحصيلهم المدرسي والجامعي قد زاد بسبب استثمارهم للمعرفة العلمية التي حصلوا عليها من الإنترنت؛ وراد أدلهم لولجبتهم وقابليتهم بأعمالهم بسبب هذه المعرفة أيضاً.

وبالعودة إلى الجدول المعنية بتحديد تأثيرات المتغيرات الاجتماعية فقد تبين أن الشباب الجامعي والشباب في المستوى التعليمي الثانوي، هما الأكثر فائدة من بين بقية الشباب في هذا المجال. فقد استفاد ما نسبته (38.1%) من الشباب الجامعي، واستفاد ما نسبته أيضاً (21.1%) من الشباب في مرحلة التعليم الثانوي من الإنترنت في أدائهم لتعلمهم وتحصيلهم المدرسي والجامعي.

ولما المتغيرات الاجتماعية والأسرية الأخرى فلم تختلف في تأثيراتها عن تأثير للمتغيرات في السؤال السابق من حيث انعكاساتها على التحصيل المعرفي والأداء المهني لهؤلاء الشباب. فضلاً لم يتراجع تحصيل الشباب الجامعي والمدرسي، ولا أداء العاملين منهم ممن تربطهم علاقة قوية مع أسرهم وممن تعاملهم أسرهم معاملة قوامها الديمقراطية والاحترام المتبادل، بل زاد.

الإنترنت وتنمية المواهب والهوايات

السؤال: ساعدني الإنترنت على تنمية مواهبي وتطوير هواياتي وصل
تجربتي في مجالات كثيرة:

ومن الأكلز الأخرى التي لجها الإنترنت في حياة الشباب، والتي ليس من
الفهل إفعال فائنتها بسبب ارتفاع نسبة المستخدمين منها هو دوره في تنمية
مواهبهم، وصل تجاربهم وتطوير هوايتهم في المجالات الأدبية والفنية والرياضية.

ويشير الجدول بهذا الخصوص إلى وجود ما نسبته (69.2%) من هؤلاء
الشباب كانوا قد لجأوا إلى هذه الوسيلة الاتصالية لتنمية مواهبهم وتطوير تجاربهم
وهواياتهم. (انظر الجدول رقم 37)؛ إذ لم ما يتفحه الإنترنت لهم في هذه المجالات
قد لا تتفحه لهم مؤسسات أخرى. ومن هذا المنطلق لعب الإنترنت دوراً واضحاً في
بناء شخصيات الشباب بتاحة كل جديد وحديث وعصري لهم.

ساعدني الإنترنت على تنمية مواهبي وتطوير هواياتي وصل تجربتي في مجالات متعددة										
درجة الموافقة الجنس		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق لهذا		المجموع الكلي
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	
الذكور		82	17.4	111	23.6	43	9.1	22	4.7	258
الإناث		56	11.9	77	16.3	42	8.9	38	8.1	213
المجموع الكلي		138	29.3	188	39.9	85	18.0	60	12.8	471
										100

ولما فيما يتعلق بالمتغيرات الاجتماعية والأسرية، فقد تبين أن هذه الفرصة
كلت مفتوحة أمام الجنسين على قدم المساواة؛ فقد استفاد (41%) من الشباب
الذكور، واستفادت ما نسبته (28.2%) من الإناث في بناء شخصياتهم أدبياً وفنياً
ورباصياً وثقافياً.

وبالإضافة إلى هذا، فقد كانت هذه الفئة عامة لدى الشباب جميعهم في مختلف أعمارهم ومستوياتهم التعليمية والاجتماعية، وبخاصة العرب منهم، حيث كانت نسبهم (40.9%). ولما من كانت خلفيتهم التعليمية جامعية فقد كانت نسبهم (37.6%)، ولما من تروحت أعمارهم ما بين (20-23). فقد كانت نسبة من استفاد منهم من الانترنت (21.8%). والفائدة نفسها نجدها أيضاً لدى الشباب الذين تربطهم بأهلهم علاقة مقربة وقرابة إذ ساعدت هذه الأسر أبناءها من الشباب على تطوير هواياتهم وحصل تجاربهم في ميادين مختلفة.

الإنترنت والانخراط في النشاطات المجتمعية

السؤال: مكثني الإنترنت من المساهمة في بعض الأعمال الخيرية التي ظالما
لمنيت القيام بها مما أشعروني بقمصيتي:

ومن الأنوار الإيجابية التي لعبها الإنترنت في حياة هؤلاء الشباب هو تمكنه
إياهم من تقديم العون للآخرين، ومساعدته إياهم في المساهمة في بعض الأعمال
الخيرية، كال تبرعات المحتاجين سواء في مجتمعهم المحلي أو المجتمع العربي على
حد سواء. فقد أجاب (57.7%) منهم بل الإنترنت أشعروهم بإيمانيتهم حين
استعملوه في هذا النوع من الأعمال الخيرية (انظر الجدول 38). ومن هذا المنطلق
حلّ الاتصال عبر الإنترنت محل الاتصال الشخصي المباشر. وهذه ميزة من مزايا
الإنترنت التي يجب التأكيد عليها من أجل استثمارها في الأعمال الخيرية المتنوعة
سواء على المستوى المحلي أو العربي أو الدولي.

للكثير منهم كان يتمنى أن تتاح لهم فرصة المساهمة بالأعمال الخيرية،
كال تبرعات على سبيل المثال، ولكن عقبات كثيرة كانت تحول بينهم وبين ذلك.
لهذا، وجدت هذه النسبة من الشباب في الإنترنت فرصتها المواتية والملائمة للقيام
بهذه الأعمال. وتتوافق هذه النتيجة مع نتيجة كرلوت ورملاؤه، فقد وجدوا في
دراستهم الرائدة في هذا المجال، أن بمقدور الانترنت توسيع الدوائر الاجتماعية
والتفاعلية للأفراد، وذلك بمساعدته إياهم في الانخراط بشئ النشاطات الاجتماعية
(Social involvement)، كالأعمال الخيرية على سبيل المثال. (Kraut, et al, 1998).
ولكن هذا لا يعني، أنه لم يساهم في تراجع نشاطات بعض الشباب في الانخراط
بالحياة اليومية والنشاطات الاجتماعية، وبخاصة أولئك الذين تربطهم علاقات
ضعيفة مع أسرهم.

مكتفي الإنترنت من المساهمة ببعض الأصناف الخيرية في مجتمعي القطري والمجتمع العربي الذي طالما تمتعت الفولم بها في مجتمعي مما اشعروني بالمستقبلي										
درجة الموافقة للمجتمع	موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق لبدأ		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	76	16.1	103	21.9	63	13.4	16	3.4	258	54.8
الإناث	35	7.4	55	12.3	88	18.7	32	6.8	213	45.2
المجموع الكلي	111	23.5	161	34.2	151	32.1	47	10.2	471	100

وقد مكّن الإنترنت الشباب من كلا الجنسين من المساهمة في تقديم العون للأخريين، حيث استطاع ما نسبته (38%) من الشباب الذكور، واستطاعت ما نسبته (19.7%) من الإناث استخدامه في تدعيم لواصل المحبة بينهم وبين أفراد المجتمع العربي عن طريق تقديم هبفت والمعونات الفنية والدافئة والكسائية والطبية لمن يحتاجها من هؤلاء الأفراد حين كانت بلادهم تتعرض لبعض المحن أو الكوارث أو المشكلات البيئية.

وقد برزت فائدة أخرى للإنترنت، في الواقع، في هذا المجال وهي فتحه لفرصة أمام الشباب من كلا الجنسين وبمختلف مستوياتهم التعليمية ولوضائعهم الاجتماعية وفئاتهم العمرية من الانضمام إلى جمعيات خيرية واجتماعية، وهرق ونواد رياضية على المستويين المحلي والعربي، وكان هذا واصحاً في (جانبهم على السؤال المتعلق بمعرفة دور الإنترنت في هذا المجال. ولما السؤال المتعلق بمعرفة ذلك البعد الاجتماعي في حياتهم فهو.

السؤال: سهل على الإنترنت الانضمام إلى بعض الفرق والنوادي والجمعيات المحلية والعربية:

سهل على الإنترنت الانضمام إلى بعض الفرق والنوادي والجمعيات المحلية والعربية											
الجنس		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
		%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت
الذكور		16.8	79	22.7	107	10.4	49	4.9	23	54.8	258
الإناث		7.6	36	16.3	77	13.8	65	7.4	35	45.2	213
المجموع الكلي		24.4	115	39	184	24.2	114	12.3	38	100	471

وفي هذا الصدد تمكن ما نسبته (4 63%) من هؤلاء الشباب من اللجوء إلى الإنترنت لاستخدامه كوسيلة اتصال مع النوادي والجمعيات المختلفة بما من أجل انضمامهم إليها كأعضاء جدد، وإما من أجل المشاركة في نشاطاتها، كما أوضح معنا في إجاباتهم على السؤال السابق (انظر الجدول رقم 39). وتتسم هذه النتيجة مع ما ذهبت إليه دراسة كراوت ورمالته المشار إليها أنفاً حيث وجدت تلك الدراسة أن الإنترنت قد عمل على تعميق الجلب الاجتماعي من حياة أفراد العينة التي درسوها في المجتمع الأمريكي وذلك بتشجيعه إياهم الانضمام إلى جمعيات محلية وعالمية (Kraut, et al, 1998).

المتغيرات الاجتماعية والأنسوية:

وهذه الفائدة للإنترنت استغلت منها الإناث بالفكر الذي استغله الذكور، أي أن كليهما استخدمه لل غاية نفسها وهي الالتحاق أو الانضمام إلى عضوية بعض الجمعيات والنوادي المنتشرة في مجتمعهم المحلي أو المجتمع العربي على حد سواء؛ حيث أجابت (23.9%) من الإناث، وأجاب ما نسبته (39.5%) من الذكور بأنه نولا الإنترنت لما تمكنوا من الانضمام إلى هذه الجمعيات والهيئات الخيرية والنوادي الرياضية.

ولم يكن الانضمام إلى هذه المجموعات، كما أشرنا، مقصوراً على فئة عمرية أو مستوى تعليمي واجتماعي من الشباب دون غيرها، بل كان عاماً بينهم. فقد استفادت منه الأعمار والمستويات التعليمية والاجتماعية جميعها بنسب متفاوتة؛ حيث كان العزب ودور المستوى التعليمي الجامعي هم الأكثر انتفاعاً من غيرهم من الإنترنت، كما كانت الفئة العمرية الشبابية المحصورة صرماً ما بين (20-23) هي الأكثر استفادة من غيرها في هذا المجال أيضاً.

ولما فيما يتعلق بمتغيرات العلاقة الأسرية، فقد تبين أن الشباب الذين تربطهم علاقات متينة من الاحترام مع أسرهم وعقائهم، كانت مساهماتهم في الأعمال الخيرية والانضمام إلى النوادي أكثر من غيرهم من الشباب الذين يفتقرون إلى هذا النوع من العلاقات الأسرية.

وقد برزت إيجابيات الإنترنت كوسيلة اتصال في إجابات الشباب على سؤال آخر ذي علاقة بالسؤال السابق، وهو:

السؤال: وجدت في الإنترنت وسيلة مناسبة للتعبير عن آرائي واتجاهاتي الفكرية والعقدية والسياسية التي لا تستطيع التعبير عنها صراحة في المجتمع:

كان الدافع الرئيسي لسؤال الشباب هذا السؤال هو محاولة التعرف على مدى استثمارهم واستغلالهم للإنترنت كوسيلة من وسائل التعبير عن آرائهم التي قد لا يستطيعون المجاهرة بها في مناسبات اجتماعية أو سياسية. لذا، فهم يلجأون إليها للتعبير عن وجهات نظرهم في تلك القضايا وفي هذا الصدد أجاب (8 65%) منهم بأنهم يجدون في الإنترنت وسيلة ملائمة لتوصيل أفكارهم التي لا يستطيعون توصيلها بشكل مباشر أو شخصي. (انظر الجدول رقم 40). ولهذا البعد، بالطبع، دلالاته السياسية الواضحة.

ولما فيما يتعلق بمتغير الجنس هنا، فقد أجاب ما نسبته (39.5%) من الذكور، وأجابت ما نسبته (26.3%) من الإناث بأنهم يرون في الإنترنت فرصة مناسبة للتعبير عن آرائهم، لأنه يتخذ طابعاً توصيلها بطرق أخرى. وتؤكد هذه النسبة

المرتفعة من إجابات الشباب مدى أهمية هذه القناة الاتصالية في التعبير عن الآراء والاتجاهات في المجتمعات التي يتحرر فيها التعبير بشكل صريح أو كى أنظمتها السياسية تحد من ذلك.

وجدت في الإنترنت وسيلة مناسبة للتعبير عن آرائى واتجاهاتى الفكرية والعقلانية والسياسية التي لا أستطيع التعبير عنها مرارحة في المجتمع										
درجة الموافقة الجنس		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلى
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت
الذكور		91	19.3	95	20.2	50	10.6	22	4.7	258
الإناث		43	9.1	81	17.2	54	11.5	34	7.2	213
المجموع الكلى		134	28.4	176	37.4	104	22.1	56	11.9	471

الإنترنت والانفتاح الثقافي

المسؤل: أتاح لي الإنترنت فرصة الاطلاع على عادات وتقاليد وثقافات مجتمعات كثيرة وشعوب مختلفة:

وبالعودة إلى تحليل إجابات الشباب على الأسئلة المعنية بمعرفة المجالات التي استفاد منها للشباب من الإنترنت كما جاءت في الجدول المسحية بذلك، نجد أن هناك دور آخر لعبه الإنترنت في حياة الشباب الفكرية والمعرفية، وهو تمكينه إياهم من الاطلاع على ثقافات شعوب كثيرة، وعادات مجتمعات مختلفة. وهذا نجد الإنترنت يشترك مع بقية وسائل الاتصال الجماهيرية في لعب الدور التثقيفي - المعرفي في حياة الشباب، ويُعتبر هذا الدور للإنترنت من أهم الأدوار التي يجب العمل على استثمار الشباب لها والاستفادة منها، وذلك بتشجيعهم على استغلاله من أجل الاستفادة من المعلومات والمعارف والمهارات التي يمكن أن يقدمها لهم في هذا المجال الثقافي.

وفي الحقيقة، فإن هناك ميلاً واضحاً لدى الشباب بهذا الاتجاه إذ يمكن الإنترنت ما نسبته (79.6%) منهم من نخبة معرفتهم الاجتماعية وإثراء الجانب الثقافي في حياتهم، بما أتاحه لهم من مطومات ومعارف عن حياة الشعوب وعاداتها وأنماط حياتها المختلفة، (انظر الجدول 41)، ومع ذلك، فإن هذا الإنفتاح الثقافي لم يكن بلا ثمن، كما سترى في الفصل القادم.

وأما فيما يتعلق بتأثير الجنس هؤلاء الشباب، فقد استفادت (34.2%) من الإناث من هذه المزية للإنترنت، واستفاد الفائدة نفسها ما نسبته (45.4%) من الذكور. ونحل في ارتفاع هائل النسبتين من الجنسين ما يؤكد الدور الذي يمكن أن يقوم به الإنترنت في الانفتاح الثقافي، بصرف النظر عن الحدود الجغرافية والمعرفية والطبقية والسياسية بين مستخدمييه من الشباب.

وينظر، في الحقيقة، العديد من علماء الاتصال والاجتماع، وبخاصة ديماجيو وزملاؤه، السابق ذكرهم في الإطار النظري لهذه الدراسة، إلى الدور الفاعل الذي يضطلع به الإنترنت في مجال التواصل الثقافي والمعرفي. إذ يعمل أكثر من أي وسيلة اتصال أخرى على نشر الإنتاج الفكري والثقافي والمعرفي بين مستخدمييه

بطريقة متساوية بصرف النظر عن إختلاف العنات العرقية لمستخدميه، وممّنوياتهم للتعليمية، وخلفياتهم الاثنية (Ethnic) أو العرقية، وبصرف النظر كذلك عن ألوانهم أو جسيبتهم، شريطة أن تتوفر لدى هؤلاء المشتركين القدرة المادية على اقتناء الكمبيوتر وتلقيحون كوسقط يتم الاتصال عبر الإنترنت من خلالها. (Dimaggio, etal, 2001).

ولما وما يتخلق بالمتغيرات الاجتماعية والأسرية فلم تفصح إجابات الشباب عن خلافاً جوهرية بينها وبين تأثير المتغيرات في الجدول السابقة، لذا لم نقم برصدها هنا.

أتاح لي الإنترنت الفرصة للاطلاع على عادات وتقاليد وثقافات شعوب كثيرة ومختلفة										
درجة الموافقة		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي
النسبة	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	109	23.1	105	22.3	32	6.8	12	2.5	258	54.8
الإناث	58	12.3	103	21.9	36	7.6	16	3.4	213	45.2
المجموع الكلي	167	35.4	208	44.2	68	14.4	55	5.9	471	100

السؤال: أتاح لي الإنترنت فرصة التعرف على شباب وشابات من خلفيات ثقافية واجتماعية وسياسية مختلفة من مجتمعي والمجتمع العربي مما أغنى تجربتي الفكرية والسياسية والثقافية:

لم يعمل الإنترنت كوسيلة اتصال حديثة على مجرد اختراق الحدود الجغرافية بين الشباب العربي فحسب؛ بل اخترق الحواجز الثقافية والسياسية والاجتماعية بينهم أيضاً، ومن هذا المنطلق يمكن اعتباره وسيلة تفاعل اجتماعي وثقافي "ص بحد" بين الشباب العربي تيمّز له فرص اللقاء الفكري، إذا ما عزّ اللقاء الواجهي المباشر. وهذا الدور، في الواقع، من الأدوار الأخرى المهمة التي يمكن أن يصططلع بها الإنترنت في حياة الشباب في المجتمع العربي في سبيل تقريبهم مع بعضهم البعض، وتعميق وعيهم القومي.

إن هذا الدور التفاعلي للإنترنت أقرب ما يكون إلى الدور الذي أشار إليه دانييل أربور في بداية الخمسينيات حين قدم نظريته عن الدور الذي يمكن أن تلعبه

وسائل الإعلام في تحديث المجتمعات. حيث يعتقد ليريز، أن هذه الوسائل تستطيع أن توجد حالة من التعاطف أو التقمص العاطفي (Empathy) بين الأفراد⁽¹⁾ وهو كذلك الدور الذي يطالب به ديمليور ورملاؤه الباحثين في مجال سوسولوجيا الاتصال بإجراء المزيد من الدراسات الإمبريقية عليه لاستجلاء طبيعته وفهم آلياته وإمكانية استثماره في نشر المساواة الاجتماعية بين البشر. (المراجع السابق)

المتغيرات الاجتماعية والأسرية:

وإذا ما عدنا إلى الجدول الذي يوضح مدى استفادة الشباب من الفرصة التي أتاحتها لهم الإنترنت في مجال تعرفهم على بعضهم، وتكوين صداقات اجتماعية بينهم تختلف الحدود الجغرافية والثقافية، لرأينا أن أكثرية من مستخدمة منهم في حياته اليومية لم يستفي من هذه الوظيفة من حيثها؛ إذ أجاب (64.5%) منهم أن الإنترنت قد ساعدتهم في التعرف على شباب من مختلف الفئات الاجتماعية والسياسية والثقافية، مما حصل على قراء تجاربهم الفكرية والثقافية والسياسية، (انظر للجدول رقم 42).

وقد استفاد من هذه الوظيفة كلا الجنسين من الشباب، فقد استفادت الإناث منها مثلاً استفاد الشباب؛ إذ أجاب ما نسبته (39.5%) من الذكور، وأجابت (25%) من الإناث بأن الإنترنت أتاح لهم فرصاً ثقافية وسياسية واجتماعية فيما بينهم جعلتهم يشعرون بالقرب للنفس والمألوف والسياسي مع من تواصلوا معهم في بقية أنحاء المجتمع العربي.

وفي العود إلى الجدول المحلية بتحديد أعمال هؤلاء الشباب، فقد تبين أنهم جميعهم كانوا قد استفادوا من هذه المزية، ولكنها عدد من هو منهم في سن (20-23) كانت أعلى من غيرها؛ حيث بلغت نسبتها عندهم (19.8%)، وكذلك فيما يتعلق بمستوياتهم التعليمية وحالاتهم الاجتماعية؛ فالمراب والمتزوجون، ومن هم في مرحلة التعليم الثانوي والجامعي كانوا أيضاً أكثر افتتاحاً من غيرهم على الشباب في المجتمع العربي، وتكوين صداقات جديدة معهم؛ إذ بلغت نسبة المراب

(1) انظر هذا الدور لوسائل الإعلام كما يراه ديفيد ليريز في.

Lerner, D. (1964). The Passing of Traditional Society. Modernization in the Middle East. New York: the free press of Glencoe.

هذا (38.7%) وبلغت نسبة المتزوجين (17.8%)، في حين كانت نسبة الشباب الجامعي (31.1%)، والشباب ممن هو في المستوى التعليمي الثانوي (23.2%).

ساعاتني فتاح لي الإنترنت فرصة التعرف على شباب وشابات من خلفيات ثقافية واجتماعية وسياسية مختلفة من مجتمعي والمجتمع العربي مما أغنى تجربتي الثقافية والسياسية والمعرفية										
الجنس		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت
الذكور		92	19.5	94	20.0	40	8.5	32	6.8	258
الإناث		41	8.7	77	16.3	46	9.8	49	10.4	213
المجموع الكلي		133	28.2	171	36.3	86	18.3	81	17.2	471

ولما فيما يتعلق بمنحصر العائلة الأسرية وانعكاساتها على الشباب في تكوين علاقات مع كافة الشرائح الثقافية والاجتماعية والسياسية في المجتمع العربي، لقد أصبح أن الشباب ممن يتمتعون بعلاقات قوية مع أسرهم، ومن نشأ منهم في جو تعاملهم أسرهم معاملة ديمقراطية واحترام لأرائهم، كانوا أكثر انفتاحاً على الشاب العربي من خلال هذه الوسيلة الاتصالية؛ إذ أجاب ما نسبته (43.3%) ممن تربطهم علاقات احترام وتقدير قوية مع أسرهم أنهم استثمروا الإنترنت، واستفادوا منه في توسيع شبكة علاقاتهم الثقافية والاجتماعية، وأجاب كذلك ما نسبته (19.9%) ممن تعاملهم أسرهم معاملة ديمقراطية الإجابة نفسها.

السؤال: ساعدني الإنترنت على المشاركة في الكثير من النشاطات الفكرية والاجتماعية والسياسية محلياً وعربياً مما لا أستطيع المشاركة فيها بشكل شخصي:

لم تقتصر تأثيرات الإنترنت الإيجابية باعتباره وسيلة اتصال إلكترونية حديثة، على مجرد اختراق الحدود الجغرافية للوطن العربي لتكوين صداقات جديدة، بل تعدت ذلك لتتطال جوانب جديدة من حياتهم الفكرية والاجتماعية والسياسية؛ فقد مكنتهم هذه الوسيلة من المشاركة والمساهمة في العديد من النشاطات الفكرية

والاجتماعية والسياسية، سواء في مجتمعهم المحلي أو في المجتمع العربي بشكل عام، والتي لا يستطيعون المشاركة فيها بشكل شخصي ومباشر. وهذا يتصح دور الإنترنت، مرة أخرى، في توليه دور الاتصال الشخصي نفسه إذا ما تدر هذا الأخير لسبب أو لآخر. وفي هذا الصدد يذهب العديد من علماء الاجتماع إلى اعتبار الاتصال عبر الإنترنت، وبخاصة النراسل من خلاله، بمثابة امتداد للاتصال الشخصي وتوسيع للمدى الذي يمكن أن يصل إليه هذا النوع من الاتصال (Bellamy, A, and Hanewicz, 2001, Anderson, R,1995).

المتغيرات الاجتماعية والأنسرية

وتؤكد إجابات الشباب هنا تلك الفاتدة. فحين سألناهم فيما إذا كانوا قد استفادوا من هذه الخدمة التي يقدمها لهم الإنترنت أجاب (67.0%) منهم بالإيجاب. وهي نسبة تقارب النسبة السابقة ممن استخدموه في تكوين معارف عبر - حاسوبية وعبر - ثقافية. انظر الجدول (رقم 43).

مساعدتي الإنترنت على المشاركة في الكثير من النشاطات الفكرية والاجتماعية وسياسية محلية وغيرها مما لا أستطيع المشاركة فيها بشكل شخصي										
الدرجة الموقعة الجنس		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي
		ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	
الذكور		77	16.3	107	22.7	56	11.9	18	3.8	258
الإناث		41	8.7	91	19.3	48	10.2	33	7.0	213
المجموع الكلي		118	25.0	198	42.0	104	22.1	51	10.8	471

وأما فيما يتعلق بمتغير جنس هؤلاء الشباب، فقد أشار الجدول المخصص لذلك، إلى استفادة كلا الجنسين من ذلك؛ حيث بلغت نسبة الإناث ممن لجأن إلى الإنترنت لمشارك في نشاطات فكرية وسياسية واجتماعية محلية وعربية (الاتجاه المعاكس، للنساء فقط الرأي الآخر، مسيرة وانفتحت. إلخ) (28%)، مقابل ما نسبته (39%) لزملائهم من الذكور. أي أن هناك (132) فتاة شاركن في هذه

النشاطات المختلفة. وفي مجتمع محافظ كالمجتمع القطري، فإن هذه النسبة ذات دلالة، برأي الباحث، فهي إشارة إلى قدرة المرأة القطرية في المساهمة في النشاطات العديدة محلياً وعربياً إذا ما وجدت الوسيلة المناسبة والصحيحة لتوصيل صوتها ورأيها إلى أكبر عدد ممكن من الجماهير العربية. وقد بينت الجدول أن الفتيات ممن يعشن في جو أسري يسوده قود والاحترام، كن أكثر مشاركة من غيرهن في هذه النشاطات والمناسبات الاجتماعية، مما يعكس دور الأسرة في تفتح شخصية بناتها وصقل تجاربهن وتعبئها، وفتحهن على العالم الآخر.

الخلاصة

اتسعت مجالات استخدام الشباب للإنترنت وامتدت لتشمل جوانب أخرى غير الجوانب النفسية السلبية التي كنا قد أومضناها في الفصل السابق؛ إذ استطاعت هذه الوسيلة الاتصالية أن تقوم بدور حيوي في استثمار الشباب لأوقات فراغهم، وتعميق معرفتهم الدينية، وصقل مواهبهم وتنميتها، وزيادة تحصيلهم المعرفي وأدائهم المهني؛ كما لعبت دوراً جوهرياً في مساعدتهم على المساهمة بالأعمال الخيرية، والاندماج إلى بعض الجمعيات الاجتماعية والنوادي الرياضية والثقافية، بالإضافة إلى دوره الفاعل في افتتاح الشباب على ثقافات الشعوب والمجتمعات المختلفة.

ومن الأدوار الإيجابية الأخرى التي قام بها الإنترنت هي مساعدته الشباب في التعبير عن وجهات نظرهم السياسية والاجتماعية والدينية التي قد لا يستطيعون التعبير عنها جهرًا وبشكل صريح في مجتمعهم؛ إضافة إلى تمكنه إياهم من المشاركة في النشاطات الفكرية والاجتماعية التي تنور في مجتمعهم المعلى والمجتمع العربي الأكبر.

الفصل السابع

الإنترنت. التأثيرات السلبية

مقدمة

الإدمان والعزلة النفسية والاجتماعية

العلاقات العاطفية الإلكترونية

الإغتراب والعولمة الثقافية/ الإعلامية

خلاصة

الإنترنت: التأثيرات السلبية

مقدمة

على الرغم من التأثيرات الإيجابية التي تركها الإنترنت على الشباب، والأولاد، والفاضة التي لعبها في حياتهم النفسية والاجتماعية والفكرية والمعرفية والثقافية التي حددناها في الفصلين السابقين، إلا أنه تركه فيهم بعض التأثيرات السلبية التي يجب الوقوف عندها للمستجلى لتمكسقاتها على واقعهم الاجتماعي والثقافي.

ومن أجل معرفة هذه التأثيرات، تمنا بوضع عدد من الأسئلة، التي حاولنا من خلالها تحديد أبرز المجالات التي من المتوقع أن يكون الإنترنت قد مسها بشيء من التغيير. وعليه، فإن أهداف هذا الفصل تكمن في معرفة الأبعاد الثقافية للتأثيرات للإنترنت:

- 1- هل انضى استخدام الشباب للإنترنت إلى إيمانهم عليه بحيث عزلهم نفسياً واجتماعياً عن أسرهم ومحيطهم الاجتماعي؟
- 2- هل أثرت عوالمف الشباب الإلكترونية نحو من تعرفوا إليهم عبر الإنترنت على علاقاتهم الأسرية والزوجية؟
- 3- هل تأثر الشباب بأمط معيشة المجتمعات التي يشاهدونها في الإنترنت؟ وهل يرون فيها أمطاً جذيرة بالثقافة والقيم معها؟ بمعنى آخر، إلى أي حد يشعر الشباب بالاضراب عن مجتمعهم نتيجة للتباين التقالي والاجتماعي بين مجتمعهم والمجتمعات الأخرى التي يشاهدونها في الإنترنت؟
- 4- كيف يقيم الشباب الدلالات الثقافية والإيديولوجية لما يعرضه عليهم الإنترنت من أمط معيشية مختلفة عن أمط معيشتهم؟ هل يرون فيها خرواً ثقافياً لمجتمعهم العربي المسلم؟ أم هي مجرد مصالين خفية من هذه الدلالات يرأهم؟

الإيمان والعزلة النفسية والاجتماعية

مقدمة

يلاحظ المراجع للأدبيات المتعلقة بموضوع الإيمان على الإنترنت، سواء في المجتمعات العربية أم الغربية، أن الباحثين الاجتماعيين لم يتوصلوا بشكل جازم إلى نتائج قطعية حول مدى ارتباطه بالعزلة النفسية والاجتماعية التي يشعر بها الشباب في المجتمعات المعاصرة، وإن كانت الإكثارية من هذه الأدبيات تميل إلى ترجيح قوة هذا الارتباط.

فهناك، على سبيل المثال، فريق من الباحثين يرى أن الاستخدام المكثف والمفرط لشبكة الإنترنت يسبب لهماذاً لدى مستخدميه، تقتضيه أعراضه ونتائجه الصلابة مع أعراض ونتائج أي إيمان آخر، كتعطى الخمر أو المخدرات أو المشروبات الروحية. وقد أطلق الباحثون على هذا النوع من الإيمان مصطلحاً خاصاً أسموه "إيمان الإنترنت" (Internet Addiction) ولما أعراض هذا النوع من الإيمان فهي، برأيهم، كثيرة أهمها الانسحاب من مواقع الاجتماعي (العزلة)، والقلق، والتوتر النفسي، والمعاناة النفسية والجسدية عند انقطاع الاتصال بالشبكة، والتبرم من الأهل إذا ما حاولوا منعهم من هذا الاتصال (Goldberg, I, 1996, King, A. 1996, Sleek, S, 1998, Young, K. 1998, Kraut, R, et al. 1998).

ويستند هؤلاء الباحثون في تدعيم وجهات نظرهم إلى دراسات ميدانية من جهة، وإلى تزايد أعداد الشباب الذين يترددون على العيادات النفسية والتأهيل للتخلص من هذه الأعراض من جهة أخرى.

وهناك فئة أخرى توصف من الباحثين لها وجهة نظر مختلفة تماماً عن وجهة النظر السابقة فهي وإن كانت تقر بأن الإنترنت يباعد بين مستخدميه وبين عالمهم الحقيقي، إلا أنه في الوقت نفسه يتمتع بقدرة عالية على توفير عالم جديد لهم، أطلقوا عليه مصطلح العالم الافتراضي - المتحول (Virtual - Reality). عالم يعيشون فيه بدلاً من عالمهم الحقيقي - الفعلي، ويلبي لهم رغباتهم، ويشبع لهم حاجاتهم ويجيبهم عن تساؤلاتهم، ويربطهم بمعارف وصدقات جديدة تخفيهم عن صداقاتهم الفعلية، عالم بعيد عن ضغوطات الأسرة والمجتمع وتحكمها بهم، عالم

"آخر" غني كل الغنى، ومختلف كل الاختلاف عن العالم الفعلي الذي يعج بالضغوطات النفسية والاجتماعية والاخلاقية والسياسية. (Turkel, S, 1996,) (Rheingold, H, 1993). فهذه إيجليات و مزايا للإنترنت، كما يقولون، وليست سلبيات، كما يرى الفريق الأول.

ولا تنوي للدراسة الولوج في هذا الجدل قبل أن يتبين لها اتجاهات الشباب أنفسهم في هذه المسألة. لذا قمنا، كما قلنا، بوضع أسئلة تقى مدى ما يعانيه الشباب من إيمان على الإنترنت. وقد استعنا في ذلك بالمقاييس التي استخدمها الباحثون الاجتماعيون والنفسيون في قياس الإيمان، وبخاصة مقياس بلامى وهانوفيز (2001) ويونج (Young, K, 1998) وكذلك برنر (Brenner, V, 1996)؛ حيث اعتمدوا في ذلك على مقدار الوقت الذي يقضيه المستخدم في استعمال الإنترنت، إضافة إلى مقياس كراوت وزملائه الذين اعتمدوا فيه على قياس مدى انتشار أعراض الإيمان بشكل عام بين مستخدمي الإنترنت كالعزلة والقلق والتوتر والتبرم من الأهالي إذا ما حالوا دون استخدام الإنترنت.

فهل يعاني الشباب القطري من مظاهر الإيمان على الإنترنت؟ وهل الفضى هذا الإيمان إلى عزلتهم النفسية والاجتماعية عن أسرهم وعائلاتهم؟ سنقوم الآن بتحليل إجاباتهم على ذلك.

تحليل النتائج

السؤال: تشعر بالضيق والتوتر والعصبية عندما تنقطع عن استعمال الإنترنت ولو لفترة قصيرة.

شكا عدد محدود من الشباب الذين أجابوا عن هذا السؤال من بعض أعراض الإدمان على الإنترنت التي يشكونها عادة مستخدمي الإنترنت كالقلق والتوتر والضيق؛ إذ أجاب منهم ما نسبته (30.7%) بأنهم يشكون من هذه الأعراض، ولكن الغالبية العظمى منهم وهي (69.2%) فلم تشك منها حين انقطعت عن استعمالها للإنترنت.

وربما يعود عدم إنتشار أعراض الإدمان على الإنترنت بنسبة عالية بين الشباب إلى تدني عدد ساعات استعمالهم للإنترنت، فهم ليسوا مستخدمين مفرطين (Not Heavy Users)، وليسوا ذوو خبرة طويلة في ذلك؛ إذ اتضح من الجدولين (11 و12) من الفصل الثالث المعنيين بتحديد عدد ساعات استخدام الشباب للإنترنت وعدد سلوكيات خبرتهم في ذلك، بأن أعلى نسبة ممن يستخدم الإنترنت منهم كانت (38.6%)، وهذه النسبة لا تستخدمه أكثر من أربع ساعات يومياً، وتبين كذلك أن أعلى نسبة منهم، وهي (34.9%) لا تزيد خبرتها في استعمال الإنترنت عن (4) سلوكيات.

ويرجع السبب الآخر في عدم انتشار أعراض الإدمان على الإنترنت بين الشباب بنسبة مرتفعة إلى تلك القوة التي تتصف بها العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة؛ إذ حالت هذه العلاقات، إلى حد كبير، دون وقوع أبنائها من الشباب في الإدمان على الإنترنت، وتدعم إجابات الشباب على السؤال المتعلق بوصف علاقاتهم بأسرهم من حيث القوة والاحترام والتقدير هذا التفسير. فقد تبين أن الشباب الذين ربطتهم بأسرهم علاقات قوية ومتينة قامت على الاحترام المتبادل لا يعانون من الضيق والتوتر، إذا ما انقطعوا عن استخدامهم للإنترنت؛ إذ كانت نسبتهم (53.9%).

وهذا ما أكدته كل من دراستي كرلوت وزملاءه السابقة الذكر، وبرنر، حيث توصلوا إلى وجود علاقة قوية بين الإدمان على الإنترنت وضعف العلاقات

الأسرية من جهة، وبين كثرة عدد ساعات الاستعمال وبين الإيمان أيضاً من جهة أخرى. (Kraut, R, et al, 1998, Brenner, V. 1996).

وبالإضافة إلى هاتين الدراستين، فإن هذه النتيجة تتوافق كذلك مع نتائج دراسة أخرى قام بها بيلامي وهانوفتزر. حيث توصلتا في دراستهما التي أجرياهما على (114) طالباً من طلبة البكالوريوس والدراسات العليا في المجتمع الأمريكي إلى أن العوامل الوسيطة، كالأسرة والعلاقات الشخصية، تحول دون إيمان الشباب على الإنترنت؛ فكلما زاد تقبل الأسرة لابنتها من الشباب قلت مظاهر الإيمان النفسي عندهم على الإنترنت (Bellamy, A, and Hanewicz, C. 2001).

المتغيرات الأسرية:

وأما فيما يتعلق بمتغير جنس هؤلاء الشباب، فإن عدم الإيمان على الإنترنت لم يكن مقصوراً على جنس بعينه. فكل الجنسين لم يصل به استعماله للإنترنت إلى حد العزلة النفسية والاجتماعية عن أسرته؛ إذ كانت نسبة الإناث ممن لم يشعروا بالضيق والتوتر بسبب لقطاعهن عن استخدام الإنترنت متقاربة مع نسبة الذكور، حيث كانت هذه النسبة (30.4%) عند الإناث مقابل (38.8%) عند الذكور (انظر الجدول رقم 44).

وأما نسب الإناث والذكور ممن شعر بتوتر وضيق حين انقطع عن استخدام الإنترنت، ولولفترة قصيرة، فقد كانت نسباً متقاربة من بعضها. إذ بلغت هذه النسبة عند الإناث (14.9%)، وبلغت عند الذكور (16%).

وأما أعمار هؤلاء الشباب، فلاحظ وجود تباين في النسب المئوية للفئات التي لم تشعر بالعصبية والضيق والتوتر حين انقطعت عن استخدام الإنترنت؛ حيث كانت أعلى نسبة مئوية لفئة عمرية شعرت بهذا الشعور هي (10.8%) وكانت بين الشباب الذين تقع أعمارهم ما بين (20-23) سنة. وأما نسبة الشباب الذين تقع أعمارهم ما بين (17-20) سنة فقد كانت (5.7%)، وكانت هذه النسبة متدنية أيضاً عند الشباب الذين تقع أعمارهم ما بين (26-29) سنة، حيث بلغت هذه النسبة (4.9%).

تشعر بالضيق والتوتر والعصبية عندما تنقطع عن الإنترنت ولو لفترة قصيرة												
المجموع الكلي		نم يجب		غير موافق أبداً		غير موافق		موافق		موافق جداً		درجة الموافقة
												الجنس
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
54.8	258	-	-	12.3	58	26.5	125	9.6	45	6.4	30	الذكور
45.2	213	-	-	11.3	53	19.1	90	8.5	40	6.4	30	الإناث
100	471	-	-	23.6	111	45.6	215	18.0	85	12.7	60	المجموع الكلي

السؤال: تشكومتك أسرته بسبب طول الوقت الذي تقضيه مشغولاً عنهم بالإنترنت:

لقد حاولنا من خلال هذا السؤال التعرف على عرض آخر من أعراض إدمان الشباب على الإنترنت، ألا وهو تذمر أسرهم منهم بسبب انشغالهم وابتعادهم عنها بالإنترنت. فهل أدى هذا الانشغال إلى عزلة الشباب عن أسرهم بحيث بدأت هذه الأسر بالتذمر والشكوى منهم لأنهم لم يعودوا يجلسون ويتواصلون معهم كما كان الحال قبل تعودهم على الإنترنت؟

تشير إجابات الشباب في هذا الصدد إلى وجود تذمر عدد بعض الأسر من أبنائهم، إذ بلغت نسبة الأسر المتذمرة (36.7)، حيث شعرت هذه النسبة من الأسر بأن أبنائهم لم يعودوا كما كانوا عليه قبل تعودهم على استخدام الإنترنت، يجلسون ويتحدثون معهم في الشؤون الأسرية، والقضايا العامة. ومع ذلك فإن غالبية هذه الأسر وهي (63.1%) لم تتذمر أو تشكومت أبنائهم لأنها لم تشعر بفرق كبير بين تواصلها وتفاعلها مع أبنائها قبل استعمالهم للإنترنت وبعد هذا الاستعمال. (انظر الجدول رقم 45).

المتغيرات الأسرية:

اتضح من إجابات الشباب، كما جاءت في الجدول، أنه كلما كانت علاقة الأسرة بأبنائها قوية ومبنية على الاحترام المتبادل، قل تذمرها من أبنائها بسبب

استعمالهم للإنترنت، والعكس صحيح، فكلما كانت العلاقة ضعيفة زاد تضرر هذه الأسر وشكواها. فهناك ما نسبته (47.3%) من الشباب ممن ربطتهم علاقات قوية بأسرهم، أجاب بأن أسرهم لا تشكومهم، بسبب انشغالهم عنها بالإنترنت، أي أن استعمالهم للإنترنت لم يؤثر على تواصلهم وتفاعلهم ومجريات حياتهم اليومية مع محيطهم الخارجي.

تشكومتك لأسرتك بسبب طول الوقت الذي تقضيه مشغولاً عنهما بالإنترنت											
الجنس	موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		لم يجب		المجموع الكلي
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	
الذكور	25	5.3	59	12.5	135	28.7	39	8.2	-	-	258 54.8
الإناث	27	5.7	62	13.2	68	14.4	55	11.7	1	0.2	213 45.2
المجموع الكلي	52	11	121	25.7	203	43.1	94	20	1	0.2	471 100

وأما فيما يتعلق بجنس هؤلاء الشباب فيبين الجدول أن هناك ما نسبته (36.9%) من الذكور أجابوا بأن أسرهم لا تشكومهم بسبب انشغالهم عنها بالإنترنت، وأجابت ما نسبته (26.1%) من الإناث الإجابة نفسها، وأما نسب الموافقين من كلا الجنسين على وجود تضرر من أسرهم فقد تطابقت تقريباً، حيث شكّت ما نسبته (18.9%) من أسر الإناث مقابل شكوى ما نسبته (17.8%) من أسر الذكور.

وأما أعمار هؤلاء الشباب فإن أعلى نسبة ممن لم تشك أسرهم فقد كانت فئة الشباب المحصور عمرها بين (20-23) سنة، حيث كانت النسبة هنا (16.8%)، تلتها الفئة العمرية المحصور عمر الشباب فيها بين (26-29) سنة، إذا كانت النسبة (13.4%).

السؤال: تشعر بالضيق والانعاج من زيارات الأقارب لأنها تقطع عليك
لثماكك في الإنترنت:

لقد تابعنا مسألة إيمان الشباب على الإنترنت، قمنا بتوجيه سؤال آخر إليهم بهذا الخصوص، يتعلق بتأثيرهم وشكواهم من زيارات أقاربهم لهم، لأن مثل هذه الزيارات، برأيهم، تقطع عليهم مواصلة استعمالهم للإنترنت. إن التمر والتبرم من هذه للزيارات هو مظهر آخر من مظاهر الإيمان على الإنترنت. لذا قمنا بتوجيه السؤال أعلاه لتعرف على حقيقة مشاعرهم نحو هذه الزيارات. وفي هذا للخصوص لم يكشف الجدول للمعنى بذلك عن مثل هذا الانزعاج، إلا لدى عدد قليل منهم. فهذه الزيارات، كما بدا من إجاباتهم، لا تشكل عبئاً عليهم يحول دون انهماكهم باستخدام الإنترنت. فقد أجاب ما نسبته (24.2%) فقط بأنهم لزعجوا من هذه الزيارات، ولكن النسبة الكبيرة منهم (75.8%) لا تشاطر زملاءها هذا الإحساس. (انظر الجدول رقم 46).

تأثير بالضيق والانعاج من زيارات الأقارب لك، لأنها تقطع عليك انهماكك في الإنترنت										
الجنس	درجة الموافقة		موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق لهذا	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	23	4.9	47	10.0	122	25.9	66	14.0	258	54.8
الإناث	16	3.4	28	5.9	92	19.5	77	16.3	213	45.2
المجموع الكلي	39	8.3	75	15.9	214	45.4	143	30.4	371	100

المتغيرات الأسرية:

وأما فيما يتعلق بمتغير جنس هؤلاء الشباب، فيتضح من الجدول نفسه، أن نسبة الشباب ممن أزعجتهم هذه للزيارات هي نسبة متدنية عند كلا للجنسين، مقارنة بنسبة من لم ترجعهم، وإن كانت هذه للنسبة عند للذكور أعلى من نسبتها

عند الإناث؛ حيث كانت نسبة للذكور (14.9%) ونسبة للإناث (9.3%). ولما نسبة الذكور الذين لم يشعروا بهذا الضيق، فقد كانت (39.9%)، ونسبة مثيلتها عند الإناث (35.8%). وهذا يعني أن استخدام الإنترنت لم يشكل لهم إيماناً يجعلهم يتضايقون من زيارات أقاربهم.

ما هي طبيعة علاقات هؤلاء الشباب أصلاً بأقاربهم قبل تعودهم على الإنترنت؟ وهل أثر الإنترنت على هذه العلاقة القرابية؟ لقد قمنا بوضع سؤال يحاول معرفة ذلك، تبين من خلال إجاباتهم عليه أن الذين جمعتهم علاقات قوية مع أسرهم لم يزعجوا من هذه الزيارات؛ إذ كانت نسبتهم (42.3%). وهذه النسبة المرتفعة تدل على أن هؤلاء الشباب غير مدعنين على الإنترنت. فبإمكانهم التوقف عن استعماله حين يزورهم أحد من أقاربهم، لأن العلاقة التي تربطهم بهؤلاء الأقارب أقوى من علاقاتهم بالإنترنت.

وأما من وصفوا علاقاتهم بأقاربهم من حيث التعاون والتفاعل والانسجام بأنها "ضعيفة" في الأصل، فلم يشعر بالإنزعاج منهم سوى نسبة ضئيلة جداً هي (2%). فهذه الزيارات لا تعني لديهم شيئاً لأنها في الأصل ضعيفة كما قلنا.

وهكذا يتضح من إجابات الشباب على الأسئلة السابقة، بعض أعراض الإيمان على الإنترنت لديهم، ومع ذلك فهي ليست عامة الانتشار، لغاية الآن من عمر هذه الوسيلة الاتصالية. ولكن هل ستزايد نسب هذه الأعراض مستقبلاً إذا ما كثف الشباب من استعمالهم للإنترنت، وضعفت العلاقات التفاعلية التبادلية بينهم وبين أسرهم؟ سؤال ليس بمقدورنا الإجابة عليه هنا بشكل دقيق وجازم، ولكننا ميسلون إلى الاعتقاد بذلك بناءً على المعطيات التي وجدناها في هذه الدراسة، ودراسات غيرنا من الباحثين الذين أشرنا إليهم.

العلاقات العاطفية الإلكترونية

مقدمة

يرى بعض الباحثين في مجال الاتصال الإلكتروني، وبخاصة باركس، أن الإنترنت، بوصفه أهم قنوات هذا النوع من الاتصال، عمل على إدخال تغييرات ملموسة في مجال العلاقات العاطفية بين الجنسين، لم تكن متاحة أمامهم من قبل؛ لذا يرى باركس أن الموقف الاتصالي عبر الإنترنت، يسمح بكثير من المرونة للفرد ليقيم نفسه للآخرين بأكثر من طريقة تساعد في الإقصاد عن عواطفه بشكل حر (Parks, M, 1996). إذ تبين أن الاتصال عبر الإنترنت له خصائص اتصالية تجعله ذا جاذبية اتصالية من نوع خاص تتيح للفرد فرصة تقديم نفسه للآخر (Self-presentation) بحرية شبه تامة دون قيد أو تكلف. إضافة إلى قدرته على مساعدة الأفراد على بناء علاقات وصداقات اجتماعية تتسم بالإيثار والغيرة (Altruistic Friendship)، لا تقل عن تلك للغيرة والحميمية الموجودة في صداقاتهم التي كونوها من خلال اتصالاتهم للشخصية المباشرة (المرجع السابق).

وقد أردنا في هذا الجزء من الفصل، التأكد من صدق ما ذهب إليه باركس وغيره من الباحثين في هذا المجال. فقمنا بتوجيه بعض الأسئلة إلى الشباب ليحددوا لنا طبيعة مشاعرهم نحو علاقاتهم التي كونوها مع الآخرين عبر الإنترنت، وبخاصة مع "الجنس الآخر"، وانعكاسات ذلك على حياتهم العاطفية والاسرية. صحيح أننا كنا قد وقفنا على معرفة هذه للمشاعر في الفصل الرابع، ومع ذلك فإننا لم نكن حينها معنيين بصداقة هذه العلاقات أو زيفها، أو نصحتها أو أثرها، ولا بانعكاساتها عليهم، مرجئين ذلك إلى هذا الفصل.

تحليل النتائج

سؤال: تشعر بأن علاقتك التي كونتها مع "الجنس الآخر" عبر الإنترنت هي علاقات خاطئة وزائفة وغير ناضجة:

توافقت إجابات الشباب على هذا السؤال مع إجاباتهم عن الأسئلة التي ناقشناها في الفصل الرابع حين طلبنا منهم تقييم قوة مشاعرهم وأحاسيسهم نحو من تعرفوا إليهم عبر الإنترنت من كلا الجنسين مقارنة بقوة تلك المشاعر تجاه من تعرفوا إليهم من خلال التفاعل الشخصي المباشر؛ إذ اتضح لنا حينها (الفصل الرابع) أن مشاعرهم نحو هذين النوعين من العلاقات لم تكن متعادلة ولا متكافئة من حيث القوة، بل مالت في قوتها لصالح العلاقات الوجيهة المباشرة/ الحية. ولما هذا في هذا السؤال فنحن معنيون ببعد آخر من أبعاد هذه العلاقة لا يتعلق بقوتها أو ضعفها بل بمدى حميميتها أو زيفها. أي أننا معنيون هنا بمعرفة انعكاسات هذا النوع من العلاقات المكونة عبر الإنترنت على حياة الشباب الأسرية والزوجية.

وبهذا الخصوص أشار الجدول إلى ارتفاع ملحوظ في نسبة الشباب الذين شعروا بعدم حميمية هذا النوع من العلاقات العاطفية التي كونوها مع "الجنس الآخر" عبر الإنترنت. (انظر الجدول رقم 47).

تسهر بأن علاقتك التي كونتها مع الجنس الآخر عبر الإنترنت هي علاقات خاطئة وزائفة وغير ناضجة.											
المجموع الكلي		غير موافق أبداً		غير موافق		موافق		موافق جداً		درجة الموافقة	
		%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	الجنس	
54.8		258	8.1	38	12.7	60	18.5	87	15.5	73	للكور
45.2		213	12.1	57	10.2	48	12.5	59	10.4	49	الإناث
100		471	20.2	95	22.9	108	31.0	146	25.9	122	للمجموع الكلي

اذ حكم ما نسبته (56.9%) منهم على خطأ هذه العلاقة واصفاً اياها بالعلاقة الزائفة وغير الناضجة. ومع ذلك فهناك نسبة مرتفعة نسبياً شعرت بحميمية هذه العلاقات، ولم تشعر بزيغها أو خطئها؛ إذ بلغت هذه النسبة (43.1%). وهذه النسبة تجعلنا نكتبه، مرة أخرى، إلى قدرة هذا النوع من الاتصال على تكوين مثل هذا النوع من العلاقات العاطفية بين الجنسين في المجتمع.

المتغيرات الأسرية:

يعكس الجدول المعني بتحديد متغير جنس الشباب إلى اختلاف في وجهات نظر كل منهما في مثل هذا النوع من العلاقات. فنسبة الشباب الذكور الذين حكموا عليها بالزيف وعدم النضج كانت أعلى من نسبة أولئك الذين لم يرونها كذلك؛ إذ كانت نسبة من وصفها بالزيف (34%) ونسبة من لم يصفها هكذا فكانت (20.8%). وأما الفتيات فقد تقاربت وجهات نظرهن في مثل هذا النوع من العلاقات؛ إذ شعرت ما نسبته منهن (22.9%) بزيغ هذا النوع من العلاقات وعدم نضجها، في حين لم تشعر ما نسبته (22.2%) بذلك.

ولعل هذا مؤشر على أن الفتيات يملن أكثر من الذكور، بحكم امتثالهن للضغط الاجتماعي الممارس عليهن من أجل عدم الاتصال والتحدث وجهاً لوجه مع الذكور، إلى تكوين علاقات غير مباشرة، (الكثرونية)، مع "الجنس الآخر" عبر الإنترنت؛ إذ وجدت هذه النسبة منهن في هذه الوسيلة الاتصالية الإلكترونية ما يشبع لديهن الميل إلى تكوين علاقات عاطفية "غير مكشوفة" مع "الجنس الآخر". فهذه العلاقات، بالنسبة لهن، تبقى أقل ضرراً ومساءلة أسرية لأنها تبقى تحت السطح: مكتومة ومخفية وسرية. ومن هذا المنطلق لم ينظرن إلى هذه العلاقات بأنها خاطئة أو غير ناضجة.

ولما فيما يتعلق بمتغيرات العلاقة الأسرية فقد كشفت الجدول عن وجود علاقة بين العلاقة الأسرية التي تجمع الشباب بأسرهم وبين شعورهم وإحساسهم بالصدمات النفسية والعاطفية التي سببتها لهم علاقاتهم الإلكترونية التي كونوها عبر الإنترنت. فالشباب الذين ربطتهم علاقة قوية مع أسرهم، مبنية على الصراحة والصدق والانفتاح، شعروا بهذه الصدمات أكثر من غيرهم. وتفسير ذلك يعود،

يدفع بمتزوج إلى تكوين 'علاقات جاذبية' خارج العلاقة الزوجية؟ هل هي انعكاس لعدم التوافق والانسجام العاطفي بين الزوجين، بسبب لكراه ل أحدهما على الزواج دون رضا؟ أم هل هي نتيجة جهل أحد الزوجين وعدم تقديره للعواقب السيئة والصارة التي قد تعود على أسرته وأورواجه نتيجة مثل هذه العلاقة⁽¹⁾؟ أم هل هي ضرب من اللامبالاة؟ تبقى هذه الأسئلة مشروعة حتى في حالة الشباب غير المتزوج؛ إذ تصحح معنا في الجدول السابق، أن هناك نسبة من الشباب غير المتزوجين يلجأون إلى استخدام الإنترنت لتكوين علاقات عاطفية مع الجنس الآخر.

المتغيرات الأسرية:

وأما فيما يتعلق بمتغير الجنس، فيبين أن نسبة الشباب الذكور ممن تسببت لهم علاقاتهم بمشكلات أسرية كانت أعلى من نسبة مثيلاتها عند الإناث؛ حيث كانت النسبة (19.8%) و(9.3%) لكل منها على التوالي.

وأما أصناف الشباب الذين تسببت لهم هذه العلاقة بمشكلات أسرية وعائلية فقد تراوحت ما بين (20-23) و(26-29) سنة؛ إذ بلغت النسبة المئوية للفئة العمرية الأولى (8.1%)، وبلغت للنسبة العمرية الثانية ما مقداره (6.4%).

وأما فيما يتعلق بالمستوى التعليمي، فقد كان الشباب ممن هم في مرحلة التعليم الثانوي أكثر تضرراً من غيرهم بسبب هذه العلاقات؛ إذ عبر ما نسبته (13.6%) منهم عن هذا الضرر، كما عبر ما نسبته (10.2%) ممن هم في المستوى الجامعي من التعليم عن الضرر نفسه.

وبالنظر إلى الجدول المعطى برصد إجابات المتزوجين والعزاب من هؤلاء الشباب على هذا السؤال، فقد اتضح أن العزاب هم أكثر تضرراً بسبب هذا النوع من العلاقات من أولئك المتزوجين. حيث أجاب (14%) منهم بأن علاقته بأسرته كانت تتعثر بسبب هذه العلاقات، ولما نسبة المتزوجين الذين أجابوا هذه الإجابة فقد

(1) من أجل اطلاع أوسع على أسباب الطلاق في المجتمع القطري انظر.

كلم القلم (1998). ظاهرة الطلاق في المجتمع القطري: دراسة ميدانية: جامعة قطر مركز الدراسات والبحوث الإنسانية.

كانت (9 11%)، وأما نسبة الحاملين منهم فقد كانت (26%)، ونسبتي الأرمال والمطلقات قد كانت نسبتهن ضئيلة جداً تكاد لا تذكر لأن نسبة تمثيلهم في العينة أصلاً نسبة ضئيلة وقليلة.

وأما فيما يتعلق بمتغير العلاقة الأسرية، فلم يشعر ما نسبته (4 55%) من الشباب الحازب الذين ربطتهم علاقة قوية بأسرهم قوسها التقدير والاحترام المتبادل، بل علاقاتهم مع الآخرين الذين تعرفوا إليهم عبر الإنترنت انعكست سلباً على صلاتهم بهذه الأسر وكذلك لم يشعر (4.50%) من الشباب المتزوج ممن ربطتهم علاقة قوية مع أزواجهم / زوجاتهم بل علاقاتهم الزوجية تخلطت بسبب هذه المعارف. وإذا كان من تفسير اجتماعي لدلالات هذه النسب المرتفعة هنا فوكن، في الواقع، في القوة التي تمنحها العلاقات الأسرية المثبة والدافئة لأبنائها من الشباب الحازب أو بمنحها الأزواج لزوجاتهم، أو الزوجات لأزواجهن، إذ من شأن هذه القوة حمايتهم إلى حد بعيد من الإنزلاق في درب الخطأ وما يتملص عنه من مشكلات نفسية وعاطفية.

هل أنت تتجارب العاطفية الفاشلة والمؤلمة إلى ردع الشباب ودفعهم إلى التوقف عن تكوين علاقات مع "الجنس الآخر" عبر هذه الوسيلة الاتصالية التي كانت تدمر حياتهم الأسرية والزوجية؟ أم أنهم استمروا في مواصلة استخدامهم لها على الرغم من هذه الصدمات؟ هذا ما أردنا معرفته من خلال إجاباتهم على السؤال التالي:

سؤال: ستتوقف عن استخدام الإنترنت في تكوين معارف وعلاقات جديدة مع الآخرين - وبخاصة عاطفية - لأن التجارب التي مرت بها مع بعضهم صدمتك وألمتك:

تشير نتائج الجدول المعني بتحديد إجابات الشباب على هذا السؤال إلى تدهوم ما جاء في نتائج الجدولين السابقين حول طبيعة العلاقات التي كونها الشباب مع الآخرين عبر وسيلة الإنترنت؛ إذ لم تكن جميع هذه العلاقات سارة ومرضية؛ بل كان بعضها مؤلماً كما نثرنا. ومع ذلك لم تثن هذه التجارب عزم بعض الشباب

عن مواصلتهم استخدام الإنترنت في تكوين صداقات وعلاقات عاطفية جديدة (انظر الجدول رقم 49).

يد تشير نتائج هذا الجدول، إلى أن (56.7%) من الشباب أجابوا بأنهم لن يتوقفوا عن استعمالهم للإنترنت على الرغم من التجارب المؤلمة التي مروا بها مع بعض من تعرفوا إليهم من خلال هذا الوسيلة الاتصالية وهذه نفس النسبة تقريبا التي وجدناها عند الشباب ممن وصفوا تجاربهم مع الآخرين الذين تعرفوا إليهم عبر الإنترنت بأنها علاقات غير ناضجة وغير صادقة، كما أوضحنا في الجدول (رقم 47) السابق. وأما نسبة من سيتوقف عن هذا الاستعمال فقد كانت (34.3%).

مواقف عن استخدام الإنترنت في تكوين معارف وعلاقات جديدة مع الآخرين وبخاصة - عاطفية لأن التجارب التي مرتت بها مع بعضهم صدمتك وألمتك										
الجنس	درجة الموافقة		(موافق جدا)		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	70	14.9	58	12.3	72	15.3	58	12.3	258	54.8
الإناث	42	8.9	34	7.2	62	13.2	75	15.9	213	45.2
المجموع الكلي	112	23.8	92	19.5	134	28.5	133	28.2	471	100

وهكذا يتضح أنه رغم هذا الإحساس بالألم والشعور بالأسى الناشئ عن بعض العلاقات غير الموفقة مع "الجنس الآخر" الذين تعرف إليهم لشباب عبر الإنترنت، إلا أن الأكثرية منهم، كما قلنا، لن تكف عن اللجوء إلى هذه الوسيلة الاتصالية في تكوين علاقات جديدة. وهذا مؤشر واضح إلى أهمية الإنترنت في تكوين علاقات عاطفية في المجتمع القطري، بحكم اتساع قنوات الاتصال الأخرى في تكوين مثل هذا النوع من العلاقات.

المتغيرات الأسرية:

وبالعودة إلى الجدول المعني بتحديد إجابات الشباب من كلا الجنسين على هذا السؤال تبين أن نسبة الفتيات ممن ستمتحن في تكوين علاقات جديدة عبر هذه الوسيلة كانت نسبة أعلى من نسبة زميلاتهن اللواتي سيتوقعن عن هذا الاستخدام، وأعلى في الوقت نفسه أيضاً من نسبة زميلاتهن من الذكور.

حيث أجاب ما نسبته (29.1%) من الإناث بأنهن لن يتوقفن عن استخدام الإنترنت في تكوين علاقات وصداقات جديدة، في حين أجابت ما نسبته (16.1) بأنهن سيتوقفن عن هذا الاستخدام بسبب تلك التجارب المؤلمة.

ولما نسبة الشباب الذين استمروا في استخدام الإنترنت في تكوين معارف وعلاقات جديدة، فقط تساوت تقريباً مع نسبة من توقف عن ذلك. إذ بلغت في الحالة الأولى (27.6%)، و(27.2%) في الحالة الثانية.

ولما فيما يتعلق بتفسير ارتفاع نسبة الإناث ممن لم يتوقفن عن استخدام الإنترنت في تكوين علاقات عاطفية مع الآخرين مقارنة بالذكور فيكمن في السداد قنوات الاتصال الاجتماعية المباشرة أمامهن في تكوين مثل هذه العلاقات في مجتمعهم المحافظ فهن يجدن في الإنترنت وسيلة مناسبة وملائمة لإشباع رغباتهن و حاجاتهن إلى تكوين مثل هذه العلاقات العاطفية مع الجنس الآخر. فبالرغم من فشل بعض هذه العلاقات، ومع ذلك يبقين يحاولن الكرة ثلث الأخرى على أمل أن تنجح بعض هذه المحاولات يوماً ما في المستقبل.

ولما فيما يتعلق بمتغيرات العمر والمستوى التعليمي والوضع الاجتماعي لهؤلاء الشباب من كلا الجنسين فتوضح أن الفئة العمرية الواقعة بين (20-23) سنة كانت أعلى الفئات التي سوستمر الشباب فيها في استخدام الإنترنت، حيث بلغت نسبتهم للمثوية (15.5%)، ثم جاءت الفئة الشبابية المحصورة عمر الشباب فيها بين (26-29) سنة لنجد أن نسبة من سوستمر فيها في استخدام الإنترنت كانت (10.2)؛ ثم تلاها فئتين الفئتين، تلك الفئة من الشباب ممن تزلزلت أعمارهم بين (29-32). حيث بلغت نسبتهم (8.5%).

كما اتضح أيضاً أن أكثرية هؤلاء الشباب هم من الفئات غير المتزوجة، حيث أجاب (32.1%) من لا يزال في مرحلة العزوبية بأنه سيبقى يستخدم الإنترنت في تكوين معارف جديدة غير مهني بالتجارب غير الموفقة التي مر بها، تلاهم للشباب المتزوج، حيث كانت نسبة من سيستمر في استخدام الإنترنت هي (16.8%)

وأما فيما يتعلق بالمستويات التعليمية للشباب، فقد تبين أن الشباب الجامعي ثم الشباب في مستوى التعليم الثانوي، هما أكثر المستويات التعليمية التي مازالت تزداد في الإنترنت وسيلة اتصالية مناسبة لتكوين الصداقات والمعارف برغم كل الألم والأسى الذي سببته لهم تجاربهم مع "الجنس الآخر". حيث كانت نسبة الجامعيين هنا (28.9%)، ونسبة من هم في مستوى التعليم الثانوي (18.3%).

وأما فيما يتعلق بمتغير علاقة الشاب بأسرهم، فقد أجاب ما نسبته (30.4%) ممن ربطتهم علاقة قوية معها بأنهم سيتوقفون عن استخدام الإنترنت، وأجاب ما نسبته (10.2%) ممن ربطتهم علاقة "متوسطة" القوة مع أسرهم بأنهم سيتوقفون أيضاً، كما أجاب كذلك ما نسبته (37.4%) من المتزوجين الذين ربطتهم علاقة قوية مع أزواجهم بأنهم سيتوقفوا عن هذا الاستعمال لأنه قد يضر حياتهم، وأجاب ما نسبته (10.5%) ممن ربطتهم علاقة "متوسطة" بزوجه بأنهم سيتوقفون أيضاً عن هذا الاستعمال

الاغتراب والعولمة الثقافية / الإعلامية

مقدمة

في كتابهما القيم فتح العولمة⁽¹⁾ (1998) يشير الباحثان هانس بيتر مارتن وهارولد شومان إلى حقيقة اقتصادية موجهة خلاصتها أن المجتمع المعولم هو مجتمع للخمسة الثري، ولأما الأربعة الأخماس الباقية فهم مجتمع الفقراء، ويؤكدان أيضاً أن 20% من سكان العالم سيكون بإمكانهم العمل وتأمين مدخلاتهم، وتحقيق قدر من الرفاه الاجتماعي، في حين أن 80% من سكان العالم ستكون نسبة فائضة لا تكمن الحد الأدنى من العيش الكريم. ويصنف الباحثان صورة مفزعة أخرى للوضع الاقتصادي، حيث أن دول الشمال الغنية مستقطر وتستهلك بما نسبته 85% من مجموع المخرجات العالمية. ومن هذا المطلق فإن العولمة ستقسم العالم إلى فئة مسيطرة تستأثر بالثروة وأغلبية ساحقة تعيش على الهامش ولا تكمن مستقبلها إلا بصعوبة بالغة. (هانس بيتر مارتن، وهارولد شومان، 1998).

وإذا كان الوضع الاقتصادي المعولم متفقاً ومزعماً إلى هذا الحد، فإن الوضع الثقافي أكثر سوءاً وأشد تأثيراً على ثقافة المجتمعات غير الغربية، ونظمها القيمية (Value - Systems) وهويتها الوطنية، فالعولمة ليست مجرد مضمون اقتصادي فحسب، بل هي مضمون ثقافي / إعلامي أيضاً، يرد فرضته على العالم غير الغربي بوسائل اتصال جماهيرية ممتدة ومكثفة ومنظورة بشرف عليها وينبذها خبراء متخصصون في الترويج لها (Schiller, H, 1992). يصبح أن الاقتصاد

(1) يترك للمراجع أن يكتشف العولمة بالغة الحرية بطرفان من الكتابات والمفالات يطلب على بعضها المصطنعة ومزاجية التعليل وحجب المسألة وأسر النظر، ويطلب على بعضها الآخر روح الدخيلة والتزييف والسطح عنها بطريقة هوشية فيها ويضم جزء آخر ليس بقابل من هذه الكتابات والمفالات بالهجوم الكشاح عليها والعدائية لها دون فهم دقيق أو تعليل لثقل استوريتها التاريخية، والتعليل فقط من هذه الكتابات يضم بعض التعليل، ويوضح الفروقات والشمولية المنطوق. وعليه، فإننا نرى فهم الفساد في هذه القراءة والفروض في التعليل على هذه الكتابات أموراً لها أو الانبعاثات ومنها، أنه إن يكون يتكررنا في هذا الجزء من الفصل نظرية جميع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للعولمة بالتفصيل. لذلك انصرفت على بعض الجوانب تلك المتعلقة بالعولمة الثقافية والإعلامية لأنها هي المسألة بالدراسة طبعاً بأننا إن نعيش بتأسيلاً وإثبات في تلك معناها. ومع ذلك نحيل القارئ المهتم بذلك إلى المرجع المهم التالي.

مركز دراسات الوحدة العربية (2000)، العرب والعولمة، تحرير أسامة الخولي، بيروت: لبنان

هو مرتكز العولمة ونقطة انطلاقها، ومع ذلك تبقى الثقافة هي غايته النهائية وهنفا المنشود.

وبصرف نظر عن تفاصيل العولمة الثقافية، ومظاهرها وأهدافها وآليات عملها⁽²⁾، إلا أنه يمكن القول بأنها ليست سوى عولمة القيم واللغة والرموز الثقافية (Cultural Symbols) بوسائل اتصال جماهيرية علمية باللغة التقني؛ فمن المتحدر عولمة العالم سياسياً واقتصادياً وتربوياً إلا بعولمة ثقافة شعوبه المختلفة في كل واحد. موحد الرموز واللغة، ومتجانس الرسائل والمحتوى، ومنسق الخطاب (سالم الساري وخضير زكريا، 2004، المصنف ونلس 1998) وهذا بالطبع، أن يتم إلا من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية التي تقوم بفرض صورها القوية ورسائلها النافذة، وإصالتها المؤثرة على هذه الشعوب. وهذا يظهر مدى التداخل، والاعتماد المتبادل والانسجام بين العولمة الثقافية والعولمة الإعلامية.

ويضمحل الانترنت، بوصفه الوسيلة الاتصالية الأكثر حداثة وتطوراً في الاتصال الإلكتروني، بحبه كبير في إقليم بمهمة العولمة الثقافية، إذ تستطيع الصور الاعلامية التي يبتها الانترنت ويوتوها لمستخدميه من الشباب غير الغربي، وبشكل خاص الشباب في المجتمع العربي، بحكم سطوتها وسلطانها، أن تترك فيهم تأثيرات بالغة شدة وجسمة للتأثير تظهر في أنماط سلوكهم اليومية، وفي تفضيلهم لأنماط الحياة الاستهلاكية. وهذا يباعد الإعلام المعولم بينهم، وبين قيم مجتمعاتهم، ويشدهم إلى المجتمع الأمريكي، باعتباره النموذج "الأرقى" في الحياة، والاكثر تقدماً و"حضارة".

فإلى أي مدى استطاع الإنترنت إقليم بهذا الدور الترويجي للثقافة الغربية بين الشباب القطري؟ وإلى أي مدى تأثر هؤلاء الشباب بما يشاهدونه من مصابين

(2) انظر في ذلك السان فليج والمان السمعون العولمة الثقافية والإعلامية في فصل السان فليج السان فليج وجرن بولي في كتاب العولمة الذي تم ترجمته مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت تحت عنوان: العولمة: طرفان أم أفتك. 2004. وانظر كذلك كتاب العرب والعولمة المشار إليه في الصفحة السابقة. وأما باللغة الإنجليزية انظر في ذلك:

Herman, E. and McChesney, R. (1997) The Global Media: The New Missionaries of Corporate Capitalism, London: Cassell.

ثقافية عربية؟ وإلى أي مدى يمي الشباب ما يمكن في هذه المضامين من دلالات وأبعاد أيديولوجية؟ متحور التعرف على ذلك من خلال أجابتهم على الأسئلة التالية.

سؤال: كثيراً ما تمنيت أن أعيش في مجتمع آخر غير مجتمعي الفطري لما لراه في الإنترنت من تقدم وتحضر في تلك المجتمعات:

بينما في الجدول التالي عرضنا لها في الفصول السابقة أن الإنترنت كُتاح الفرصة أمام الكثير من الشباب للاطلاع على عادات المجتمعات الأخرى وتقليدها وأنماط معيشتها، ولوسعنا أيضاً كيف أن هذه الوسيلة الاتصالية عملت على توسيع شبكة علاقاتهم الاجتماعية وتضييق دوائرهم المعرفية والملائقية، وإثراء تجاربهم وخبراتهم في الحياة اليومية، وتغيير نظرتهم إلى أنفسهم. ومع هذا كله، فإن هذه الأبعاد الإيجابية للإنترنت يجب ألا تحبطا تفاؤلي عن الجوانب السلبية لهذا الانفتاح الثقافي والاجتماعي والمعرفي على المجتمعات الأخرى إذ يكشف الجدول المخصص لمعرفة اتجاهات الشباب نحو نمط معيشتهم في مجتمعهم المحلي، مقارنة بنمط المعيشة في المجتمعات الأخرى التي يرونها في الإنترنت، عن وجود نسبة مرتفعة منهم وصلت إلى (40.3%)، تفضل نمط المعيشة في تلك المجتمعات على نمط المعيشة في مجتمعها المحلي (انظر الجدول رقم 50).

إذا ترى هذه النسبة من الشباب أن مجتمعهم المحلي لا يضاهي في تقدمه 'وتحضره' ذلك التقدم والتحضر الذي تتصف به تلك المجتمعات، مما يجعلهم يتمنون العيش فيها بدلاً عن مجتمعهم. ومع أن نسبة من لا يفضلون العيش في تلك المجتمعات هي نسبة مرتفعة (59.6%)، إلا أن نسبة من يفضلون العيش خارج مجتمعهم تبقى نسبة مرتفعة هي الأخرى ولائحة للنظرة وتكمن خطورة مثل ذلك إلى أنها قد تدفع بالشباب إلى حافة مشاصرية من الإغتراب الثقافي والاجتماعي مع مرور الزمن عن مجتمعهم.

كثيراً ما تمتعت أن أعيش في مجتمع آخر غير مجتمعي لما لوه في الإنترنت من تفهم وتحضر في تلك المجتمعات										
درجة الموافقة	موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	68	14.4	57	12.1	45	9.6	88	18.7	258	54.8
الإناث	38	8.1	27	5.7	54	11.5	94	19.9	213	45.2
المجموع الكلي	106	22.5	84	17.8	99	21.0	182	38.6	471	100

المتغيرات الأسرية:

وبالنظر إلى الجدول السابق (رقم 50)، فإنه يتضح أن نسبة الذكور الذين يملكون العيش في إحدى تلك المجتمعات كانت (26.5%) أي ما عدده (125) شاباً. وأما نسبة الإناث في هذه الحالة فقد كانت (13.8%)، أي ما عدده (65) شابة. وأما فيما يتصل بنسبة الإناث اللاتي رفضن العيش في المجتمعات الأخرى التي أظهرها لهن الإنترنت بأنها أكثر تنوعاً وتحضراً من مجتمعهم فقد كانت أعلى من نسبة الشباب الراضين؛ إذ بلغت نسبتهن (31.4%)، مقابل ما نسبته (28.3%) للذكور.

وأما فيما يتصل بالمستويات التعليمية والأوضاع الاجتماعية وكذلك الفئات العمرية لهؤلاء الشباب، فقد أوضح الجدول المبني بذلك أن نسبة شباب الجامعي الراضين للعيش في مجتمع آخر غير مجتمعهم كانت (31.3%)، مقابل ما نسبته (19.2%) قابل بذلك. وأما من هم في المستوى التعليمي الثانوي، فقد بلغت نسبة الراضين للعيش في مجتمع آخر (18.1%)، في حين بلغت نسبة المواقفين على العيش خارج مجتمعهم المبني (14%).

وأما الشباب العازب الذي تسمى للعيش بإحدى هذه المجتمعات "المتقدمة" و"المتحصرة" فقد كانت نسبته (22.4%) مقابل ما نسبته (33.6%) للراضين منهم. وأما للمتزوجون من الشباب فقد تعاملت، تقريباً، نسبة من يرغب منهم في

للعيش في مجتمع آخر غير مجتمعهم مع نسبة من لم يرغبوا في ذلك؛ إذ كانت هذه النسبة (4.3%) لمن يرغبون، مقابل (4.5%) لمن لا يرغبون.

ومع كل ما سبق من تأكيد على قوة ارتباط الشباب بمجتمعهم ورفض غالبيتهم للعيش بمجتمع غير مجتمعهم المحلي، إلا أن نسبة من يتولى للعيش خارج هذا المجتمع، بسبب ما يراه من تقدم وتحتضر¹ في أساليب الحياة في تلك المجتمعات الأخرى، لا يستهين بها أو يقلل من دلالاتها الاجتماعية إلا العاطلون، فهي مؤشر إلى القدرة الفائقة التي يقوم بها الإنترنت، كوسيلة اتصال، تتشابه في هذه الحالة مع قدرة وسائل الإعلام الجماهيرية الأخرى، في الترويج للعولمة الثقافية بطريقة محببة تخفق عند حسن من يشاهد محتواه من الشباب بشكل متكرر حالة من الاغتراب^(أ) النفسي والاجتماعي عن مجتمعهم.

ولما فيما يتعلق بمتغير العلاقة الأسرية وانعكاسها على رغبة الشباب ومنهزمهم للعيش في إحدى هذه المجتمعات التي أظهرها لهم الإنترنت بأنها أكثر "تقدماً" من مجتمعهم، فقد اتضح أن الشباب الذين تربطهم علاقات لحرمان قوية مع أسرهم لا يرغبون بذلك؛ إذ عجز عن عدم هذه الرغبة ما نسبته (44.2%). وهذا دلالة تبين أن العلاقات الأسرية المتينة هي عامل جذب ولستقطاب لأبنائها، وليست عامل هروب واغتراب. وكذلك الحال مع الأزواج الذين تربطهم علاقة قوية مع بعضهم البعض؛ إذ تبين أن الزوج الذي تربطه علاقة محبة وود مع زوجته لا يرغب بالعيش خارج مجتمعه، إذ كانت نسبته (39.1%)

ولما أصار هؤلاء الشباب فقد كشف الجدول عن وجود ما نسبته (16.5%) منهم ممن يقع عمره بين (20-23) رفض للعيش في إحدى هذه المجتمعات "المتقدمة"، في حين قبل العيش منهم ما نسبته (11.3%)، كما رفض ما نسبته (10.6%) من الشباب الذين تزوجت أعمارهم بين (26-29%) للعيش خارج مجتمعهم المحلي، مقابل (8.1%) قبل ذلك.

(1) على الرغم من الاهتمام الواسع بظاهرة الاغتراب، بدءاً من الفيلسوف الألماني هيجل، ومروراً بكارل ماركس، ولقائه بدوركايم وفرويه ومسلم الفلاسفة الوجوديون، إلا أن هذا المصطلح لا يزال يكتفه بعض النصوص. ومع ذلك فإننا نستخدمه هنا في هذه الدراسة ليشير إلى تلك الإحساس الذي يمس به الفرد على المستويات الشعاعية للمعبر والعمران وعدم الانتماء وراحته للتوضيح القائمة فقط في ذلك على حليم بركات المير (2004)، لجوية أزمة الحضارة والحول الثقافي. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر.

السؤال: من خلال استخدامك للتواصل للإنترنت ودخولك إلى بعض المواقع فيه أصبحت لديك ثقافة بأنه وسيلة من وسائل الغزو الثقافي المبطن لمجتمعك العربي المسلم والمجتمعات الأخرى غير الغربية؟

يؤكد لنا إجابات الشباب على السؤال السابق مدى التأثير السلبي الذي تركه الإنترنت على بعض الشباب ممن يؤثرون الحياة والعيش في مجتمع آخر غير مجتمعهم المحلي بسبب التباين في نمط المعيشة بين مجتمعهم وتلك المجتمعات.

وأما في هذا السؤال فنحن معنيون بمعرفة بعد آخر من أبعاد تأثيرات الإنترنت وهورية الشباب لطبيعة المحتوى الثقافي والاجتماعي والأخلاقي والسياسي لهذه الوسيلة الاتصالية. أي هل يرى الشباب في هذا المحتوى عزواً ثقافياً مبطناً لمجتمعهم المحلي والمجتمع العربي المسلم بشكل عام؟ بمعنى آخر أننا معنيون هنا بمعرفة مدى إدراك هؤلاء الشباب للتأثيرات الخفية (غير المباشرة) للمضامين الاصلية والثقافية والمعرفية للإنترنت عليهم.

وفي هذا الصدد ربطت نسبة عالية من هؤلاء الشباب، بلغت (62.4%)، بين ما يرونه في الإنترنت من هذه المجتمعات وبين عملية الغزو الثقافي المبطن لمجتمعهم ولثقافتهم العربية الإسلامية. (انظر الجدول رقم 51)؛ إذ تعتقد هذه النسبة أن الإنترنت ليس إلا قناة اتصالية تعمل على تسهيل وتيسير عملية الغزو الثقافي غير المباشر للمجتمع العربي الاسلامي. ولما نسبة من لا ترى ذلك فقد كانت (37.7%). أي أن هذه النسبة لا ترى في الإنترنت سوى وسيلة من وسائل الاتصال الحديثة التي تربطهم بالعالم الخارجي، وتطلمهم على ثقافات متنوعة لمجتمعات مختلفة.

من خلال استخدامك المتواصل للإنترنت وبخبرتك إلى بعض المواقع فيه، أصبحت لديه قاعدة
بأنه وسيلة من وسائل الفزو الثقافي للموطن لمجتمعه العربي المسلم والمجتمعات الأخرى غير
العربية؟

درجة خرافة	موافق جداً		موافق		غير موافق		غير موافق أبداً		المجموع الكلي	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
الذكور	95	20.2	72	15.3	45	9.6	46	9.8	258	54.8
الإناث	75	15.9	52	11.0	47	10.0	39	8.3	213	45.2
المجموع الكلي	170	36.1	124	26.3	92	19.6	85	18.1	471	100

المتغيرات الأسرية:

ما هي خصائص هؤلاء الشباب الذين ينظرون من منظورين مختلفين
للمصالح المعرفية والثقافية للإنترنت؟ يظهر الجدول في هذا الصدد أن نسبة
الذكور الذين يرون في بعض المواقع التي يقدمها الإنترنت للمجتمعات العربية
تهديداً مستتراً ومبطناً / غير مباشر للثقافة العربية الإسلامية بلغت (53.5%)، في
حين كانت نسبة زملائهم الذين لا يشاطرونهم الرأي هي (19.4%).

وأما نسبة الإناث ممن رأى في الإنترنت وسيلة من وسائل الغزو الثقافي
للميطان للعرب والإسلام، وبخاصة تلك المواقع الغربية والمثيرة، (كالمواقع الجنسية
على سبيل المثال)، فقد كانت (26.9%)، ولما نسبة من لم يرين ذلك فقد كانت
(18.3%).

وأما فيما يتعلق بالفصل بين العمرية لهؤلاء الشباب، فقد تباينت النسب المتوزعة
لكل فئة عمرية منهم في تقييمها للثقافة الإنترنت؛ إذ أجاب ما نسبته (17.8%) ممن
وقعت أعمارهم في الفئة العمرية المصنوعة بين (20-23) بأنه رأى في هذه
المواقع غزواً ثقافياً. وأجاب ما نسبته (7.6%) من الفئة العمرية الشبابية نفسها
بأنهم لا يرون ما يراه زملائهم في هذا الشأن. كما أجاب ما نسبته (12.3%) من
الشباب ممن هم في السن الذي ترواحت بين (26-29) بأنهم يرون في هذه

المواقع، مواقع غزو ثقافي، في حين لم يشاطرهم الرأي ما نسبته (6.4%) من الفئة العمرية نفسها. ولما الفئة العمرية للشباب التي تروحت أعمارها بين (23- 26) سنة فإن (10.8%) منها رأى في هذه المواقع غزواً ثقافياً وتهديداً مبطناً للثقافة العربية الإسلامية؛ ولم يشاطرهم هذا الرأي ما نسبته (4.4%) من الفئة العمرية نفسها.

ولما فيما يتعلق بأوضاع هؤلاء الشباب التعليمية فقد تطلعت آراء الأكثرية منهم ممن أعطى رأياً في هذا الموضوع في المستويين التعليميين الجامعي والثانوي؛ حيث رأى ما نسبته (33.4%) من الشباب الجامعي في هذه المواقع، مواقع غزو ثقافي للثقافة العربية، ولم يشاطرهم في ذلك سوى (17%) من الشباب نفسه. ولما الشباب ممن هم في مستوى تعليمي ثانوي، فإلى (19.6%) منهم قناعة بفكرة الغزو الثقافي، ولدى (12%) قناعة مخالفة لذلك.

وحين نظرنا إلى إجابات المتزوجين من هؤلاء الشباب وقلناها بإجابات العراب حول رؤية كل منهما للمحتوى الثقافي الإنترنت، تبين أن نسبة لشباب العازب الذين ينظرون إليه باعتباره يمثل تهديداً للتمسك الأخلاقي العربي والإسلامي كانت أعلى من نسبة مثيلاتها عند الشباب المتزوج؛ حيث كانت النسبة (34.7%) مقابل (20.4%)، وتباينت أيضاً رؤية كل منهما لمن لا يرى فيه أي تهديد أخلاقي لولكري؛ حيث أجاب ما نسبته (21.3%) من المذكور بأنهم لا يرون في الإنترنت أي تهديد مبطن للثقافة العربية الإسلامية، وأجاب الإجابة نفسها ما نسبته (11%) من الإناث.

وحين عدنا لنرى ما إذا كان لعلاقة الشباب بأسرهم من حيث القوة والضعف، انعكاس على رؤيتهم وتقييمهم لهذا المحتوى الثقافي لبعض المواقع في الإنترنت، وجدنا أن الشباب الذين يتمتعون بعلاقات أسرية قوية كفواً قد رأوا فيها تهديداً للثقافة العربية وغزواً مبطناً للقيم الإسلامية؛ إذ أجاب في هذه الحلة ما نسبته (46.3%). وأجاب الإجابة نفسها ما نسبته (13.2%) من أولئك الشباب الذين تربطهم بأسرهم علاقة "متوسطة" لقوة من حيث الاحترام والتقدير المتبادل بينهم.

ولما المتزوجون من الشباب ممن تربطهم علاقة قوية مع أزواجهم، قولها الإحلاص والاحترام المتبادل، فقد اعتبر بعض المواقع المتاحة عبر الإنترنت، وبخاصة الجنسية منها تهديداً مستتراً للثقافة العربية، يتكافى مع قولها الأخلاقية؛ حيث كانت نسبتهم (49.6%). وحتى الشباب المتزوج منهم ممن تربطه علاقة "متوسطة" مع روجه من حيث الاحترام والتقدير فقد رأى ما نسبته منهم (31.1%) في هذه المواقع عزوا ثقافياً للثقافة العربية بطريقة غير مباشرة.

ولما رؤية الشباب، ممن تعلمهم أسرهم معاملة ديمقراطية، لهذه المواقع، فقد رأى منهم ما نسبته (22.2%) بأنها مواقع غير مقبولة أخلاقياً تهدف إلى المساس بثقافة الشباب المسلم والعربي على حد سواء.

ويتضح من الجدول السابق أن النسبة الأكبر من الشباب يعون الأهداف الكامنة والضمنية للدلالات الأيديولوجية للمصطلح الثقافية والاجتماعية والأخلاقية للأنترنت؛ ومع ذلك فهناك نسبة أخرى منهم لا تعي ذلك، ولا تترك دلائل للرسائل الضمنية على ثقافتهم وهويتهم الوطنية وحضارتهم العربية الإسلامية. صحيح أن هذه النسبة غير مرتفعة بين الشباب، ومع ذلك تبقى نسبة ذات دلالة.

وفي الواقع فإن هذه الفئة من الشباب لا تترك أن الثقافة المعولمة التي تشاهدها وتتعامل معها في الأنترنت هي ثقافة لا تتخفى من بنية ثقافية اجتماعية ذات هدف حضاري إنساني نبيل ملزم ص القيومي، ولما من بنية اقتصادية أو بصاعة معروضة للبيع بثمن الاستهلاك شأنها شأن أي منتج اقتصادي. فسليلات الإنتاج الثقافي وآلياته في ظل العولمة الثقافية ليست سوى صليبت وآليات الإنتاج الاقتصادي نفسها، وأهدافه هي أيضاً أهداف الإنتاج الاقتصادي نفسه ألا وهو الربح المادي (سالم الساري وحضر زكريا، 2004 و ميشيل غل، 2003).

ويذهب محمد الجابري إلى ما هو أبعد من مجرد وصف ثقافة العولمة بأنها ثقافة استهلاكية لمصعب، ليحكيها ثقافة اختراق لثقافة الشعوب غير الغربية. وفي هذا للسند يقول: أننا معرضون لغزو ثقافي مضاعف، الغزو الكاسح الذي يحدث على مستوى عالمي، والغزو الذي تمارسه علينا الدول الاستعمارية للثقافية. أما الوسائل فهي نفسها: الاعلام بالمعنى الواسع والمتشعب، الاعلام الذي يبرو العقل

والخيول والعاطفة والسلوك، نشأ قيما وافتراقا وعادات جديدة تهدد الثقافات الوطنية والقومية في اهم مقوماتها ومكمن خصوصيتها. ان تصميم الاستهلاك لوبا الاخرى فرض نمط معين من الاستهلاك على الشعوب هو الهدف من الاختراق الثقافي والاستكشاف الحضاري (محمد الجابري، 1994).

ولسوء الحظ فإن لفظة السابقة من الشباب غير واضحة لهذا البعد من أهداف
العملية الثقافية - الإعلامية، وغير محصنة كذلك من مخاطرها التي تحدث عنها
الجابري، وميشيل فزن وغيرهما من الباحثين، لذا نقتلبي عليها الأهداف الكاملة لهذه
العملية وأليات عملها الفاعلة في تحقيق هذه الأهداف، (المصنف وناس 1998) إذ
بمقدور هذه العملية تقويض النظام القيمي لهؤلاء الشباب ومراكز التوازن
الثقافي والقيمي والذي تعودوا عليه في مجتمعهم العربي، كما أنه بمقدورها
أيضا التأثير على التوازنات التقليدية التي تشكلوا عليها، والتي تشكل العصب
الحساس بالنسبة لمجتمعهم العربي مثل تقدير الأسرة واحترامها، وترابط الأجيال
وتماسكها، واحترام المقدس الديني والموروث الحضاري والثقافي لهذا المجتمع
(المصدر السابق).

الخلاصة

على الرغم من التأثيرات الإيجابية التي تركها الإنترنت على الشباب، إلا أنه ترك في الوقت نفسه بعض التأثيرات السلبية مثلت في بداية ظهور بعض أعراض الإيمان لديهم على الإنترنت. وهذه الأعراض، وإن كانت غير حادة وعلمية بين الجميع إلا أنها ذات دلالة لا يمكن التغافل عنها.

وبالإضافة إلى ذلك فقد تسبب الإنترنت أيضاً في خلق بعض المشكلات العاطفية لبعض مستخدمييه من العرب والمترجمين انعكست سلباً على علاقاتهم الأسرية والعائلية والزوجية.

ومن التأثيرات السلبية الأخرى التي تركها الإنترنت على الشباب هو مساهمته في بروز بعض مظاهر الاغتراب النفسي والاجتماعي لدى بعضهم تجسد في تمتيعهم الحبس خارج مجتمعهم المحلي؛ علماً أن بعضهم الآخر كان قد أدرك التأثير الضعيف والمبطن لرسائل الإنترنت حول تقدم المجتمعات الغربية.

الفصل الثامن

ثقافة الإنترنت: رؤى متباعدة وملاحظات ختامية

مقدمة

الاتصال الإلكتروني: حجم الظاهرة ودلالاتها

الاتصال الإلكتروني: خيارات ممكنة وآفاق مفتوحة

الاتصال الإلكتروني والتفاعل الاجتماعي: رؤية جديدة

البعد العلاجي – التطهيري في الاتصال الإلكتروني

الاتصال الإلكتروني: أدوار جديدة ووظائف متعددة

الاتصال الإلكتروني: مخاطر كامنة وتساؤلات مفتوحة

ثقافة الإنترنت

رؤى متباينة وملاحظات ختامية

مقدمة

عند بدأ الإنترنت، كوسيلة اتصال إلكترونية، بالانتشار بشكل واسع ومنظم في المجتمعات في مطلع التسعينيات، والبلاتون الاجتماعي، ما تفكوا يستلون الأبعاد الثقافية الجديدة التي أدخلها هذا النوع من الاتصالات على المفهوم السائد للثقافة، ذلك أن الثقافة الجديدة، برأي بعض هؤلاء الباحثين، هي ثقافة لم يمد المفهوم التقليدي الذي دأب العلماء في الدراسات الاجتماعية والاثروبولوجية على تقديمه لها، يستوعب خصائصها أو ينطبق عليها.

إننا، في الواقع، أمام مرحلة تاريخية من مراحل تطور الاتصال الإلكتروني، وبخاصة الاتصال عبر الإنترنت، لها ثقافتها الخاصة بها، والمختلفة كلياً عما سبقها من الأشكال الأخرى التي خبرتها المجتمعات عبر مسيرتها الثقافية الطويلة. صحيح أن العملية الثقافية هي عملية تراكمية، وكل مرحلة تاريخية من مراحل التغير الاجتماعي والثقافي تضيف خصائص جديدة إلى ما سبقها، ومع ذلك فإننا أمام مرحلة غير مسبقة من مراحل التغير الثقافي الذي تشهد المجتمعات المعاصرة، وبخاصة الرأسمالية الغربية.

تمتلك الثقافة الجديدة، خصائص فريدة، في الحقيقة، نجعلها تختلف اختلافاً جوهرياً يصل حد القطيعة مع الخصائص المألوفة للثقافة، ومع تعديها الذي يتعامل معها باعتبارها مجموعة من السمات الخصوصية، الروحية والمادية والفكرية والشعرية التي تميز مجتمعاً أو مجموعة إجتماعية إنها ثقافة "خليط ثقافي"، تتسم بصفة سريعة ومتسارعة، متنامية ومتطورة لا تكاد تعرف حداً تقف عنده. إنها ثقافة تنتجها "هائل" من شركات صلالة، "وعشائر" من مؤسسات ضخمة، ونطوي على معايير وقيم، ذات طبيعة مادية استهلاكية في جوهرها.

وتتم عملية إنتاج هذه الشركات والمؤسسات لهذه الثقافة، بسرعة فائقة لا يكاد يستوعبها الأفراد، ولا تترك لديهم وقتاً كافياً للتكيف معها، وتبقيهم في عملية استهلاك دائم، ما إن يبدؤوا بالتكيف معها، حتى يجدوا أنفسهم من جديد يواجهون بأشكال جديدة منها، فتتطلب منهم التكيف معها من جديد وهكذا تنقف مؤسسات تصنيع الثقافة الجديدة بالأفراد إلى قلب مطحنة الاستهلاك.

لقد غيرت هذه الثقافة، ثقافة الإنترنت، بخصائصها الجديدة مجرى حياة المجتمعات في جميع الأبعاد الأخلاقية والفكرية والقيمية والسلوكية، كما يرى بعض الباحثين (Mulgan, G, 1998). كما عطلت، أوضاعاً على تغيير طرق التفاعل والتواصل بين البشر إلى الحد الذي يمكن اعتبار أن ما أحدثته من تغيرات جوهرية في هذا المجال بمثابة نقطة تحول في تاريخ الثقافة. وعليه، فأننا لا نرى ثمة مبالغة في وصف ثقافة مجتمعات الحداثة، بأنها ثقافة الاتصال الإلكتروني، وبشكل أكثر دقة وتخصيصاً ثقافة الإنترنت، باعتبار أن هذه المجتمعات هي أكثر المجتمعات التي ينتشر فيها هذا النوع من الاتصالات.

لهذه فرانسيس كيرنكروس، على سبيل المثال، ترى في كتابها الموسوم "موت المسافات"، (The Death Of Distance) بأن الثقافة الجديدة التي أحدثتها الإنترنت، بوصفه أعظم منجزات الثورة الاتصالية المعاصرة، هي ثقافة مختلفة هي أنساقها وبنيتها وخصائصها عن الثقافة المحلية التقليدية المتوقفة على ذاتها، فليست لإزالة الحدود الجغرافية بين البشر، هي الإنجاز الذي يجب أن ندرك به لهذه الوسيلة الاتصالية الإلكترونية فقط بل إن الإنجاز الأعظم لها هو ذلك الذي حققته على المستوى الثقافي، فقد أنهى الإنترنت الفروق الثقافية بين البشر ووحدهم في ثقافة ذات خصائص جديدة تختلف عما قبلها من خصائص (Carmcross, P. 1997).

إن حماس كيرنكروس لعالم ثقافة الإنترنت، جعلها لا ترى سلبياته على المستوى الثقافي، بل رأت فيه أهم منجز من منجزات الثورة الاتصالية التي شهدتها مجتمعات المعرفة (Knowledge Societies)، فهو يرى فيها أهم الوسائل التي حولت أنماط الحياة الثقافية في هذه المجتمعات، وهو الركيزة الأساسية التي تستند إليها المعرفة الثقافية الرسمية إلى توحيد الثقافات المختلفة في ثقافة واحدة.

ولا بملل حاصل كيرنكروس لتقنة الانترنت أو يماريه إلا ذلك الذي يبيده شارلز ليدبيتر، ولكن من منظور آخر؛ حيث نجد يعتبر أن الإنجاز الفعلي والجوهرى للإنترنت في المجتمعات المعاصرة لا يكمن في ما أدخله عليها من أبعاد ثقافية فحسب، بل أيضا في ذلك الجهد الجديد المتمثل في اقتصاد المعرفة (Knowledge Economy) في هذه المجتمعات (Leadbeater, C, 1999).

وفي كتابه الممنون "العيش في فضاء شفاف" (Living on Thin Air) نجد يمتد الدور الذي يقوم به الإنترنت في اقتصاد الوقت والجهد والمعرفة في مجتمعات المعرفة، وكيف يؤدي هذا الاقتصاد إلى ريادة إنتاجية هذه المجتمعات وإدغامها. لقد عمل الإنترنت، برأيه، على خفض التكلفة المادية الخاصة بالاقتصاد المعرفة من حيث تخزين المعلومات والمعارف وجعلها متاحة للجميع في كل الأوقات وفي كل الأماكن. فلم يعد هناك مصاعب تحرق التواصل المعرفي بين المجتمعات كما كان عليه الحال قبل بروز هذه الوسيلة الاتصالية. لقد رأت هذه الفضاءات وانكشفت حتى غدت كأن لا وجود لها، وغدت للبشرية في هذا الوضع تتغذى من ثقافة واحدة هي ملك الجميع.

ومع الإقرار بكل الألق السابقة التي فتحتها الاتصال الإلكتروني أمام المجتمعات في مجال التواصل الثقلي والمعرفي بأقل التكاليف والجهود، كما يرى ليد بيتر وكيرنكروس، وكما رأى مارشال ماكولان من قبلهما (McLuhan, M, 1964) في الستينيات، حين ادعى أن هذا النوع من الاتصال، هو الذي حول العالم إلى قرية كونية صغيرة (Global Village)، ومع ذلك نجد فريقا آخر من الباحثين له وجهة نظر مختلفة تماما في ثقافة هذا النوع من الاتصالات؛ إذ يرى هذا الفريق من الباحثين، أنه برغم كل المزايا السابقة للاتصال الإلكتروني، مثلا بالإنترنت، إلا أنه أنتج ثقافة غشاء لا تمكث بالأرض؛ أنها ثقافة جلبت معها، على حد تعبير أحدهم، وهو كليفورد ستول، عوالم ثقافية كونية مسطحة، غير حقيقية، أشبه ما تكون بنسيج من المناديل الورقية التي إذا ما ابتلت بالماء صارت لا تصلح بعدها لشيء (Stoll, C. 1995). إن ثقافة شبكات الإنترنت الكونية، ليست طريقا كونيا، كما يقول ستول، سيقود البشرية إلى أبواب الحرية والديموقراطية، كما يدعي

لبعض، بل إنها طريق لبحثنا عن ذلك، وحولت انتباهنا وأنظرنا عن مشكلاتنا الاجتماعية والصحية والتربوية التي تعاني منها فعلا على كوكبنا، وشغلنا بمشكلات ناهية خلقها بنفسها وانصهار. وليس التقدم والتنظيم، حطت بغير هوان، من قدر القيم الإنسانية النبيلة، والتفاعلات الاجتماعية البناءة.

ويذهب مع ستول في نظريته النافذة لثقافة الانترنت، باحث آخر هو وليام ريتش، ولكن من منظور آخر. إذ يرى ريتش أن ثقافة شبكات الانترنت هي ثقافة استقصائية، تقوم على حرمان الكثير من الطبقات والمجتمعات الفقيرة، من استخدام هذه الشبكات في تزويدها بالثقافة بالنظر الذي تزوده لاولئك الذين تمكنهم لمكانياتهم المادية من ذلك (Wreash, W, 1996).

وهذا مجموعة أخرى من الباحثين، لهم وجهات نظر متقاربة من وجهات النظر السابقة؛ فهم روى أن الاتصال الإلكتروني، قد وصل، على تقنيات المكاتبات الاجتماعية بين الأفراد، وحول ما كانت تتمتع به من نفاذ وحصرية إلى برود وفور، وغير كمالات تفاعلاتهم الاجتماعية، وفتح أمامهم مسارب سلوكية أضرت بقومهم وأخلاقهم، وشجع على الخروج على القيم الاجتماعية والثقافية لمراسخه وعلى تعدي قيود الضبط الأسري والمجتمعي، وسهل للفرد أمام الكثير لإقامة حالات عاطفية دون موافقة الأسرة ورضاها أو توجهاتها؛ إضافة إلى ما خلقه من مشكلات جديدة غير مألوفة من قبل، كتبدل الحب الاجتماعي والوجداني بين الشباب، واخترابهم النفسي، وعزلتهم الاجتماعية، وانتشار قيم الاستهلاك بينهم.

لهذا ريتشارد بليك، على سبيل المثال، يرى أن القرية التكنولوجية الصغيرة التي رحب بها ملكوهان في بداية الستينيات، والتي رأى فيها منجزاً من أهم التغيرات التي حققتها الثورة الاتصالية، لم يعد لها وجود في الوقت الحاضر؛ فالتطور التكنولوجي المذهل في مجالات الاتصالات، زاد في تصغير هذه القرية وتفتيتها محولاً لها إلى أشبه ما تكون بمجموعة من العمارات أو القناتات الضيقة التي تضم عشرات الشقق السكنية التي يقم بها الناس كثيرون، لكن كلاً منهم يعيش في عزلة واختراب من الآخر الذي يسكن معه سواء في تلك القناتة أو حتى الشقة نفسها. (شكر عبدالحميد، 2005).

إن مشكلة الاغتراب النصي والاجتماعي التي نجمت عن الإنترنت، كوسيلة من وسائل الاتصال الالكتروني التي يتحدث عنها بليك، ليست، في الحقيقة، سوى مشكلة واحدة من مشكلات كثيرة أخرى أوجدتها هذه الوسيلة الاتصالية؛ فمن أبرز المشكلات وأكثرها خفية، مشكلة عيش للشباب في ما يسمى بالعالم الافتراضي (Virtual Realities) التي خلقها لهم الإنترنت. فهذه المشكلة، وإن بدت للوهلة الأولى شكلاً من أشكال العزلة النصية أو مظهراً من مظاهرها، إلا أنها في حقيقة الأمر خلاف ذلك، والنتائج المترتبة عليها تختلف عن النتائج المترتبة من العزلة النصية.

لقد خلق الإنترنت للشباب، في رأي بعض الباحثين الاجتماعيين، عوالم ثالثة، يعيشون فيها عوضاً عن عوالمهم الحقيقية، أطلقوا عليها عوالم 'ما بعد الواقع' أو 'العوالم الافتراضية - المنعزلة'. إنها عوالم تقوم على التصور والتخييل، ويمكن فيها إرسال الصور واستقبالها وتوزيعها والتحكم فيها وتزيينها وتركيبها، ويبدو فيها الأشياء والظواهر 'كما لو' أنها حقيقية (As if phenomena)، أو ملموسة أو حيوية، عوالم مليئة بالصور التي تشبه الأصل أو تضاهيه، وربما تتفوق عليه وتغارقه، عوالم جرى تشكيلها إلكترونياً، يتصرف فيها الأفراد 'كما لو' كانوا يواجهون ظواهر حقيقية، وهي ليست كذلك. إنها باغنصر عوالم ثالثة ليس فيها سوى صور في صور في صور (المصدر السابق).

وذهب بعض الباحثين، وفي مقدمتهم أنتوني جودنز (Giddens, A, 1990)، ولورينس بيك (Beck, U, 1992)، وجون تومسون (Thompson, J, 1995)، وكاستلز (Castells, M, 1996) وزوبف (Zuboff, S, 1988) إلى إبراز مشكلات أخرى أكثر خطورة، نجمت عن هذه الثورة التكنولوجية ترتب عليها، برأيهم، مخاطر صيفة، تحتم علينا إعطاؤها أولوية قصوى حين نريد أن نتعامل مع المشكلات الناجمة من ثقافة الإنترنت بشكل عام.

وتتصدر مشكلة تصنيع (Manufacturing) الاتصال الإلكتروني المخاطر والقموض (Risk and Uncertainties) في المجتمعات الحديثة قمة هذه المشكلات؛ فلا أحد يستطيع أن يقلل من دور الثورة التكنولوجية في تصنيعها للمخاطر البيئية، كما يرى بيك (Beck, U, 1992) ذات الأخطار الكارثية على مستقبل البشرية جمعاء، ولا أحد ينكر عمق القشور بالضياع الذي يلتفت الإنسان للعالم، والاحساس بالثقل والقموض الذي يحترق حول مصيره ومستقبله، كما يرى كل من جينز، وزايف، وكاستلز.

لم نخبر المجتمعات، في الواقع، عبر مراحل تغيرها الاجتماعي والثقافي، الذي يرافقه في العادة شيء من الاضطراب وعدم الوضوح وصداية الرؤية في بداياته الأولى، مرحلة كان مستقبلها ومصيرها فيها غامضاً ومشوشاً، ولقاء ومفصلاً بالمخاطر والأزمات بمختلف أشكالها، مثلما هي في هذه المرحلة؛ كما أنها لم تمر بحالة من العجز من حيث سيطرتها على مجريات حياتها اليومية، ومن حيث قوة الدور والقوة في مواجهتها للمخاطر التي تتعرض لها، كالمرحلة الحالية التي نعيشها، فالعالم الذي نعيشه الآن، يفت من بين أيدينا كقبضة الماء، ويهرب أمامنا كالخيال ونحن نتفرد عليه، ولا نستطيع أن نملك به، أو نتمكن من لحاقه؛ وذلك بحكم التطور السريع في تكنولوجيا الاتصال الإلكتروني الذي يغرق الوصف والخيال، واستغلال هذه التكنولوجيا في تحقيق مصالح ذاتية لمجموعة من "عشار" و"هبات" ككبر مؤسسات وشركات عملاقة عابرة للقارات. ولعل عالم الاجتماع الطرني جينز على حق حين وصف هذا العالم بأنه "العالم الشارد". (Runaway World) (Giddens, A, 1999).

وعلى أية حال، ترى الأدبيات الحديثة في النظرية الاجتماعية والثقافية، بأننا نعيش في زمن ثقافي من نوع خاص، قام جينز بتلخيص أهم خصائصه وسماته الثقافية بما يلي:

1 - أن التحولات والتغيرات الاجتماعية والثقافية التي يتصف بها الزمن الثقافي الحالي، هي تحولات ذات صبغة نابذة وطاردة للأفراد، وذات خصائص ثقافية مشوشة ومضطربة.

2 - أن الأفراد في المجتمعات التي يسودها هذا النوع من الثقافة، هم أفراد مقطوع الأوصال، بسبب استغراقهم وحيواتهم في حبرات يومية مجرأة ومبعثرة، تعوزهم الرؤية الشمولية المتمسكة للحياة.

3 - يشعر الأفراد في هذا النوع من المجتمعات التي يسودها هذا النوع من الثقافة بالمعز وضغط المقنونة وقلة الحيلة أمام طغيان العولمة وجبروتها.

4- تطو حياة الأفراد اليومية في هذه المجتمعات الثقافية من أي معنى، بسبب ما يسود هذه المجتمعات من أنظمة عريضة جفلة تقتصر على الحياة والديناميكية؛ إذ تعمل هذه الأنظمة على تعريض حياة الأفراد اليومية من مغراها ودلالاتها (Giddens, A, 1990).

وإذا كانت هذه الظروف سائدة بالفعل في المجتمعات العربية، وكانت هذه الخصائص هي ما يميز الثقافة السائدة فيها، فلا شيء فيها يأسف الناس على صياغة أو خسارته، كما يقول جيمس سلف بحرفة وكيم (Slevin, J, 2000)، ولا عجب أن يصفها ليونار (Lyotard) بالثقافة الزائفة (Fake Culture)، التي كل شيء فيها مقبول وجائز " (Any Thing Goes) (كما وردت في سلفين 2000).

ربما لا يكون الشباب في المجتمع القطري والعربي يعانون من لدغة المشكلات فلسفية بنفس الدرجة التي يعاني منها الشباب في المجتمعات الغربية، بسبب اختلاف الظروف المجتمعية. ولكن هذا لا يعني أنهم في أماكن من هذه اللدغة، أو أن عددا منهم يعاني منها دون أن نعلم. فالدراستات الاقتصادية في المجتمع العربي تشكو، في الحقيقة، من قصور واسع في معرفة مدى انتشار مثل هذه المشكلات بين الشباب، ومن فقر وقلة أيضا في تحديد الخصائص الثقافية للاتصال الإلكتروني في هذا المجتمع.

ومن هذا المنطلق، تأتي أهمية الدراسة التي قمنا بها؛ فقد حاولت ولوج هذا الباب من الدراسات الميدانية - التطليلية، التي تُعنى بتحليل ثقافة الإنترنت، وانعكاساتها على الشباب العربي، على أمل أن تهيء الفرصة أمام بعض الباحثين الاجتماعيين في المجتمع العربي لإجراء المزيد من الدراسات في هذا المجال

التقني، ومتابعة النتائج التي توصلنا إليها هذه الدراسة، والبناء عليها، أو على بعضها. وفي هذا المحدد، يمكن إجمال ما توصلت إليه الدراسة من نتائج في هذا المجال كما يلي:

1- اعتماد الشباب على الاتصال الإلكتروني: حجم الظاهرة ودلالاتها

أوضحت الدراسة أن الشباب جميعهم يستخدمون الاتصال الإلكتروني في حياتهم اليومية، بصرف النظر عن أعمارهم، أو مستوياتهم التعليمية، أو أوضاعهم الاجتماعية والمهنية، بنسب متفاوتة وبخبرة لا بأس بها. وإذا كان لهذه النتيجة من دلالة فتكمن في تلك المكانية الاتصالية التي بدأ يحتلها الاتصال الإلكتروني بين وسائل الاتصال الأخرى الموجودة في المجتمع.

تقد اتضح من الدراسة أن أعلى نسبة مئوية من أعمار الشباب، هي نسبة الفئة التي تراوحت أعمارهم فيها ما بين (20-23) سنة؛ حيث بلغت هذه النسبة (27.8%)، تلتها نسبة الشباب ممن هم في الفئة العمرية المحصورة ما بين (26-29) سنة، حيث بلغت هذه النسبة (18.9%)، ولما قل النسب تمثيلاً في العينة فهي نسبة الشباب ممن تراوحت أعمارهم ما بين (14-17) سنة، حيث كانت هذه النسبة (6.4%).

ولما فيما يتعلق بحجم ظاهرة استخدام الانترنت، كوسيلة اتصال إلكتروني، بين المستويات التعليمية المختلفة للشباب، فقد أوضحت الدراسة أن المستوى التعليمي الجامعي كان هو الأعلى بين هذه المستويات؛ حيث كانت نسبة الشباب ممن يستخدم الانترنت في هذا المستوى (50.6%)، تلتها المستوى التعليمي الثانوي، حيث كانت نسبة مستخدمي الانترنت من الشباب في هذا المستوى (32.0%). ولما قل للمستويات التعليمية استخداماً له فهو المستوى الابتدائي؛ حيث أوضحت النتائج أن للنسبة المئوية لمستخدمي هذا المستوى كانت (0.4%).

ولما فيما يتعلق بحجم هذه الظاهرة بين الأوضاع الاجتماعية لهؤلاء الشباب، فقد لحت الشباب العزاب منهم المقام الأول بين الأوضاع الاجتماعية الأخرى؛ حيث بلغت نسبة هؤلاء الشباب ممن يستخدمون الانترنت (55.8%). ولما الشباب

المترشحين منهم، فقد كانت نسبتهم (31.8%)، وأما أقل النسب استخداماً، كما نلت النتائج، فقد كانت نسبة للشباب الأرملة؛ حيث لم يستعمله منهم سوى ما نسبته (0.8%).

وأما فيما يتعلق بخلفية الشباب المهنية، فقد أوضحت الدراسة أن أكثرهم، وهي (38.6%)، تعمل في القطاع الحكومي (الشرطة، الدوريات، التدريس، المستشفيات، البريد، الكهرباء والماء، صربية الدخل، موظفون إداريون في الجامعة). وأما ثاني أعلى المهن من حيث نسبة استخدام الشباب فهي للتدريس فهي مهنة "الدراسة"، أي الطلبة المترشحين للدراسة؛ حيث بلغت هذه النسبة (28.6%). وأما من لا يعمل من الشباب، أي الباطل عن العمل، فقد كانت نسبتهم هي (12.7%). وأما نسبة من يعمل في القطاع الخاص فقد بلغت (10.2%)، وقد نلت للدراسة أيضاً في وجود ما نسبته (4.9%) من الشباب ممن يعملون أصلاً حرة، ووجود ما نسبته (4.4%) منهم يعملون ويدرسون في نفس الوقت.

وأما من حيث دخولات أسر الشباب الشهرية، فقد أوضحت الدراسة عن وجود تقارب فيها؛ حيث بلغت نسبة من انحصر دخل أسرته منهم ما بين (12.500-15.000) ريال قطري هي (19.5%)، ثم نسبة من انحصر دخل أسرته ما بين (10.000-7500) هي (18.4%). وأما من زادت دخولات أسرهم الشهرية عن (15.000) ريال شهرياً فقد كانت (7.2%). وقد أوضحت نتائج الدراسة أن هذه الدخولات لم تترك فروقاً واضحة بين الشباب فيما يتعلق بالتأثيرات التي تركها الإنترنت عليهم، وربما يعود السبب في ذلك إلى تقارب هذه المستويات من الدخولات الشهرية لدى أسر هؤلاء الشباب.

وأما فيما يتعلق بحجم الظاهرة من حيث عدد ساعات استخدام الشباب للإنترنت، فقد تبين أنهم غير مفرطين في هذا الاستخدام؛ إذ لم تزد هذه الساعات عن (2-4) ساعة في اليوم لدى أعلى نسبة من مستخدميهم وهي (38.6%)، تلتها فئة الشباب ممن يستخدمونه أقل من ساعتين في اليوم؛ حيث كانت النسبة (30.5%). وأما الشباب الذين يستخدمونه أكثر من (6) ساعات يومياً فقد كانت نسبتهم المتوية (9.5%).

وأما فيما يتعلق بعدد سنوات خبرة الشباب في استعمال الإنترنت فقد توصلت الدراسة إلى أن النسبة الأعلى بينهم كانت لأولئك الذين لديهم ما بين (2-4) سنوات خبرة، إذ بلغت نسبتهم (34.9%)، ثم بلغت ثلثي أعلى نسبة من حيث عدد سنوات الخبرة (34.6%)، وكانت لأولئك الشباب الذين لديهم مثال من الخبرة في استعماله. وأما ثالث أعلى نسبة استخدموا للإنترنت بين الشباب فقد انحصرت في الفئة ما بين (4-6) سنوات، حيث بلغت النسبة لهذه الفئة (17.4%). كما كشفت الدراسة أيضاً أن نسبة من لديهم أكثر من ثماني سنوات خبرة في هذا الاستخدام لم تزد عن (0.6%).

وفي نهاية هذا الجزء، نود التأكيد على نتيجة مهمة كشفت عنها الدراسة وهي عدم وجود فروق جوهرية وحقيقية بين المتغيرات الأساسية السابقة جميعها، وبين ما تركه لهم الإنترنت من تأثيرات، اللهم إلا في بعض الحالات، كمتغير الجنس.

وبخلاف المتغيرات الأساسية السابقة، فقد كشفت الدراسة عن وجود علاقة قوية بين تأثيرات الإنترنت على الشباب وبين المتغيرات الاجتماعية التي استخدمتها الدراسة. إذ تبين وجود دور فاعل للأسرة في حياتها للشباب من تعرضهم لتأثيرات الإنترنت السلبية؛ إذ عملت الأسرة كجماعة مرجعية بسيطة، على التخفيف من تأثيرات الإنترنت السلبية على هؤلاء الشباب، وعملت في الوقت نفسه على تعميق فوائدهم من الإنترنت.

وبدا ذلك واضحاً في جميع المجالات التي استخدم فيها الشباب الإنترنت فالأسر التي كانت تعامل أبنائها بطريقة ديمقراطية قائمة على الاحترام المتبادل، والحوار والنقاش، وساد فيها تفاعل مباشر بينها وبينهم، استفاد الشباب فيها من الإنترنت أكثر مما استفاد الشباب ممن لم يتمتعون بمثل هذا النوع من العلاقات الأسرية، إضافة إلى أن تأثيرات الإنترنت السلبية عليهم كانت أقل من تأثيرات الإنترنت على النوع الثاني منهم.

ربما تكون هذه النتيجة غير جديدة لدى العاملين في مجال سوسيولوجيا الاتصال، فهي مثبته في أدبيات دراستهم. ومع ذلك فإن التوصل إليها بطريقة في

هذا النوع من الدراسات في المجتمع العربي، يعطها نتيجة جديدة بالذکر، والتشديد عليها، ولفت الأنظار إلى أهميتها في عصر الاتصال الإلكتروني. إن مثل هذا التأكيد على الأسرة، كجماعة مرجعية للشباب، يعيد إليها هيبتها وحيويتها وينعش مكانتها، ويؤكد على دورها الفاعل في عملية التنشئة الاجتماعية، في زمن بدأ مثل هذا الدور بالتراجع والتقصص والانكماش.

2- الاتصال الإلكتروني: خبرات ممكنة وآفاق مفتوحة

كشفت نتائج الدراسة عن وجود دلائل تشير إلى بروز نمط جديد من الاتصال في المجتمع يضاف إلى أنماط الاتصال الأخرى الموجودة، ألا وهو الاتصال الإلكتروني عبر الإنترنت. ومع أن هذا النمط الاتصالي الجديد لا يزال في مرحلته الجانبية إلا أنه مرشح لاحتلال مكانة لرقى بين الشباب في السنوات القادمة نظراً لتزايد اعتمادهم عليه في تكوين علاقاتهم العاطفية بشكل خاص، والاجتماعية بشكل عام.

لذا نلت النتائج أن نسبة الشباب الذين تأثرت علاقاتهم الاجتماعية المباشرة مع أصدقائهم بسبب تشغالهم عنهم بالإنترنت كانت قد بلغت (43%)، كما بلغت نسبة الشباب ممن تأثرت علاقاتهم المباشرة أيضاً مع أسرهم للسبب نفسه (44.4%). ومع أن هذه النسب غير مرتفعة نسبياً إلا أنها مرشحة لذلك في السنوات القادمة وبخاصة بين الجنسين لأن طبيعة العلاقات الاجتماعية في المجتمع القطري لا تسمح بالاتصال وجها لوجه، إلا على نطاق محدود جداً، مما قد يدفع الشباب لاستخدام وسائط أخرى كالإنترنت أو الهاتف المحمول لإشباع هذا الدافع الأساسي من دوافع الحياة الاجتماعية والاتصالية.

إن هذا العامل الثقافي - الاتصالي في المجتمع القطري، يولّي في أهميته للعامل المادي - الاقتصادي في المجتمعات الرأسمالية من حيث إمكانية احتلال الإنترنت مكانة لرقى في المستقبل، فمثلما إحتدنا على هذا العامل المادي، من بين عوامل أخرى بالطبع، في تدوينا لاحتلال الإنترنت مكانة أكثر أهمية في تلك المجتمعات، فإننا نتوقع أن يحتل الإنترنت المكانة نفسها في المجتمعات العربية التي

لا تسمح بنماذجها الثقافية والاجتماعية بالاتصال المباشر بين الجنسين. إن طبيعة البناء الاقتصادي والثقافي لأي مجتمع هو الذي يشكل، في الواقع، أنظمتة الاتصالية، وهو الذي يحدد لها من وسائله الاتصالية ستجح أو ستفشل في أن تصبح أنظمة اتصالية معتمدة أكثر من غيرها.

وإذا ما أضعنا إلى المعامل الثقافي السابق علماً آخر، يتعلق بالمشاعر والمخاوف المكونة عبر هذه الوسيلة الاتصالية، لزادت صدقية توقعاتنا فيما يتعلق بمكانة الإنترنت مستقبلاً في المجتمع كنظام اتصالي من نوع خاص. إذ دفعت العلاقات العاطفية لمشكلة عبر الإنترنت للشباب إلى لقاءات مباشرة وجهاً لوجه؛ حيث أشارت النتائج إلى وجود ما نسبته (38.6%) من الشباب، كانت علاقاتهم العاطفية المكونة عبر الإنترنت قد قادتهم إلى لقاءات حرة متجاوزين بذلك الضغوطات الاجتماعية الصارمة المفروضة على هذا النوع من الاتصال بينهم.

وبالإضافة إلى ما سبق، يبقى هناك مؤشر آخر يدعم وجهة نظرنا حول احتمالية تشكل الإنترنت كنظام اتصالي جديد في المجتمع، ألا وهو تسهيل هذه الوسيلة الاتصالية لعملية الزواج من خارج دوائر العلاقات القرابية. إن العلاقات العاطفية المكونة عبر الإنترنت بين الجنسين، لم تكن ذات قوة دافعة للقاءات مباشرة بينهم فحسب، بل ذات قوة دافعة أيضاً نحو إقامة علاقات زواجية.

تقد دفعت هذه العلاقات ما نسبته (28.8%) من الشباب بالتفكير بالزواج من إحدى المعارف التي تعرفوا إليها عبر الإنترنت. صحيح أن نسبة هؤلاء الشباب هي نسبة متدنية نسبياً ولا تعادل نسبة من لا يفكر منهم بذلك، (70.5%)، ومع ذلك فإنها بالإضافة إلى نسب الشباب السابقة مس قر إتصاتهم الإلكتروني على علاقاتهم المباشرة بأصدقائهم وأسرهم (43% و 44.4%)، تبقى نسبة لا يستهان بها حين نريد أن نقيم الدور الذي لعبه الاتصال الإلكتروني في التأثير على العلاقات الشخصية المباشرة في مجتمع تقليدي محافظ في زمن قصير، وانطه على مفاهيم الزواج السائدة في هذا المجتمع أيضاً.

إن الخبرات المفتوحة، والاتفاق الجديدة التي أتاحتها هذا النوع من الاتصالات الإلكترونية للشباب بخصوص الزواج والقناعات المباشرة بين الجنسين، لا يعنى قبولاً بها أو رفضاً لها، بقدر ما يعنى إقرارنا بوجودها كمظهر من مظاهر التغيير الثقافي الذي أحدثته هذه الاتصالات على مفهوم العلاقات العاطفية وعلى مؤسسة الزواج في المجتمع بزمان قصير. إذاً يجب أن لا نصدر على هذا الشكل الجديد من العلاقات أحكاماً قومية (Value-Judgments) في الوقت الحاضر، لأن مثل هذه الأحكام ستكون أحكاماً متسرعة واستباقية تعبرها الثقة، شأنها في ذلك شأن تلك الأحكام المتسرعة التي كان يصدرها المجتمع على العلاقات العاطفية وأشكال الزواج الجديدة التي كانت لا تتوافق مع مفهوم العلاقات السابقة، ولا مع أشكال الزواج المقبولة آنذاك في المجتمع.

ومما يجب ذكره في هذا الصدد، هو أن مؤسسة الزواج في المجتمع العربي، كانت قد شهدت، تغيرات واضحة في بعض جوانبها في العقود الثلاثة الماضية، وبخاصة في مجال اختيار الفرد لشريك حياته. وليست النسبة السابقة من الشباب القطري الذي لا يطلع في الارتباط بإحدى المعارف التي تعرف إليها بواسطة الإنترنت إلا دليلاً جديداً على هذا التغيير المستمر. فبعد أن كان الزواج في السابق محصوراً في دائرة قرابية أو مكانية ضيقة لا تتعدى الحي أو القرية، نجد أنه الآن لتسع وتمتد بفضل الإنترنت خارج هذه الحدود.

لقد كان الزواج في بعض المجتمعات العربية في الماضي غير البعيد، يرثيه الآباء لأبنائهم، بطرقهم الخاصة (Arranged Marriage)، إما من العشيرة أو القرية أو الحي، دون أخذ رأي الشباب فيه. إنه في كثير من الأحيان شل لسري أو عائلي.

ولكن هذا النمط التقليدي من الزواج لم يعد مقبولاً في الوقت الحاضر، وذلك بحكم التغيرات الثقافية والتنظيمية والاقتصادية والاتصالية والاجتماعية التي طرأت على المجتمع العربي بشكل عام، ومؤسسة الزواج بشكل خاص. لقد أعطت هذه التغيرات حرية أوسع للفرد في اختيار شريك حياته، تتحدى حدود قرية والعشيرة والمجتمع الكبير أيضاً.

وبدخول الإنترنت، كأحد أهم وسائل الاتصال الحديثة التي أحدثتها ثورة الاتصالات المعاصرة في المجتمع العربي، حدث "تقلاب" آخر غير مسبوق في مفاهيم الزواج؛ إذ عمل الإنترنت على توسيع مجالات الاختيار أمام الفرد؛ ففتح أمامه أبواباً وآفاقاً في الأرض ليختار منها زوجة لم تكن تخطر على بال أحد قبل عصر ملوك، يهتبرها البعض صرباً من "الجنون"، وشكلاً من أشكال "الصباغ" الذي سببته الاتصالات الإلكترونية للشباب العربي في الوقت الحاضر.

ولكن الواقع خلاف ذلك؛ فمن يدري ما يقضي إليه هذا "الانقلاب" في مفاهيم الزواج في السنوات القادمة؟ هل سيصبح هذا الشكل من الزواج أمراً شائعاً ومألوفاً ومقبولاً؟ وهل سيكون المجتمع عن النظر إليه بأنه "جنون غير مبرر"؟ وهل للمشكلات التي قد تنجم عنه مستقبلاً ستكون مختلفة عن المشكلات المألوفة في أشكال الزواج الشائع هذه الأيام؟ وهل الطلاق هو مصيره المحتوم؟ إن الوقت لا يزال مبكراً للتنبؤ بكل ذلك.

3- الاتصال الإلكتروني والتفاعل الاجتماعي: رؤية جديدة

أدى الاتصال الإلكتروني إلى تغيير جوهري في المفهوم التقليدي للتفاعل الاجتماعي، وبخاصة ذلك الذي يقتضي تزامن الأطراف المتفاعلة في مكان واحد؛ فلم تعد هناك ضرورة في عصر الاتصال الإلكتروني لتمثل هذا التزامن أو التواجد في مكان واحد، ولم يعد الاتصال وجهاً لوجه شرطاً أساسياً من شروط هذه العملية الاجتماعية؛ فقد لُوحِد الإنترنت بتقنيته المتطورة، شكلاً جديداً من أشكال التفاعل الاجتماعي أطلق عليه قباحث كومبيوتر مصطلحاً خاصاً هو "تتبه لتفاعل"، كما بينا ذلك في الإطار النظري للدراسة. ويتصف هذا النوع من التفاعل بالخصائص نفسها التي يتصف بها التفاعل المباشر إلى حد كبير.

لقد كشفت الدراسة، في الحقيقة، عن خطئة في العلاقات التفاعلية بالمعهوم التقليدي لها، بين الشباب وأسرهم وعلاقاتهم؛ إذ اتضح أن هناك ما نسبته (54%) منهم لم يعودوا يجلسون مع أسرهم ويتبادلون معها أطراف الحديث في القضايا العامة كما كانوا يفعلون قبل دخول هذا النوع من الاتصال إلى مجتمعهم وتعودهم

عليه. كما اتضح أيضا أنهم لم يعودوا يقومون أيضاً بزيارات لأقاربهم أو بشركون في النشاطات العائلية، لأنه لم يعد لدى ما نسبته (44.7%) منهم الوقت الكافي لذلك، فقد 'باعد' الإنترنت بينهم وبين أسرهم وأقاربهم جسدياً. ولما علاقات هؤلاء الشباب بأقاربهم، ومضاعفهم نحوهم، فإنها لم تتغير كثيراً عما كانت عليه قبل تعودهم على هذه الوسيلة الاتصالية. إن الذي تغير، في الواقع، هو مفهوم التفاعل الاجتماعي وليس مضمونه المضاعفي.

وفي الوقت الذي وجدنا فيه الإنترنت 'يباعد' جسدياً بين الشباب وأسرهم وأقاربهم قريبين منهم دخل مجتمعهم، نجده في الوقت نفسه يقارب نفساً ونفساً وعاطفياً بينهم وبين أفراد أسرهم البعيدين عنهم، ويعمق من تفاعلهم الاجتماعي معهم، على الرغم من سعة المسافات التي تحول دون لقاءهم بهم وجهاً لوجه؛ إذ بلغت نسبة الشباب ممن يستخدمون الإنترنت لهذه الغاية (67.1%).

ولعل هذه المزية النفسية – التفاضلية للاتصال الإلكتروني هي من أهم المزايا التي تنطفا على حث الشباب إلى استكمال الإنترنت من أجل تميق التفاعل والتواصل 'ص بد' بينهم وبين أصدقائهم ومعارفهم وأفراد أسرهم البعيدين عنهم، وذلك من أجل إبقاء أواصر المحبة قائمة، وجسور التواصل متينة وقوية.

4- البعد العلاجي – التطهيري في الاتصال الإلكتروني

كشفت الدراسة عن وجود نسبة عالية من الشباب وصلت إلى (71.1%) كان الإنترنت قد ساعدها على تحرير نفسها بنصها أمام الآخرين، فالمعلومات والمعارف والمهارات التي جناها هؤلاء الشباب من الإنترنت، عملت على زيادة شعورهم بأهميتهم، وإكسابهم ثقة بذواتهم أمام الآخرين في المناقشات والحوارات السياسية والثقافية والأدبية العامة، وبخاصة فئة الشباب الذكور منهم.

إذ دلت النتائج على وجود ما نسبته (41.2%) من الذكور، ووجود ما نسبته (29.9%) من الإناث، وبخاصة ممن تقع أعمارهم في الفئة العمرية (20-23) سنة، كانوا قد استثمروا هذه المعلومات والمعارف التي اكتسبوها من الإنترنت في تعزيز ثقتهم بأنفسهم. وكل هذا وانصباً لدى أولئك الشباب ممن يتمتعون بعلاقات

لوية مع أسرهم، ومن كانت تعاملهم أسرهم معاملة ديمقراطية قائمة على احترام لأرائهم ووجهات نظرهم في القضايا التي تتطلب منهم إبداء آرائهم فيها.

ولم تقتصر مزايا استخدامات الشباب لهذه الوسيلة الاتصالية على مجرد تعزيز ثقتهم بأنفسهم فحسب، بل امتدت لتشمل جانباً آخر من جوانب شخصياتهم لا يقل أهمية عن الجانب السابق ألا وهو ذلك المتعلق بحل مشكلاتهم النفسية والعاطفية إذ كشفت الدراسة عن وجود ما نسبته (57.1%) من هؤلاء الشباب كفوا قد لجأوا إلى بعض المواقع المتخصصة في الإنترنت لحل المشكلات العاطفية والنفسية عليهم بدون لدى ذوي الاختصاص فيها ما يساعدهم على التخلص من مثل هذه المشكلات والاحباطات النفسية والاجتماعية التي لم يكن بمقدورهم التحدث عنها بشكل مباشر ووجهي مع أسرهم أو حتى مع هؤلاء الخبراء أنفسهم بشكل مباشر.

ومواء كانت استعانة الشباب بالإنترنت من أجل التخلص من مشكلاتهم النفسية، أو لمجرد الهروب من واقعهم اليومي المأزوم بالمشكلات المختلفة، فالنتيجة واحدة وهي: شعورهم بالفراغ نفسي أزاح عن صدورهم الضيق والتوتر الذي يعانون منه، مما جعلهم ينظرون إلى الحياة نظرة جديدة مثقلة وسعيدة. وبذا يكون الإنترنت قد قام بدور علاجي في حياة هؤلاء الشباب لا يقل كفاءة عن الدور الذي يقوم به الطبيب النفسي.

إن هذا البعد العلاجي – التطويري الذي يقوم به هذا النوع من الاتصال الإلكتروني هو، في الواقع، من أهم الأبعاد النفسية التي يتوجب على العاملين في المجال النفسي إجراء المزيد من البحوث الميدانية عليها من أجل التعرف في أهميتها وتبيان آليات عملها.

ومن الأبعاد النفسية الأخرى لهذا النوع من الاتصال، هو لجوء الشباب إليه من أجل البوح عما في صدورهم من مشكلات عاطفية يعانون من الإفصاح عنها والتحدث فيها وجهاً لوجه مع أهلهم؛ إذ أجاب ما نسبته (63.2%) من الشباب بأنهم يؤثرون البوح عما في صدورهم من مشكلات نفسية وعاطفية في هذه الوسيلة أكثر من أي وسيلة أخرى.

ولم يقتصر تفصيل الشباب للإنترنت من أجل إصباحهم عن مشكلاتهم المطلوبة فقط، بل أنهم يفضلونه على وسائل الاتصال الأخرى المتاحة لهم. فهم يجدون أنفسهم أكثر جرأة وصراحة وافتحاشاً في التحدث عبر الإنترنت عن مشكلاتهم العامة من التحدث عنها بشكل مباشر حتى مع أسرهم. إذ بلغت نسبتهم في هذه العينة (57.4%) وهذا بعد نصي آخر، يضاف إلى البعدين السابقين من الأبعاد التي أتاحتها الاتصال الإلكتروني للشباب.

إلام يعزى (Attribute) تفصيل الشباب لهذا النوع من الاتصال من أجل النجوع عن مشكلاتهم؟ هل يعزى إلى سمة الخجل التي يتصف بها الشباب القبطي من كلا الجنسين بشكل عام؟ أم أنه يعزى إلى ما يتيح الاتصال الإلكتروني من خصائص ومزايا؟ إن الإجابة عن هذا التساؤل تبقى بحاجة إلى دراسة أخرى يترجم على الباحثين الاجتماعيين القول بها بشكل تفصيلي، علماً أننا سيأولون إلى ترجيح الاحتمال الثاني، لأن هذا النوع من الاتصال يتمتع بخصائص اتصالية قل أن يتمتع بها غيره، فهي، على سبيل المثال، "تحرر و"انعلاّت" من بعض القيود الاجتماعية والشخصية التي تقتضيها أنواع الاتصالات الأخرى، كالاتصال المباشر مثلاً، مما يسمح للفرد بالترار جوانب عديدة من شخصيته، ويروج عن أمور خاصة من ذاته لا يبرزها عادة أو يروج عنها في حقة الاتصال الشخصي المباشر.

3- الاتصال الإلكتروني: أدوار جديدة ووظائف متعددة

أظهرت نتائج الدراسة أن الشباب يعانون من فراغ كبير في حياتهم، ويعودهم للكثير من المرافق العامة التي قد يجدون فيها ما يساهم، ويروج عن أنفسهم، ويرجون فيها أوقات فراغهم. لذا وجدوا في هذه الوسيلة الاتصالية كل ما يظنون من ذلك؛ إذ بلغت نسبة الشباب ممن استخدموها لهذه الغاية (73.7%). وهذه النسبة هي من أعلى النسب في مجتمع الدراسة التي استخدم الشباب هذه الوسيلة من أجلها؛ مما يدل على مدى اعتمادهم عليها وحاجتهم لها في إشباع هذه الحاجات النفسية. والأمر اللافت للنظر هنا أيضاً هو أن الفراغ والعمل هو حالة عامة منتشرة بين جميع الفئات العمرية والمستويات التعليمية، وكذلك بين الجنسين بصرف النظر عن حالتهم الاجتماعية، فالمتروجون يعانون من ملل وفراغ متعلماً يعاني غير

المتزوجين. وقد اتضح أيضاً أنه حتى المتزوجين والمتزوجات ممن تربطهم علاقات قوية مع أزواجهم وأسرتهم يعانون من فراغ وملل في حياتهم اليومية؛ حيث كان هناك ما نسبته (49.7%) من الشباب المتزوجين من كلا الجنسين يعانون من فراغ وملل ورتابة في حياتهم اليومية. ولولا وجود الإنترنت كوسيلة ترفيه في حياتهم، لكانوا قد شعروا باختناق قاتل وسلم محو.

ومع ذلك يجب التأكيد هنا على أمر في غاية الأهمية يتعلق بالتأثيرات الضمنية للترفيه الذي تقوم به هذه الوسيلة على ثقافة الشباب. صرح أن الشباب كانوا قد استثمروا في الترفيه عن أنفسهم، وقتل الفراغ والملل الذي يعانون منه، ومع ذلك يجب على الدارسين توخي الحرس والحذر من الفهم الخاطئ لهذه الوظيفة التي يقوم بها الإنترنت في حياة الشباب وولعهم التقني.

لا شك أن الترفيه عن النفس وترجية وقت الفراغ هو حاجة أساسية من حاجات الفرد، ومطلب من مطالب نمو شخصيته، ومع ذلك، يجب التأكيد على أن برامج الترفيه التي يشاهدها الشباب في الإنترنت، ليست ذات مضامين حيادية و"نظيفة" تسعى إلى إشباع حاجاتهم وتطوير شخصياتهم، وبالمعنى الذي أشار إليه الشباب أيضاً في هذه الدراسة، إنها مضامين مشبعة بدلالات أيديولوجية، وأهداف ضمنية ذات تأثيرات بعيدة المدى عليهم، لا تقل في خطورتها عن التأثيرات التي تحدثها للمضامين الأيديولوجية للمواد الإعلامية والثقافية الأخرى التي تقدمها وسائل الاتصال الجماهيرية في المجتمع، وربما تتفوق عليها.

وفي هذه الصدد يرى الباحثون الغربيون المهتمون بالمصنوع الأيديولوجي للترفيه وأهدافه في المجتمع، وبخاصة هربرت شيلر، ورسيل نيومان وملفن دوفلور، بأن الرسائل السياسية الكامنة في الشكل الترفيهي، لا تقل في وجودها وكثافتها عن تلك الرسائل الموجودة في وسائل الإعلام الأمريكية الأخرى، ولا تقل خطورة مضامينها على المشاهد، أيضاً، عن خطورة مضامين الوسائل الأخرى. إن تقديم وجهة النظر الرسمية في نشرات الأخبار الخاصة للسيطرة الحكومية يمثل أحد الجوانب، هذا الأمر يدركه المتلقي ويضمره بسهولة، لكن المؤثرات الأكثر دقة لتحديد ما هو مقبول وما هو غير مقبول سياسياً مما يطرح كجزء من مسار رئيسي

من الإعلانات، والكوميديا والتسلية ذات الاتجاه العظمي، يمكن أن يكون أكثر تثيراً.
(كما وردت في أدوب خضور، 1999).

وفي هذا الصدد يؤكد دوقلور أن الترفيه الذي تعرضه وسائل الاتصال الجماهيرية في المجتمع الغربي، لا يقع خارج العملية الاجتماعية والاقتصادية في ذلك المجتمع. فصناعة الترفيه (Entertainment Industry)، في الوقت الحاضر في هذا المجتمع؛ وصناعة الاستثمارات في هذا المجال، من أهم الصناعات التي يقوم عليها النظام الاقتصادي، ومن أهم الصناعات التي تنتشر وتزدهر من خلالها قيم المجتمع الأمريكي وثقافته. إذ تخصص صناعة اختيار مواد الترفيه في المؤسسة الإعلامية للأفلام والمسرحيات والمجلات والمجلات التي تخضع لها المواد الإعلامية الأخرى في هذه المؤسسة، وبخاصة الأخبار السياسية والاجتماعية والاقتصادية (De Fleur, M. and Pall - Rokeach, S, 1989).

ويذهب هيربرت شيللر في الاتجاه نفسه ليركز على عدم برادة هذه المضامين أو نراحتها وحياديتها؛ إذ تخضع، برأيه، لعملية انتقاء دقيقة، ومعالجة صارمة، من أجل تقديمها وتوظيفها في خدمة النظام السياسي القائم (Schiller, H. 1974). وفي هذه الحالة تنامي الأيديولوجية الكامنة في المادة الترفيهية بالأهداف الأيديولوجية الكامنة في المادة السياسية والإخبارية، ألا وهي خدمة النظام السياسي القائم.

وتترك المضامين الأيديولوجية للمواد الترفيهية التي يتعرض لها الشباب في المؤسسة الإعلامية الجماهيرية، وبخاصة الإنترنت والتلفزيون، تأثيرات عديدة يكاد يصعب حصرها؛ إذ يؤدي هذا المصموم إلى إفساح الفرد عن وقته اليومي المعاش، وإلى حالة من اللامبالاة والتباعد الحسي، إضافة إلى أنه يعمل على تكريس السلبية وقتل الإبداع، والعزوف عن المشاركة في القضايا المجتمعية التي تتطلب منه أن يخطر فيها (أدوب خضور 1999). إن الترفيه غير الخلاق، في المؤسسة الإعلامية، كالعمل غير الخلاق، كلاهما نتاج سلطة وسيطرة، يهدفان إلى إخضاع الفرد وتجهينه واستئلامه، وصرف انتباهه عن المشكلات الفعلية والحقائق في المجتمع الذي يعيش فيه. (المصدر السابق).

وبالإضافة إلى السلبية السابقة للترفيه، تبقى هناك تأثيرات أخرى لا تقل في مخاطرها على الشباب عن المخاطر السابقة، ألا وهي تلك النمطية والتمثل الذي تريد المادة الترفيهية إيجادها لديهم. إذ يصل الترفيه إلى خلق حالة نمطية بين الشباب بهدف إبعاد عقولهم وتفكيرهم عن كل فعل خلاق مبدع من شأنه أن "يتمرد" على النظام السياسي لو ينتقده (المصدر السابق).

ويؤكد شيللر هذا الهدف المستتر للمؤسسة الإعلامية من حيث تقديمها لبرامج ومواد ترفيهية ملتقاة ومختارة بطريقة فاتكة الإثقال والحرقة. وفي هذا الصدد نجده يؤكد بأن المؤسسة الإعلامية في المجتمع الأمريكي، وبخاصة التلفزيون، تحولت إلى آلة محكمة السيطرة والهيمنة على العقول، لأنها نجحت في إقامة اتحاد ما بين برامج مسئولة البصيرة بصورة متعمدة، وما بين تكنولوجيا تبحث على الثغور، مما لخصي إلى حمول جسدي وخطابة فكرية طرد مشاهدي هذه البرامج (Schuller, H., 1974, 1992).

ولا تختلف رؤية شيللر للمضامين الأيديولوجية لمواد الترفيه في التلفزيون عن تلك المضامين الموجودة في المواد التي يحرصها الإنترنت؛ فبحكم التطور المذهل الذي شهده صناعة تكنولوجيا الاتصال، متجسدة بالإنترنت، وبحكم تزايد أعداد الشباب في الاعتماد عليه، يمكننا تصور التأثيرات السابقة لمضامين المواد الترفيهية فيه على الشباب.

ومن الفوائد الإيجابية التي توصلت إليها الدراسة أيضاً تلك الفائدة المتعلقة بقيم الشباب وممارساتهم الدينية؛ فقد جنى الشباب من المعلومات والمعارف الدينية من خلال هذه الوسيلة ما ساعدهم في تصحيح بعض المفاهيم الدينية التي لم يكن لديهم دراية ومعرفة كافية بها من قبل؛ إذ وصلت هذه المعلومات على تقوية القيم والممارسات الدينية لدى ما نسبته (65.8%) منهم؛ إذ أجابت هذه النسبة من الشباب أن استخداماتها للإنترنت لم تؤثر على ثوابتها لسلوكاتها في مواضيعها المحددة، وممارستها لشعائرها الدينية، وإنما على العكس من ذلك تماماً زادتهم تمسكاً والتزاماً بهذه المواقف والشعائر، من خلال إطلاعهم على بعض المعلومات الدينية

التي أتاحها لهم بعض المواقع في الإنترنت، والتي تحثهم على تأديتهم لواجباتهم الدينية في المناسبات التي تقتضي منهم ذلك.

وبالإضافة إلى الفوائد السابقة، هناك مجالات أخرى كانت هذه الوسيلة الاتصالية قد فتحتها أمام الشباب وهي رفع كفاءاتهم العلمية، وتطوير أدائهم المهني، وصقل هوياتهم وقيمهم وواجبهم المختلفة. لقد عمل الإنترنت على التوسع على تقدم في تحصيل الشباب المدرسي والجامعي في المرحلتين الجامعية والمدرسية، إذ استشر (68.6%) منهم المعلومات التي حصلوا عليها من الإنترنت في دراستهم وفي تحسين أدائهم في أبحاثهم، كما استفاد من هؤلاء الشباب ما نسبته (69.2%) في تنمية مواهبهم وتطوير هوياتهم، وصقل تجاربهم في مجالات فنية وثقافية ورياضية مختلفة.

ومن أهم الأدوار الإيجابية التي لعبها الاتصال الإلكتروني في حياة الشباب، كما أظهرت نتائج الدراسة، هو تمكينهم ليأخذوا من تقديم يد العون والمساعدة للمحتاجين، سواء في مجتمعهم المحلي أو العربي؛ إذ أجاب ما نسبته (57.7%) منهم أن استخدامهم للإنترنت قد مكّنهم من المساهمة في الأعمال الخيرية التطوعية مما جعلهم يشعرون بسعادة من نوع خاص.

ولعل الدور الذي يلعبه الاتصال الإلكتروني في حياة الشباب في هذا الجانب من الجوانب الاجتماعية والإنسانية، هو من أهم الأدوار التي يمكن أن يلعبها أي نوع من أنواع الاتصالات الأخرى في حياتهم الاجتماعية، بما في ذلك الاتصال الشخصي، الذي يعتبر في العادة الوسيلة الأكثر إستخداماً في مجال تقديم هذا النوع من المساعدات الإنسانية للمحتاجين. إذ يستطيع الشباب إستثمار تكنولوجيات المتقدمة التي يتمتع بها هذا النوع من الأعمال الإلكتروني، لمساهموا في تقديم خدماتهم الإنسانية للمحتاجين في أية بقعة من بقاع الكرة.

ومن الأدوار الأخرى التي قلم بها هذا النوع من الاتصال في حياة الشباب الثقافية والتي لا تقل أهمية عن الأدوار السابقة، هو تمكينه ليأخذوا من الانفتاح على

ثقافات للمجتمعات المختلفة، وتسهيله الطريق أمامهم للانضمام إلى جميعات اجتماعية وخلق رياضية، والانخراط في الحياة الاجتماعية.

وفي هذا الصدد، نتضح في الدراسة أن الإنترنت كان قد سهل على ما نسبته (63.4%) من الشباب الانضمام إلى بعض النوادي الرياضية والجمعيات الاجتماعية، سواء في مجتمعهم المحلي أو المجتمع العربي بشكل عام. وهذا الدور للإنترنت هو من الأدوار المعهدة التي أخذها الإنترنت على العلاقات الاجتماعية — الاتصال من حيث توسيع شبكات اتصالهم ودوافعهم للمعرفة الاجتماعية مطبوعاً وعربياً؛ إذ تمكن ما نسبته (79.6%) من الشباب من استثمار الإنترنت في الإطلاع على ثقافات الشعوب المختلفة وعاداتها وأماط معيشتها. كما تمكن أيضاً ما نسبته (64.5%) من هؤلاء الشباب من استثماره في التعرف على شباب وشابات من خلفيات ثقافية واجتماعية وسياسية مختلفة في الوطن العربي

وكشفت الدراسة، أيضاً، عن دور آخر من الأدوار الحيوية التي قلم بها الإنترنت في حياة الشباب الفكرية والسياسية الشباب، وهو تمكنه بإهم من المساهمة في النشاطات الفكرية والسياسية والاجتماعية؛ إذ مكن الإنترنت نسبة عالية من الشباب بلغت (67.0%) من اختراق الحدود الجغرافية ليشاركوا في قضايا سياسية واجتماعية وثقافية كان من المتحذر عليهم القيام بها لولا وجود هذه الوسيلة الاتصالية الحديثة من وسائل الاتصال الإلكتروني. إضافة إلى تمكنه ما نسبته (65.8%) منهم في التعبير عن آرائهم وتجاهاتهم الفكرية والسياسية التي لا يستطيعون التعبير عنها صراحة في المجتمع.

وهكذا، فإن الوظائف والأدوار النصية والاجتماعية والفكرية والسياسية والدينية السابقة للاتصال الإلكتروني، نجعلنا نؤكد على مدى أهميته والحاجة إلى استثماره في هذه المجالات. إلى اعتماد الشباب عليه بهذه النسب المرتفعة نسبياً، وفي المجالات المختلفة السابقة، تريد من توقعاتنا وتبدلاتنا بأنه سيصبح نظاماً اتصالياً من نوع خاص في المجتمع في المستقبل المنظور في المجتمع القطري وكذلك المجتمعات العربية ذات البناءات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المشابهة له.

6 - الاتصال الإلكتروني: مخاطر كامنة وتساؤلات مفتوحة

على الرغم من الأبعاد الاجتماعية السابقة للاتصال الإلكتروني، وعلى الرغم أيضا من الأنوار الإيجابية التي لعبها في حياة الشباب الثقافية، والحاجات النفسية التي تشبعها لهم في مجالات متعددة إلا أنه لوجد لديهم مشكلات كثيرة، ذات أبعاد نفسية واجتماعية وثقافية متباينة القوة والخطورة.

ومن أوصح هذه المشكلات، مشكلة العزلة النفسية والاجتماعية الناجمة عن إيمان بعضهم على إستخدام هذا النوع من الاتصالات الالكترونية في حياتهم اليومية. إذ كشفت الدراسة عن وجود ما نسبته (30.7%) من الشباب كانت أعراض هذه المشكلة بادية عليهم. وقد بلغت أعراض الانسحاب لدى الشباب من خلال المظاهر الثلاثة التالية:

أ- انتشار القلق والتوتر والإحباط: إذ تبين أن هناك ما نسبته (30.7%) من الشباب أحسّ بالأعراض التي يحس بها في المادة الممنون على الإنترنت كالحساس بالقلق، والتوتر والضيق إذا ما انقطعوا عن استخدام الإنترنت. وهذا الاحساس موجود لدى الإناث والذكور على حد سواء؛ إذ شعرت بهذه الأعراض من الإناث ما نسبته (14.7%)، وشعر الشعور نفسه من الذكور ما نسبته (16%).

ب- تنمر أسر الشباب: كشفت الدراسة عن وجود تنمر من قبل أسر الشباب من أبنائها بسبب انشغالهم بالإنترنت؛ إذ شكك ما نسبته (36.7%) من هذه الأسر من أبنائها بسبب عدم تقاطعهم معها كما كانوا يفعلون قبل تعودهم على استعمال الإنترنت. ولم تكن هذه الشكوى مقصورة على جنس نون سواء من الشباب، فقد اشتكت ما نسبته (18.9%) من الأسر من إيمان بناتها على الإنترنت، واشتكى لشكوة نفسها ما نسبته (17.8%) من هذه الأسر من إيمان أبنائها للذكور.

ج - خلخلة علاقات الشباب الاجتماعية بعائلاتهم: كشفت الدراسة أن استعمال الشباب للإنترنت، وتعلقهم به وإيمانهم عليه، جعلهم يتعمرون من زيارات أقربهم لهم، وينزحجون منها وينظرون إليها كعصب تقيل، يقطع عليهم إنعماجهم

وانهم يملكونهم في الإنترنت؛ إذ تنمر ما نسبته (24.2%) من الشباب من زيارات
لأقاربهم وقت استعمالهم للإنترنت.

ومن النتائج المهمة التي توصلت إليها الدراسة بخصوص إيمان الشباب على
الإنترنت، والعزلة النفسية والاجتماعية التي سببها لهم هذا الإدمان، هو أن الشباب
الذين تربطهم بأسرهم علاقات قوية، ودافئة وديمقراطية، لم تظهر عليهم أعراض
إدمان الإنترنت، كما ظهرت عند أولئك الذين لا تربطهم بأسرهم مثل هذا النوع من
العلاقات؛ وهذه نتيجة مهمة يجب التأكيد عليها، لأن الأسرة هي إحدى أهم
المؤسسات الاجتماعية التي تحول دون وقوع أبنائها في المشكلات النفسية
والاجتماعية، في ذلك مشكلة إدمان الانترنت.

ولما المشكلة الأخرى التي نجمت عن استخدام الشباب للاتصال الإلكتروني
لكنهم في امتعاض بعضهم من خيبة الأمل العاطفية التي سببها لهم معارفهم ممن
تعرفوا إليهم عبر هذه الوسيلة. فطى الرغم من أن نسبة لا يستهان بها منهم كانت
قد لجأت إلى الإنترنت لتكوين علاقات عاطفية إلكترونية مع الجنس الآخر، ومع
ذلك هناك نسبة أخرى منهم شعرت بالصدمة والخذلان وغيبة الأمل، جراء الفضل
الذي تعرضت له هذه العلاقات العاطفية — الإلكترونية مع الجنس الآخر. وقد
عبر عن هذا الاحساس، ما نسبته (56.9%) من الشباب من كلا الجنسين.

وكشفت الدراسة بهذا الخصوص أيضاً، أن نسبة الشباب الذكور ممن شعر
بزيغ من هذا النوع من العلاقات مع الآخر، فاقت نسبة الذكور ممن شعر بالشعور
نفسه؛ إذ شعر بهذا الشعور من الذكور ما نسبته (34%) وشعرت من الإناث ما
نسبته (22.9%).

والأمر اللافت للنظر هو أن نسبة الشباب الذين لم يشعروا بزيغ علاقاتهم
العاطفية الإلكترونية مع الآخرين، كانت نسبة أقل من نسبة زملائهم ممن شعر بذلك
الزيغ. وتثير هذه النتيجة التساؤل التالي: هل عدم شعور هؤلاء الشباب بمشاعر
الخذلان وغيبة الأمل من هذه العلاقات، يعبر عن تجريبتهم الشخصية السعيدة بها؟
لم أنه يعكس وحياً زائفاً (False Consciousness) بحقيقة مثل هذا النوع من

العلاقات الإلكترونية، بحيث يصبحون هم المتضررون فعلاً بسبب هذا الوعي الزائف، وتصبح الفئة التي وصفت مشاعرها بالزيف هي الفئة غير المتضررة بحكم وعيها وإدراكها لمخاطر هذا النوع من العلاقات؟ سؤال لا نريد الإجابة عليه، بل نبقئها مفتوحة حتى لا نقع في فخ إصدار الأحكام القيمة المسبقة على ظاهرة لا تزال في طور التشكل والتطور، وهي ظاهرة الاتصال الإلكتروني.

وأما فيما يتصل بقوة هذا الشعور وارتباطه بتغير العلاقات الاجتماعية، فقد توصلت الدراسة إلى وجود علاقة قوية بين حميمية العلاقات التي تجمع بين الأسرة وأبنائها، وقوة شعور هؤلاء الأبناء بالصدمة النفسية جراء تكويلهم مثل هذا النوع من العلاقات العاطفية الإلكترونية. فالشباب الذين ربطتهم علاقات قوية بأسرهم، مبنية على الاحترام والصراحة والصدق والانفتاح، شعروا أكثر من غيرهم بقوة الصدمة النفسية التي سببتها لهم هذه المشكلات العاطفية.

وتفسير ذلك يعود إلى أن الشباب الذين تعودوا على الصدق في تعامل أسرهم معهم، يتوقعون من الآخرين معاملة مشابهة لهذه المعاملة؛ فإذا ما تعرضوا لمعاملة مختلفة من الطرف الآخر، فيشعرون بالحباط وخدلان كبيرين بسبب التناقص الموجود بين توقعاتهم لما سيملكه هذا الآخر وبين ما يرون منه من سلوكيات فعلية.

ولعل التفسير الذي تقدمه نظرية التناقض الرمزية في هذا الجانب، يساعدنا في فهم ما يشعر به الشباب في مثل هذه المواقف الاجتماعية؛ إذ يرى المدافعون عن هذه النظرية، أن الأفراد إما يملكون في الموقف الاجتماعية بناء على ما يتوقعونه من الآخرين من أفعال وسلوكيات، وبناء على تلك المعاني التي يحيطونها لأفعالهم وأفعال الآخرين ودلالاتها في تلك المواقف (Bottomore, T, and Nisbet, r 1979).

ولم تتوقف مخاطر الاتصال الإلكتروني على الشباب عند حد الصدمة النفسية فحسب، بل امتدت لتأخذ بعداً آخر من أبعاد حياتهم الأسرية والزوجية أيضاً وبهذا الخصوص تبين أن العلاقات العاطفية التي كونها الشباب العازبون والمتزوجون، من خلال الإنترنت، كانت تصنف بعلاقتهم الودية مع أسرهم وأزواجهم؛ إذ كشفت

الدراسة عن وجود ما نسبته (29.1%) من هؤلاء الشباب كلفت علاقاتهم بأسرهم وأزواجهم قد اعتراها نوع من التوتر والخلاف بسبب هذه العلاقات. صحيح أن هذه النسبة متكنية نوعاً ما، ومع ذلك تبقى مؤشراً على مدى المخاطر الاجتماعية والأسرية التي يمكن أن تتمخض عن مثل هذا الاتصال في المجتمع. كما دلت نتائج الدراسة، إلى أن نسبة الذكور ممن تسببت لهم معارفهم وصدقائهم للعاطفة المكونة عبر الإنترنت بمشكلات أسرية، ورواجية، كانت أعلى من نسبة مثيلاتها عند الإناث؛ حيث كانت النسبة عند الذكور (19.8%) إلى (9.3%) عند الإناث.

ولما فيما يتعلق بمتغيرات العلاقة الأسرية وصلتها بهذا النوع من العلاقات للمشكلة عبر الإنترنت، فقد تبين أن الأبناء غير المتزوجين الذين ربطتهم بأسرهم علاقات تقدير واحترام متبادل، وكذلك الأزواج الذين ربطتهم بزواجهم علاقات قوية، لم يهروا بمثل هذه التجارب المؤلمة؛ إذ لم يشعر ما نسبته (55.4%) من الشباب العرب، ولم يشعر ما نسبته (50.4%) من الشباب المتزوجين بمثل هذه التجارب، لأنه لا توجد لديهم علاقات من هذا النوع أصلاً. فتوة علاقاتهم بأسرهم وبأزواجهم جعلتهم لا يقدمون على تكوين علاقات عاطفية من هذا النوع عبر هذه الوسيلة.

ومن أهم المشكلات التي نجمت عن استعمالات الشباب للإنترنت مشكلة اختراقهم النفسي والاجتماعي، إذ عانى منهم ما نسبته (40.3%) من هذه المشكلة؛ حيث لم نعد نرى هذه النسبة من الشباب في مجتمعاتهم سوى "لتخلف" مقابل "لتقدم" و"للتحضر" في المجتمعات الأخرى. لما رأته هذه النسبة في الإنترنت من تلك المجتمعات، من حيث تنوع أساليب حياتها الثقافية وأنماط معيشتها اليومية ومستويات الرفاهية، لجها جعلها تتخرب عن مجتمعاتها ثقافياً، وتعر منه، لدرجة أنها فصلت العيش في تلك المجتمعات عن مجتمعاتها.

ولعل الاختراق الثقافي لدى الشباب، والتمهي مع النموذج الغربي والانهيار "بنقمة" و"مضرة"، هو من أهم الأهداف الكامنة والمبطنة التي تسعى للعلامة الثقافية للرأسمالية إلى تحقيقها عبر الإنترنت، باعتباره أحد أهم الرمال الجدد المبشرين بها (New Missionaries)، على حد تعبير هيرمان وماكشزلي

(Herman, B and McChesney, R. 1997). إن المهمة الموكلة لهذه الوسيلة، بحسب المنطق الرأسمالي العولمي، هي السيطرة على عقل "الأخر"، بإشاعة لأمطار ثقافية — حياتية جديدة سطحية المكونات والأبعاد (ميشيل فلن، 2003).

وفي الحقيقة، تنرق العولمة الثقافية إلى اختراق إدراك "الأخر" ووعيه وهويته القومية والثقافية. وفي هذا الصدد يجادل محمد الجابري بأن الاختراق الثقافي إنما يستهدف السيطرة على إدراك "الأخر" واختطافه وتوجيهه، وبالتالي سلب وعيه والهيمنة على هويته الفردية والجماعية. ويمضي الجابري في حديثه ليؤكد بأنه عن طريق السيطرة على هذا الوعي والإدراك يتم إخضاع القوم، وتعطيلفاعلية العقل، وتكثيف المنطق، والتشويش على نظام القيم، وتوجيه الخيال، وتكميط النوق وإهانة السلوك. (محمد عابد الجابري، 1998).

فهل الشباب مدرك لهذه الأهداف المستترة للعولمة الثقافية؟ نجيبنا نتائج الدراسة بالإيجاب. فهناك نسبة عالية منهم بلغت (62.4%) مدركة لتلك الأهداف وواعية لمضمانيها الأيديولوجية. إذ ترى أن الإنترنت ليس سوى شكل من أشكال الاختراق الثقافي المبطن لمجتمعهم العربي المسلم، واستبدال قيمه بأخرى غربية. ولعل هذا الوعي والإدراك هو الذي يجعل أهداف العولمة الثقافية لا تنطلي عليهم. ولكن ماذا يصاحم فاعلون وحدهم في مواجهة أسعادت هذه العولمة؟

وفي نهاية استعراضنا للمشكلات النفسية والاجتماعية الناجمة عن استخدامات الشباب للإنترنت، نود أن نطرح التساؤل التالي: هل نحن أمام أسباب لم نتكلم؟ بمعنى آخر هل المشكلات النفسية والاجتماعية التي كنا قد نسبناها للإنترنت قد تسبب هو فعلاً فيها؟ أم أن هذه المشكلات هي في الأصل مشكلات مجتمعية؟ (Societal Problems).

إننا، في الواقع، لا نملك إجابة حاسمة وقطعية في هذا الخصوص. ومع ذلك، يمكننا التأكيد بأن العلاقة بين هذه المشكلات وبين الإنترنت ليست علاقة سبب ونتيجة. إنها أعتقد من ذلك بكثير؛ فالظواهر الاجتماعية والثقافية هي ظواهر معقدة ومتشابكة، ولا يكفي الاعتماد على عامل واحد في تفسيرها، أو النظر إليها من

زاوية ضيقة، كزاوية الأثر والتأثير أو السبب والنتيجة. فمثل هذه الرؤية لا تساهم في تقديم تفسير دقيق للظاهرة أو المشكلة الاجتماعية بقدر ما تخلق تشويشا وإربكاً حولها.

لذا، قد يكون من الواقعي العودة إلى جذابة الأسباب والنتائج في هذه الحالة، حتى نبين طبيعة هذه الإشكالية؛ فقد تكون هذه المشكلات، وبخاصة الاغتراب، والانعزال، والعزلة النفسية والاجتماعية، والخلافات الأسرية والزوجية، في جوهرها مشكلات اجتماعية رافقت لتغيرات الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية والتنظيمية قتي مر بها المجتمع في السنوات الأخيرة من افتتاحه على العالم الخارجي بتفككه المتحددة والمختلفة؛ حيث لم يجد للشباب أمامهم وسيلة للخلاص من وطأة هذه المشكلات وضغطها عليهم، سوى الهرب إلى الإنترنت. لكن هروبهم إلى الإنترنت، خلق لديهم حالة من القنود أو الإنعزال، لمكست سلباً بدورها على علاقاتهم الاجتماعية والعاطفية، فزادت من عزلتهم النفسية والاجتماعية، وصفت من اغترابهم عن مجتمعهم وأجعت علاقاتهم مع أزواجهم.

إن هروب الشباب إلى الإنترنت من أجل مساعدتهم على التخلص من مشكلاتهم النفسية والاجتماعية، هو في الحقيقة، أشبه ما يكون بهروب المرضى في الأماكن المظلمة في المصحات العقلية، أو المعتقلات أو السجون، عند إرفق جوامع، إلى المناطق الحرة، الأكل كونا، داخل هذه المصحات أو المعتقلات، كصاحات المعتقل ومرات المصحة، عليهم بشعرون بنوع من الفرج والراحة من القيود والاضطوط التي سببتها لهم الأماكن المظلمة داخل هذه المصحات أو المعتقلات. ١ إذ يعتبر جوامع، أن المستشفى أو المصحة العقلية أو المعتقل ما هي إلا مؤسسات أو تنظيمات مظلمة نسبيًا، تقود حرية اللراء فيها وتحد من تقاطعهم الاجتماعي، وتمارس عليهم سلطة من نوع خاص. لذا نجدهم يبحثون عن أماكن مفتوحة تخفف عنهم الضغط والضييق الذي يعانون منه داخل هذه المؤسسات المظلمة والمقيدة لحريتهم. ولا يوجد أمامهم سوى ساحة السجن، أو مررات المصحة أو ردهات المستشفى لتخلصهم من ذلك. ومع مرور الزمن يبدأ هؤلاء للراء بالانطلاق بهذه الأماكن المفتوحة. (Goffman, E, 1968).

وهكذا نتوقدا، التحذيرات السابقة، إلى ضرورة التريث ولتأتي قبل أن تصدر حكماً على الانترنت بتحميله عبء المشكلات النفسية والاجتماعية التي كشفت عن وجودها الدراسة بين بعض الفئات من الشباب؛ فمثل هذا الحكم هو حكم مبني ولفج (Immature)، تعوزه الدقة العلمية، والأدلة الإمبريقية الكافية، شأنه في ذلك شأن تلك الأحكام التي كان قد أصدرها بعض الباحثين في بدايات ظهور التلفزيون في المجتمع؛ حيث قاموا بتحميله حينها الكثير من أعباء المشكلات الأسرية، والتفكك العائلي، والطف، والتراجع في التحصيل المدرسي، لوثبت لهم فيما بعد قصر نظرهم وعجلتهم في الحكم عليه بالنسب لهذه المشكلات.

لقد تبين بعد تمحيص دقيق في السنوات اللاحقة، أن هذه المشكلات لا يتسبب فيها التلفزيون وحده، بل تشترك معه في ذلك عوامل أخرى، وفي مقدمتها طبيعة العلاقة التي تربط بين الشباب وأسرتهم؛ إذ اتضح أن شدة تأثير التلفزيون على الأطفال والشباب على حد سواء، تزيد بمقدار تراخي العلاقات الأسرية، وانصراف أولياء أمورهم عنهم، وعدم الاهتمام بهم. ويتصاعد هذا التأثير بشكل أكبر في حالات التفكك الأسري والعائلي، وفي حالة سيطرة جو الصراعات والخلافات الأسرية. (خلف المصفر وأخرون، 1994).

ولم يصح نفسه بعده في حالة الانترنت؛ إذ اتضح أن تأثيراته السلبية على الشباب تتمثل مع تأثيرات التلفزيون عليهم؛ فكلما قل تأثير غير مفسول من طبيعة العلاقات الأسرية. أي أن تأثير هاتين الوسيطتين الاتصاليتين على الشباب، كان يزداد بزيادة تشدد الأسر في تعاملها مع أبنائها ويقل في حالة احترامها واهتمامها ورعايتها لهم. فكلما كانت معاملة الأسرة لهؤلاء الشباب تتصف بالديمقراطية، وتقوم على احترام وجهات نظرهم، قلت تأثيرات الانترنت السلبية عليهم، وراحت في الوقت نفسه فوائد استعمالاتهم له، وكلما كان هناك تشدد وسرمان في معاملة الأسرة، وتدن في مستوى درجات التفاهم والحوار بينها وبين أبنائها، زادت تأثيرات الانترنت السلبية عليهم، وقلت في الوقت نفسه درجات استغلالهم من مزاياه الإيجابية.

وتقودنا هذه النتيجة إلى تأكيد أمرين هامين يتعلق الأول منهما بضرورة مراقبة الأسرة للمضامين الثقافية التي يكتسبها أبنائها من وسائل الاتصال الالكترونية؛ إذ يجب على الأسرة أن تفتح قنوات الإتصال بينها وبينهم، فتستمع لمشكلاتهم وخبراتهم اليومية، وتصفي لدلالات هذه المشكلات، وتعمل على حلها. كما يتوجب عليها أن تعمل على إشاعة أجواء الديمقراطية ومناخات الحوار والتفاعل بينها وبينهم، وتبتعد عن أساليب التزمّت والتشدد والإملاءات في تعاملها معهم. وبالمختصر، على الأسرة أن تكون جماعة مرجعية من نوع خاص لأبنائها في جميع الأمور والأوقات، وبخاصة في هذا الوقت بالذات الذي يشهد فيه المجتمع تحولات بنوية جوهرية واضحة في كافة جوانبه، وبخاصة الجانب الثقافي والاجتماعي؛ فهم بأشد الحاجة إليها، وإلى حكمتها وتجربتها في مساعدتهم على مواجهة ما يمرّون فيه من أزمات ومشكلات وتوترات، قد لا يحصلون مواجهتها وحدهم. فهي إن تقاصت عن أداء هذا الدور، فقد يضطر أبنائها إلى هجرها، والبحث عن أساليب، يجدون فيها ما لا يجدونه عندها كالإنترنت على سبيل المثال.

ولما قلّبت الثاني فنتعلق بضرورة اهتمام صناع القرار السياسي والاجتماعي في المجتمع، بضرورة الاهتمام بالأسرة نفسها كوحدة أساسية من وحدات المجتمع. قد يبدو هذا الأمر مستغرباً للوهلة الأولى وبحد الصلة من موضوع في الدراسة التي نقوم بها حول ثقافة الإنترنت والتواصل الاجتماعي. لكن الحقيقة خلاف ذلك، إذ أن الأسرة في حقيقة الأمر، تقع في صميم العملية الاتصالية بكافة أشكالها وأبعادها. وعليه فإن الاهتمام بها ليس مجرد تطوير اجتماعي في غير مكانه، ولا هو مجرد تمسك مترمّ بقسميتها في الثقافة العربية. إنه في جوهره وأهدافه أكثر من ذلك بكثير. إنه اهتمام يهدف إلى بناء مستقبل لها ليحفظ بكيالها، وينشط دورها، وينعش مكانتها في المجتمع، ويؤكد على دورها في عملية التنشئة الاجتماعية، ذلك الدور الذي بدأ بالانكماش والتقلص والتراجع في عصر الاتصال الالكتروني. لذا، فإن أي جهد أو اهتمام يبذل في حمايتها والاهتمام بها، وتقوية شبكات التواصل بينها وبين أبنائها، هو جهد يتجاوز وظيفته الجبرئية ليصب في مشروع كبير وأهم وهو حماية هؤلاء الأبناء من تأثيرات تكنولوجيا الاتصال الإلكتروني التي يتعرضون لها من خلال الإنترنت.

وبالإضافة إلى الأبعاد السابقة، فإن الاهتمام بالأسرة هو اهتمام يصب في جوهره في الحفاظ على المجتمع على هويته الثقافية والوطنية، تلك الهوية التي بدأت تتعرض للسمات العولمة الثقافية؛ إذ لا توجد مؤسسة معرضة لمثل هذه المخاطر كالأسرة، ولا يوجد في الوقت نفسه مؤسسة بمقدورها حماية الهوية الثقافية والحفاظ عليها كالمؤسسة الأسرية.

صحيح أن هناك مؤسسات أخرى كثيرة معرضة لهذه المخاطر، ولكن الحفاظ على الهوية الذاتية والثقافية هو مسؤولية مجتمعية تتطلب تصانيف جهود مؤسسات المجتمع الرسمية والمنشأة جميعها، وليس الأسرة وحدها؛ فذلك دور يرقى طاقاتها وإمكاناتها، ومع ذلك فدورها في هذا المجال دور أساسي وريادي؛ إذ فيها تتشكل الهذيات الأولى لهذه الهوية، ومنها ينبع الانتماء إليها.

بقيت ملاحظة أخيرة لا بد من التذكير عليها تتعلق بتسليم نتائج هذه الدراسة. إن الأبعاد الثقافية للاتصال الإلكتروني ممثلاً بالإنترنت، ليست مقصورة على حالة الشباب القطري وحده. بل هي عامة ومنتشرة بين قطاعات واسعة من الشباب في المجتمع العربي، بحكم التشابه الموجود بين الأبنية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لهذا المجتمع، وبخاصة المجتمع الخليجي، وبين بناءات المجتمع القطري، من جهة، وبحكم انتشار الإنترنت بين قطاعات واسعة وكبيرة من الشباب في المجتمع العربي في المجالات المختلفة في حياتهم اليومية من جهة أخرى.

وتتطلب الخصائص الثقافية السابقة للإنترنت من المجتمع العربي الوقوف وقفة تأمل واستيعاد في الذات، من أجل التفكير في مستقبل ثقافة الشباب؛ هل بمقدور هذا المجتمع حماية هؤلاء الشباب من ثقافة الإنترنت بكل ما فيها من قيم المنفعة والإستهلاك والتربية والسطحية؟ وهل باستطاعته وقائهم من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية التي قد تنجم عنه؟ وهل يمتلك هذا المجتمع قوماً ثقافية بديلة عن قيم الإنترنت، يكون بمقدورها جذب الشباب إليها، وإشباع ظمئهم المعرفي والثقافي، ونقدهم "نقصات" الإنترنت بخصائصه الثقافية السابقة؟

إننا، في الحقيقة، لا نشك أبداً بامتلاك الثقافة العربية الإسلامية لمثل هذه القيم ذات الدلالات الإنسانية والحضارية، كما أنه لا يخلو منا أدنى شك بقدرة تلك الثقافة على الصمود أمام ثقافة الإنترنت، بل إننا نشك في مقدرة المجتمع العربي على إنتاج مثل هذه الثقافة الرفيعة في ظل الظروف الدائرية والموسوعية التي يعيشها هذا المجتمع في الوقت الراهن.

إن صلية الإنتاج الثقافي عملية مرتبطة بالإطار الاجتماعي الذي تنشأ وتتحرك فيه، كما يرى علماء اجتماع الثقافة والمعرفة بدءاً بلين خلدون ومسروراً بكارل مانهايم (Mannheim) ولنتهاءً بجورج هوروفيتش (Gurvitch)؛ إذ لا توجد ثقافة مستقلة عن الواقع الاجتماعي؛ فالمجتمع هو الطنصر الأول المحرك لها، وهو الذي يقرر مضمونها وشكلها ومصيرها؛ فهي تعيش في علاقة موضوعية معه، تنمو بنموه، وتراجع بتراجعه، فلا توجد ثقافة خارج حركة المجتمع، بل هي مرتبطة به وليست مستقلة عنه.

ولمنا بحاجة إلى نباهة وحلطة فائقة للمستنج أن الثقافة العربية للراهلة لوست منفصلة أو مستقلة عن الواقع الاجتماعي الذي يعيشه المجتمع العربي، والذي أقبل ما يمكن أن يُنعت به بأنه واقع مأزوم، وعليه فكيف يمكن لواقع مأزوم إنتاج ثقافة أصيلة ذات قيم رفيعة؟ فذلك لم غير ممكن، لأن الشروط الاجتماعية لإنتاج هذه الثقافة غير متاحة ولا مشجعة على ذلك، بل على العكس من ذلك تماماً. إنها تعمل على تشجيع إنتاج ثقافي هزيل وبائس. فصحف الاتصالات الثقافية في الوقت الحاضر، وهشاشة بنيتها المؤسسية، وسيطرة القرعة المادية الاستهلاكية على قطاعات إنتاجها، وبخاصة الإعلامي، ليس سوى مظهر من المظاهر التي تشير إلى بؤس هذا الإنتاج وفقر نموه.

إن تنبؤ النمط الثقافي السائد في المجتمع العربي، وتغير مضامينه المعرفية للهزيلة - ذات القرعة الاستهلاكية، مرهون بتغير شروط إنتاجه الاجتماعية، وهذا أمر غير محتمل الحدوث في المستقبل المنظور، نظراً للظروف الموضوعية والدائرية التي يعيشها المجتمع العربي. ويتركب على هذا بقاء الشباب العربي يتغذى من ثققتين أحلاهما مر: ثقافة الكترونية ذات نوق ومضمون هابط وبائس وهشة

هشاشة رقائق البطاطا المقلية (Chips) التي تملأ معدة أكلها وتغلبه إحساساً بالشبع، إلا أنها لا تغديه ولا تسمنه ولا تغذيه من جوع، إنها ثقافة لا تعدو كونها سلعة كيبلي السلع، وثقافة مجتمعية علمة تنتجها مؤسسات ثقافية أخرى، لا يقل مصونها بؤساً وضحالة عن بؤس الثقافة الإلكترونية وضحالتها.

إن هذا البؤس الثقافي المزدرج الذي يعيشه الشباب في المجتمع العربي، لا يجب بأي حال من الأحوال أن يصير بنا عن مزايا الإنترنت كوسيلة اتصال ثقافي بين الشباب في المجتمع العربي والمجتمع الغربي، ولا يجب أن يصنلنا عن استثماره واستغلاله في الجانب العلمي والمعرفي والتكملي، لمرأى وفوائده في هذه المجالات لا ينكرها أو يقلل من شأنها إلا الجاحلون أو المصابين بشي فكري لها الإنترنت سوى وسيلة كيبلي وسائل الاتصال الإنساني، قد نحس استثمارها، وقد نسير إليه، فالحال إن، ليس في هذه الوسيلة الاتصالية بعد ذلك، بل في سوء استثمار البعض لها. لذا فإن ملادة البعض بنيتها والنخلة عنها بطريقة سوء المشكلات الناجمة عنها، إنما هي منادة في ولا غير دي ررع، لا يجب سماعها، لأننا إذا ما استمعنا إليها نكون أشبه بقادة أولئك القوم الذين طالبوا جماعتهم بالتوقف عن شرب الماء، لأن أحدهم كان قد شرب فنص فمات، ولا سبيل لإنقاذ بقية من الموت إلا بتوقفهم عن شرب الماء.

المراجع العربية

- أحمد أبو الهيجاء (2002) المعلوماتية في الوطن العربي: الواقع والأفق بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- أنيب غصور (1999) "نوسولوجيا الترفيه في التلفزيون"، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن والعشرون، العدد الثاني، أكتوبر/ديسمبر، ص 261-302.
- اعتماد علام وآخرون (1995) التحولات الاجتماعية وقوم العمل في المجتمع القطري، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية: جامعة قطر.
- المنصف ونس (1998) "مضامين العولمة الاتصالية والثقافية"، مجلة الاداعات العربية، عدد 2، اتحاد إذاعات الدول العربية: تونس، ص 7-13.
- جبهة الميقي (1978) المجتمع القطري. دراسة تحليلية لمناخ التغير الاجتماعي المعاصر، كلية الإنسانيات والطوم الاجتماعية: جامعة قطر.
- حسن صداد مكلوي، وليلى حسين السيد (1998) الإتصال ونظرية المعاصرة القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- هليم بركات (2004) الهوية: أزمة الحداثة والوعي التقليدي. بيروت: رياض الريس للكتاب والنشر.
- حنا جريس (2004) "الهيرتكمت: عصر الكلمة الإلكترونية في مستقبل الثورة الرقمية"، في العرب والتمدي لقادم، مجموعة من الكتاب، مجلة العربي، الكتاب (55)، 15 يناير، ص 129-135.
- خلف أحمد الحضور، جميل حميدان، فهمية الزيرة (1994) التنشئة الاجتماعية بين تأثير وسائل الإعلام الحديثة ودور الأسرة البحرين. المكتب التهدي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.
- دنس مكلوي (1992) الإعلام وتغيراته: دراسة في بناء النظرية الاجتماعية، ترجمة عثمان العربي، الطبعة الأولى، [بدون ذكر نشر].

- سالم الساري وخضر زكريا (2004) مشكلات اجتماعية راهنة: العولمة وإنتاج مشكلات جديدة، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.
- شاكر عبد الحميد (2005) عصر الصورة: السلبات والإيجابيات، سلسلة عالم المعرفة، يناير عدد (311) الكويت.
- عبدالمالك الدغلي (2001) الوظيفة الإعلامية لشبكة الإنترنت، بيروت: دار القريب الجامعية.
- علي لينة، ومحمود الكندي، وعبدالعزیز كمال، وأسماء الحطية (1991) الشباب القطري: اهتماماته وقضاياه، جامعة قطر: مركز الوثائق والدراسات الإنسانية.
- لؤي السيد وسعد عبدالرحمن (1999) علم النفس الاجتماعي، القاهرة: دار الفكر العربي.
- فاروق إسماعيل وعلي لينة (1993) الخريطة الاجتماعية لمدينة الدوحة: دراسة موسيوقنولوجية جامعة قطر، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية.
- إرنست جي لنتشر، وجون بولي (تحرير) (2004) العولمة: الطوفان أم الانكسار: الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: لبنان.
- كنثم الخاتم (1998) ظاهرة الطلاق في المجتمع القطري: دراسة ميدانية، جامعة قطر مركز الوثائق والدراسات الإنسانية.
- ماريتا فريير (1996) كيف نستعمل الإنترنت، ترجمة مركز التعريب والبرمجة، بيروت: الدار العربية للعلوم.
- محمد بن عبدالرحمن الحضيف (1998) كيف تؤثر وسائل الإعلام؟ دراسة فسيولوجية والأساليب، الرياض: مكتبة العبيكان.
- محمد حامد الجابري (1994) المسألة الثقافية في الوطن العربي (سلسلة لتقاليد القومية (25)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- محمد عابد الجابري (1998) "العولمة والهوية الثقافية: تقييم نقدي لممارسات العولمة في المجال الثقافي"، في العرب والعولمة، مجموعة باحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت: لبنان.
- محمد عبد الحميد (1997) نظريات الإعلام واتجاهات التغير، القاهرة: عالم الكتب.
- مركز جليل للدراسات الاستراتيجية (2000) ثورة المعلومات في الشرق الأوسط، صال: الأردن.
- ميشيل فان (2003) العولمة والحادي عشر من سبتمبر، مجلة الثقافة العالمية، عدد 13، الكويت.
- نيرل علي (2001) الثقافة العربية وعصر المعلومات. رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد 265. يناير.
- هانس بيتر مارتن وهارلد شومان (1998) فتح العولمة، ترجمة عدنان هاشم علي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، أكتوبر / تشرين أول، عدد 238.
- يحيى البحنوي (2002) في العولمة والتكنولوجيا والثقافة. مدخل إلى تكنولوجيا المعرفة، بيروت: دار الطليعة.

المراجع الأجنبية

- Alexander, J.C (ed) (1988) Durkheimian Sociology Cultural Studies. New York: Colombia Univ. Press.
- Anderson, R, Bickson, T, Law, S, and Mitchell, B. (1995) Universal Access to E-Mail: Feasibility and Societal Implications. Santa Monica: CA. Rand Corporation.
- Baron, R., Bryne, D; and Johnson, B. (1998) Exploring Social Psychology. Boston: Allyn and Bacon. Fourth Edition.
- Beck, U (1992) Risk Society: Towards A New Modernity London: Sage Publications.
- Bauman,Z. (1997) Postmodernity and its Discontents. Cambridge: polity Press.
- Becker, S. (1987) Discovering Mass Communication. New York: Scott and Foresman Company. Second Edition.
- Bell, D. (1973) The Coming of Post - Industrial Society: A venture in Social Forecasting. New York: Basic Books
- Bellamy, A, and Hanewicz, C. (2001) "An Exploratory Analysis of the Social Nature of Internet Addiction", Electronic Journal of Sociology. Vol. 5, No, 3. March.
- Bilton, T (eds) (2002) Introductory Sociology.Palgrave: Macmillan. Fourth Edition.
- Black, J., Bryant J, and Thompson, S. (1998) Introduction to Mass Communication. Boston: McGraw Hill.
- Blumler, J., and McQuail, D. (1968) Television in Politics: Its Uses and Influence. London: Faber.
- Bottomore,T and Nisbet,R.(eds)(1979) A history of Sociological Analysis .London: Heinemann.

- Bottomore, T. (1989) *The Frankfurt School*. London: Routledge and Kegan Paul.
- Brenner, V. (1996) "An Initial Report on the Online Assessment of Internet Addiction: the first 30 Days of the Internet Usage". <http://ccsnet.Com/prep/Papb/638b12p.txt>.
- Brydon, S, and Scott, M. (2000) *Between One and Many*, California. May field Publishing Company, Third Edition.
- Cairncross, F. (1997) *The Death of Distance: How The Communication Revolution Will Change Our lives*. London: Orion Business Press.
- Castells, M. (1996) *The Rise of Network Society*, Vol. 1 of the *Information Age: Economy, Society and Culture*, Oxford: Blackwell Publication.
- Collins R. (1979) *The Credential Society*. New York: Academic.
- Defleur, M, and Ball - Rokeach, S.(1989) *Theories of Mass Communication.*, longman: New York. Fifth Edition
- Devito, J. (1989) *the Interpersonal Communication Book*. New York: Harper & Row, Publishers: Fifth Edition.
- Dimaggio P., Hargittai, E, Neuman, W., and Robinson J. (2001) "Social Implications of the Internet". *Annual Review of Sociology*, Annual, PP. 307-348.
- Domnick, J.R. (1999) *The Dynamics of Mass Communication*. Boston. McGraw Hill College. Sixth Edition.
- Edelstein, A., Ito, Y., and kepplinger, H. (1989) *Communication and culture: A comparative Approach*. N.Y: Longman.
- Franzoi, S. (2000) *Social Psychology*. Boston: McGraw Hill. Second Edition.

- Garnham, N.(1979) "Contribution to a Political Economy of Mass Communication", in *Media, Culture and Society* 1(2):123-46
- Giddens, A. (1994) *Beyond left and Right: The Future of Radical Politics*. Cambridge: Polity Press.
- Giddens, A. (1990) *The Consequences Of Modernity* Cambridge: Polity Press.
- Giddens, A. (1999) *Runaway world, The BBC Reith Lectures*, London, BBC Radio 4 BBx Education.
- Goffman, E. (1968) *Asylums*. Penguin, Harmondsworth.
- Goldberg, I. (1996) "Internet Addiction" Htt: // www.cnnb.com/mlata/research.
- Golding, P. (1981) "The Missing Dimension ~ News Media and the Management of Social Change", in E. Katz and T. Szecsko, *Mass Media and Social Change*. Beverly Hills and London: Sage Publication. PP 63-80.
- Golding, P., and Murdock, G. (1991) "Culture, Communication and Political Economy", in Curran J. and M. Gurevitch, (eds), *Mass Media and Society* London. Edward Arnold.
- Gumpert, G, and Cathcart, R. (1982) ~ *Inter - Media*. New York: Oxford University Press.
- Habermas, J.(1987)*The Theory of Communicative Action*. Vol.2: *The Lifeworld and System :A Critique of Functionalist Reason*. Cambridge: Polity Press.
- Hall, S. (1980) *Cultural Studies and The Centre: Some Problematics and Problems*, In Hall, S. (eds). *Culture, Media. Language*. London: Hutchinson University Library. PP 15-48.
- Herman, E., and McChesney, R. (1997) *The Global Media: The New Missionaries of Corporate Capitalism*. London: Cassell.

- Hybels, S, and Weaver, R. (2001) *Communicating Effectively*. Boston. McGraw Hill, Sixth Edition.
- Johnson, A. (1996) *Human Arrangements: An Introduction to Sociology* London: Brown and Benchmark Publishers. Fourth Edition.
- Katz, E. (1959) *Mass Communication Research and the Study of Popular Culture*. Studies in public Communication 2.
- Kim, M., and Hunter, J. (1993) "Attitude-Behaviour Relations: A Meta-Analysis of Attitudinal Relevance and Topic". *Journal of Communication*. No. 43. PP 101-142.
- King, A. (1996) *Is The Internet Addictive, or Are Addicts Using the Internet?* [www.http://rdz.stjohns.edu/storm/iad.html](http://rdz.stjohns.edu/storm/iad.html).
- Klapper, J. (1963) *The Effects of Mass Communication*. Glencoe, Illinois. The Free Press.
- Kraut, R., Lundmark, V., Patterson, M., Kiesler, S., Mukopadhyay, T, and Scherlis, W (1998) "Internet Paradox: A social Technology that Reduces Social Involvement and Psychological Well-Being". *Journal of American Psychologist*. September, Vol. 53, No. 9, pp. 1017-1031.
- Lang, K., and Lang, G. (1966) "The Mass Media and Voting" In B. Berelson, and M. Janowitz, (eds) *Reader in Public Opinion and Communication*. New York: Free Press.
- Leadbeater, C. (1998) *Living on Thin Air: The New Economy*. London: Viking.
- Lerner, D (1964) *The Passing of Traditional Society: Modernization in the Middle East*. New York. The Free press of Glencoe.
- McLuhan, M. (1964) *Understanding Media: The Extensions of Man*. New York: MC Graw-Hill.

- Mc Quarl, D. (2000) *Mass Communication Theory: An Introduction*. London. Sage Publication, Inc. Fourth Edition.
- Milband, R. (1969) *The State in Capitalist Society*. London: Weidenfeld and Nicolson.
- Morris, M., and Ogan, C. (1996) "The Internet as Mass Medium", *Journal of Communication*. 46, No. 1 pp.39-50.
- Murdock, G And Golding, P. (1977) "Capitalism, Communication and Class Relations" in. Curran J et al. (eds). *Mass Communication and Society*. London. Edward Arnold. PP.12-43
- Mulgan, G. (1998) *Connexity: Responsibility, Freedom, Business and Power in the new Century*, London: Vintage.
- Negroponte, N. (1995) *Being Digital* London: Hodder and Stoughton.
- Newhagen, J., and Rafaeli, S. (1996) Why Communication Researchers Should Study the Internet: A Dialogue. *Journal of Communication*, 46. No.1.
- Parks, M. (1996) "Making Friends in Cyberspace". *Journal of Communication*. 46. 1-pp. 80-97.
- Putnam, R. (2000) *Bowling Alone: The Collapse and revival of American Community* New York: Simon and Schuster.
- Rheingold, H. (1993) *The Virtual Community: Homesteading on the Electronic frontier* Reading, MA. Addison Wesley
- Rice, R., and Love, G. (1987) "Electronic Emotion: Socioemotional Content in a Computer-Mediated Communication Net Work". *Journal of Communication Research*. 14.1, pp.85-108.
- Rogers, E., and Shoemaker, F. (1973) *Communication of Innovations. A Cross Cultural Approach*. N. Y: The Free Press.

- Rosengren, K. (1974) "Uses and Gratification: A Paradigm Outlined", in Blumler, J., and Katz, E. (eds). *The Uses of Mass Communication. Current Perspectives on Gratification Research*. Beverly Hills, California: Sage Publication.
- Rubin, A. (1985) "Uses and Gratification: Quasificational Analysis" in Dommick, J. and Fletcher, J. (eds) *Broadcasting Research Methods*. Massachusetts: Allyn & Bacon. Inc.
- Schiller, H. (1974) *The Mind Managers*. Boston: Beacon Press.
- Schiller, H. (1992) *Mass Communication and American Empire*. Oxford: West View Press.
- Schiller, H. (1996) *Information Inequality: The Deepening Social Crisis in America*. N. York: Routledge.
- Schramm, W. (1975) *Mass Communication*. Urbana: Chicago University of Illinois press: Second Edition.
- Seidman, S. (1994) *Contested Knowledge: Social Theory in the Postmodern Era*. Cambridge, MA, Blackwell.
- Signorelli, N., and Morgan, M. (eds) (1990) *Cultivation Analysis*. London: Sage Publication.
- Sleek, S. (1998) "Isolation Increases With Internet Use" *American Psychological Association*". Vol. 29 No.9-September
- Slevin, J. (2000) *The Internet and Society*. Cambridge: Polity Press.
- Sproull, L., and Kiesler, S. (1991) *Connections: New Ways of Working in the Networked Organization*. Cambridge: MAMIT Press.
- Stewart, J., and Logan, C. (1998) *Together: Communicating Interpersonally*. New York. McGraw Hill, Inc. Fourth Edition.
- Stoll, C. (1995) *Silicon Snake Oil: Second Thoughts on the Information Highway*. New York: Doubleday.

- Taylor, L., and Willis, A. (1999) *Media Studies*. Oxford: Blackwell Publishers Inc.
- Thompson, J. (1990) *Ideology and Modern Culture: Critical Theory in the Era of Mass Communication*. Cambridge: Polity Press.
- Thompson, J. (1995) *The Media and Modernity: A Social Theory of the Media*. Cambridge: polity Press.
- Turkle, S. (1996) "Virtuality and its Discontents: Searching for Community in Cyberspace", *The American Prospect*. Winter 24. Pp. 50-57
- Whale, J. (1977) *The Politics of the Media*. London: Fontana.
- Zubbof, S. (1998) *In the Age of the Smart Machine: The Future of work and Power*. New York: Basic Books.
- Wreath, W. (1996) *Disconnected: Have and Have – Nots in The Information Age*. New Brunswick: Rutgers University Press.
- Young, K. (1998) *Caught in the Net*. New York: John Wiley and Sons Inc.

الملاحق

ثقافة الإنترنت دراسة في التواصل الاجتماعي

المحور الأول: التبعات الأولية

1- النوع:

☐ ذكر ☐ أنثى

2- العمر بالسنوات:

☐ 14 أقل من 17 ☐ 17 - 20
☐ 20 - 23 ☐ 23 - 26
☐ 26 - 29 ☐ 29 - 35

3- المستوى التعليمي:

☐ يتأهّل ويكتب ☐ ابتدائي ☐ إحصائي
☐ ثانوي ☐ بكالوريوس ☐ فوق بكالوريوس

4- الحالة الاجتماعية:

☐ أعزب ☐ خاطب ☐ متزوج
☐ مطلق ☐ أرمل

5- الحالة المهنية:

☐ موظف في القطاع الخاص ☐ موظف في القطاع الحكومي
☐ طالب ☐ لا يعمل
☐ طالب ويحصل في نفس الوقت ☐ أعمال حرة

6- مستوى الدخول الشهري بالريال القطري (إذا كنت غير عامل فائز مستوى دخل أسرته):

- | | |
|--|--|
| <input type="checkbox"/> 2500 - أقل من 5000 | <input type="checkbox"/> 5000 - أقل من 7500 |
| <input type="checkbox"/> 7500 - أقل من 10.000 | <input type="checkbox"/> 10.000 - أقل من 12500 |
| <input type="checkbox"/> 12500 - أقل من 15.000 | <input type="checkbox"/> 15.000 فأكثر |

7- منذ متى تستخدم الإنترنت (بالسنوات):

- | | |
|---|---|
| <input type="checkbox"/> منذ أقل من سنتين | <input type="checkbox"/> سنتين - أقل من 4 سنوات |
| <input type="checkbox"/> 4 - أقل من 6 سنوات | <input type="checkbox"/> 6 - أقل من 8 سنوات |
| <input type="checkbox"/> 8 سنوات فأكثر | |

8- كم ساعة تستخدم الإنترنت في اليوم:

- | | |
|---|---|
| <input type="checkbox"/> أقل من ساعتين | <input type="checkbox"/> 2 - أقل من 4 ساعات |
| <input type="checkbox"/> 4 - أقل من 6 ساعات | <input type="checkbox"/> 6 ساعات فأكثر |

المحور الثاني: علاقات الشباب الاجتماعية بالأميرة

9- كيف تعتبر علاقتك بوالديك من حيث التقدير والاحترام المتبادل بينكم:

☐ قوية ☐ متوسطة ☐ ضعيفة ☐ مقطوعة ☐ لا أدري

10- كيف تعتبر علاقتك بزوجتك/زوجك/أهلك من حيث الاحترام والتقدير المتبادل (في حالة الزواج):

☐ قوية ☐ متوسطة ☐ ضعيفة ☐ مقطوعة ☐ لا أدري

11- كيف تصف علاقتك بأسرتك الكبيرة / الممتدة من حيث التفاعل والانحجام والتعاون بينكم:

☐ قوية ☐ متوسطة ☐ ضعيفة ☐ مقطوعة ☐ لا أدري

12- كيف تشعر بأسلوب معاملة أهللك لك:

☐ صارم وشديد ☐ عادي (متوسطة الشدة) ☐ منقلب/مكذب

☐ لين (لا يسألوني عما أفعل) ☐ ديمقراطي قائم على الاحترام المتبادل

13- هل تشترك في المناظرات والحوارات التي تتم داخل أسرتك حول القضايا الملحة:

☐ دائماً ☐ أحياناً ☐ ندرأ ☐ أبداً ☐ لا أدري

14- هل تشعر بأن لركبك وزناً في هذه المناظرات والحوارات:

☐ دائماً ☐ أحياناً ☐ ندرأ ☐ أبداً ☐ لا أدري

15- هل تزور أقاربك بشكل:

☐ دائم ☐ متقطع ☐ لا أزرعهم ☐ لا أدري

المحور الثالث: الإنترنت ووسائل الإتصال الجماهيرية

~ ضع علامة (✓) من فضلك في المربع الذي يبين درجة موافقتك على كل عبارة من العبارات المتعلقة بالجملة التالية:



منذ بدأت أستخدم الإنترنت أصبحت أشعر بأن:

- 16- مشاهدتي للتقريرون بدأت: ☐ تزيد ☐ تنقص ☐ لم تتأثر ☐ لا أدري
- 17- قرايتي للكتب (المطالعة) بدأت: ☐ تزيد ☐ تنقص ☐ لم تتأثر ☐ لا أدري
- 18- ذهابي إلى دور السينما بدأ: ☐ يزيد ☐ ينقص ☐ لم يتأثر ☐ لا أدري
- 19- مساعي الترفيه بدأ: ☐ يزيد ☐ ينقص ☐ لم يتأثر ☐ لا أدري
- 20- قرايتي الصحف بدأت: ☐ تزيد ☐ تنقص ☐ لم تتأثر ☐ لا أدري

المحور الرابع: التأثيرات النفسية والاجتماعية للإنترنت على الشباب

■ اقرأ العبارات التالية وضع علامة (✓) من فضلك ، في المربع الذي يدل على

درجة موافقتك عليها:

المعـيـرات	موافق بشدة	موافق	غير موافق	غير موافق لبداً
21- تشكرني أصدقائي حين أطول الوقت الذي أقضيه مشغولاً عنهم بالإنترنت.				
22- أشعر بأن قاطبي وجووسي ومخاطباتي مع أفراد أصدقائي بدأ يقل عما كان عليه قبل استخدامي للإنترنت.				
23- أشعر بالضيق والتوتر والعصبية عندما أقطع عن الإنترنت ولو لفترة قصيرة.				
24- كثيراً ما تأخرت عن تأدية مسؤولتي في مواقعها المحددة بسبب جرمسي المتواصل أثناء الإنترنت.				
25- أشعر بالضيق والاكتئاب من زيارات الألووب لما لأقربائي على إنيمسكي في الإنترنت.				
26- أشعر بأن زياراتي لأقربائي بذلك قلل عما كانت عليه في السابق بسبب انشغالي عنهم بالإنترنت.				
27- تجميع تمصيلي المدرسي / الجامعي وكذلك ذاتي لعملي بسبب الإحراق الجدي والنفسى الناجم عن تسير المتأخر لبدأ على الإنترنت.				
28- تعلمت من بعض المواقع التعليمية في الإنترنت الكثير من الأمور التعليمية التي كنت أجهلها مما أقرى أجد قديني في حياتي.				
29- طرقت ذاتي أعضوه في التحدث مع الأصحاب والمعارف عبر الإنترنت أكثر من الذي أفضيه في التحدث معهم وجها لوجه.				

العبارات	موافق بشدة	موافق	غير موافق	غير موافق أبداً
30- أفضي وقتاً في المحادثات مع محاربي وأصدقائي عبر الإنترنت أكثر من الوقت الذي أجلس فيه مع أسرتي.				
31- ساعدني الإنترنت على حل بعض مشكلاتي النفسية مما جعلني أنظر للحياة نظرة مثالية وسعيدة.				
32- زاد تحصيلي الدراسي / الجامعي وتحسن أدائي لسلي بسبب المعرفة التي جنيتها واكتسبتها من الإنترنت بهذا الشأن.				
33- أجد في الإنترنت وسيلة مناسبة للتفكير عما في داخلي من هموم ومشاكل وإحباطات أسرية ومهتمة.				
34- ساهم الإنترنت في استثماري لوقت الفراغ الذي كنت أعاني منه، وكذلك في ترفيهي عن نفسي.				
35- أشر ببلن نشاطاتي ومساهماتي في المناسبات الأسرية والمأهولة والاجتماعية بدلت نراجم منذ بدلت استخدم الإنترنت.				
36- منذ تطلمت استخدم البريد الإلكتروني والمكالمات عبر الإنترنت بدلت أشر بأقرب من أرك أسرتي وأقربتي البعيدون علي في الخارج.				
37- اكتسبت المعلومات التي كونتها واستقتها من الإنترنت شعوراً خاصاً بأهميتي وزاقت من تلقي بنفسي أسام الآخرين لأسرتي ومحاربي.				
38- أشر أن العلاقات والصداقات التي كونتها مع الآخرين من كلا الجنسين من خلال الإنترنت هي علاقات أكثر صدقاً وحيوية من تلك التي كونتها عن طريق اتصال لوجاهي المباشر.				

المعارف	موافق بشدة	موافق	غير موافق	غير موافق أبداً
39- أشعر بأن بعض العلاقات التي كونتها مع الجنس الآخر "من كلا الجنسين" من خلال الإنترنت هي علاقات غير النضجة وخطئة وزائفة.				
40- سمحت للعلاقات الملتزمة القوية التي كونتها عبر التحدث مع الجنس الآخر من خلال الإنترنت بلقاء بهم وجهاً لوجه.				
41- أجد نفسي جريئاً وصريحاً في التحدث مع الجنس الآخر حول قضايا عامة كثيرة عبر الإنترنت أكثر من جرأتي وصبري في التحدث معهم حولها وجهاً لوجه.				
42- سببت لي علاقاتي وصداقتي التي كونتها عبر الإنترنت مشكلات مع زوجي/ زوجتي / أسرتي كانت تمنع حياتي الزوجية / الأسرية.				
43- أشعر أن العلاقة التي تربطني بمعارفي الجدد الذين تعرفت إليهم عبر الإنترنت أقوى من تلك العلاقة التي تربطني بمعارفي الذين تعرفت إليهم وجهاً لوجه إلى الحد الذي يجعلني أفكر بالزواج من إحدى هذه المعارف لو كنت حراً.				
44- أتاح لي الإنترنت فرصة للتصرف على شغب وشباب من خلفات ثقافية واجتماعية ومذهبية مختلفة من مجتمعي القطري والمجتمع العربي مما أظني تجرتي الفكرية والسياسية والثقافية.				
45- ساعدني الإنترنت على المشاركة في الكثير من النشاطات الفكرية والاجتماعية والسياسية محباً وعربياً مما لا أستطيع المشاركة فيها شخصياً.				

الملاحظات	مؤلف	مؤلف	مؤلف	مؤلف
46- وجدت في الإنترنت فرصة مناسبة للتعبير عن آرائي واتجاهاتي الفكرية والفكرية والسياسية التي لا أستطيع التعبير عنها صراحة في المجتمع.				
47- سهل على الإنترنت الانضمام إلى بعض الفرق والنوادي والجمعيات الاجتماعية على المستويين المحلي والعربي.				
48- أتاح لي الإنترنت الفرصة للإطلاع على عادات وتقاليد شعوب كثيرة في مجتمعات مختلفة.				
49- مكنتي الإنترنت من المساعدة ببعض الأهل الأخيرة في مجتمعي والمجتمع العربي والتي طالما لمكنت القيام بها مما تشعرني بالسلامة.				
50- أجد في نفسي الجراءة في طرح مشكلاتي الخاصة جداً وبخاصة العاطفية على ذوي الاختصاص في مواقع الإنترنت أكثر من أتحدث فيها أمامهم وجهاً لوجه.				
51- ساعدني الإنترنت على تنمية مواهب وتطويع هوائياتي وحصل تجاربي في مجالات متعددة.				
52- كثيراً ما تلمت أن أحش بمجتمع آخر غير مجتمعي لما أراه في الإنترنت من تقدم وتحضر في تلك المجتمعات.				
53- من خلال استخدامي وتغولي إلى بعض المواقع في الإنترنت أصبحت لدي قناعة بأنه وسيلة من وسائل الفوز التقني لمجتمعات العربي المسلم والمجتمعات الأخرى غير العربية.				
54- سأتوقف عن استخدام الإنترنت في تكوين معارف وعلاقات جديدة مع الآخرين، وبخاصة العاطفية منها، لأن التجارب التي مررت بها مع بعضهم صدمتني وألمتني.				



ثقافة الإنترنت دراسات في التواصل الاجتماعي

د. حني مساري

- أستاذ علم اجتماع الإعلام والاتصال الجامعة الأردنية.
- دكتوراه في علم اجتماع الاتصال الإنساني، بريطانيا 1983.
- ماجستير في علم النفس الاجتماعي للاتصال وحل الصراع، بريطانيا، 1979.

مؤلفاته:

- صورة العرب في الصحافة البريطانية 1988.
- ميدان علم الاجتماع 1992 بالإشتراك.
- سوسيولوجيا العلاقات الأسرية 1992 بالإشتراك.
- التنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة 1997 بالإشتراك.
- علم النفس الاجتماعي 1998 بالإشتراك.
- الاتصال الإنساني، ميائله ومهاراته، تحت الطبع.
- سوسيولوجيا الانتخابات والإعلام في المجتمع، تحت الطبع.
- بحوث منشورة في مجالات علمية متقدمة في مجال الإعلام والمرأة والإجتماع.

• المنورات التدريبية:

- مهارات الاتصال في المؤسسات الحديثة، التفاوض الاجتماعي والسوسيولوجيا.
- الصراع وإدارة الأزمات أثناء الحملات الإعلامية والانتخابية.

- مستشار تدريبي لدى مؤسسات في الوسط العربي في مجال التواصل الإنساني والتفاوض وإدارة الصراع.

- عضو في عدة جمعيات علمية.
- عضو مؤسس ونائب رئيس الجمعية الأردنية لحماية الجاهل الأسري.

لجنة الملائم لكتاب مختصر من كتابه



Isawi Pub. & Dis.
340487 - 5349499
: 1758 Ajubaiha
Amman - Jordan



دار مجدلاوي للنشر والتوزيع
تليفاكس: ٥٣١٩١٩٧ - ٥٣١٩١٩٩
ص.ب. ١٧٥٨ الجبيهة ١١٩٢٦
عمان - الأردن

www.majdalawibooks.com

e-mail: customer@majdalawibooks.com

ISBN 9957-02-191-5